فريدا مكفادن



إلى أي مدى ستذهب
لحماية طفلك؟



الإبن المثالي





فريدا مكفادن

الإبن المثالي

ترجمة:
قناة مكتبة الوادي®

مهداة الى قناة الكتب المنسية

THE PERFECT SON

FREIDA McFADDEN

@t.me/WadistreamBooks



الابن المثالي

THE PERFECT SON




تُرجم هذا الكتاب بدعم من مبادرة ترجم
مبادرة ترجم
Tarjim initiative
هيئة الأدب والنشر والترجمة
Literature, Publishing & Translation Commission
Translation funded by the Tarjim Initiative

فريدا مكفادن

FREIDA MCFADDEN

الابن المثالي

THE PERFECT SON

ترجمة / كاميليا

الفصل الأول

محضر تحقيق الشرطة مع إيريكا كاس:

سأل المحقق:

– «هلا أخبرتنا بما حدث، يا سيدة كاس؟»

– «هل أنا رهن الاعتقال؟»

– «لماذا تسألين؟»

– «لأني أعرف ما وجدتموه. وأعرف ما يدور في خلدكم الآن.»

– «وما الذي تظنين أننا وجدناه يا سيدة كاس؟»

– «جـ... جثة.»

– «وهل يمكنكِ تفسير كيفية حدوث ذلك؟»

– «أنا...»

– «سيدة كاس؟»

– «هل أنا رهن الاعتقال؟ أرجوك، أخبرني فقط.»

– «في الوقت الحالي، لا، لستِ قيد الاعتقال. ولكن من البديهي أننا بحاجة لمعرفة ما جرى.»

- «لقد... قُتل طعنًا.»

- «ومَن الفاعل؟»

ساد الصمت لحظة، ثم عاد يسأل:

- «سيدة كاس؟»

- «أنا الفاعلة. أنا مَن قتلتُه يا حضرة المحقق. ولو عاد بي الزمن لفعلتها مجددًا.»

الفصل الثاني

قبل أسبوعٍ تقريبًا

إيريكا

ليس من المفترض أن يكون للأم طفلٌ مفضّل.

لو سألتَ معظم الأمهات، لقلن شيئًا على غرار: «سامي ذكي جدًا، لكن نيكول تملك قلبًا رائعًا». يرفضن الاختيار. وبعضهن صادقات في ذلك؛ إذ تحب بعض الأمهات أطفالهن حبًا متساويًا بصدق.

أما الأخريات، مثلي، فيكذبن بملء أفواههن.

قلتُ بصوتٍ عالٍ:

— «صباح الخير!»

كانت ابنتي هانا، ذات الأربعة عشر ربيعًا، تتهادى إلى المطبخ حافية القدمين، مرتدية سروالًا رياضيًا قديمًا، وشعرها البني المحمر يحيط بوجهها في فوضى عارمة. كان يُفترض أن تكون قد ارتدت ملابسها وتجهزت للمدرسة، لكن الواضح أنها ليست كذلك. إنها تنتظر دائمًا حتى اللحظة الأخيرة الممكنة لتستعد. يروق لها أن تبقيني على أعصاب مشدودة: هل ستلحق بحافلة المدرسة أم لا؟ لكنني تعلمت من التجربة أن الإلحاح عليها لا يجدي نفعًا — بل في الواقع، يبدو

أنه يبطئ حركتها أكثر —— لذا عدتُ بوعيي إلى البيض الذي كنتُ أخفقه في المقلاة.

صاحت هانا:

— «يـا مـامـا!»

يبدو أن هانا لم تعد قادرة على نطق هذه الكلمة دون تلك النبرة المتذمرة التي تمد الكلمة لمقطعين صوتيين على الأقل. "مـا ــ مـا". تذكرتُ كم كنتُ سعيدة في المرة الأولى التي نطقت فيها "ماما". هززتُ رأسي ساخرةً من سذاجتي القديمة، وقلت:

— «لماذا يتعين عليك قولها بهذه الطريقة؟»

— «أي طريقة؟ أنا فقط قلت "صباح الخير".»

— «صحيح.»

تأففت هانا قائلة:

— «تلك الطريقة.»

— «أي طريقة تقصدين؟»

— «مثل... يا إلهي، أنتِ تعرفين ما أعنيه.»

— «أنا حقًا لا أعرف يا هانا.»

— «تقولينها وكأنكِ... لا أدري. فقط لا تقوليها هكذا.»

لم أكن متأكدة كيف أرد، لذا صببتُ تركيزي مجددًا على البيض. إنني أتباهى بصنع بيضٍ رائعٍ حقًا؛ إنها إحدى قواي الخارقة. بيضي لذيذ لدرجة أنه عندما تناولته إحدى صديقات هانا في صباح اليوم التالي لمبيتها عندنا، قالت إنه يجب عليّ أن أعمل طاهية في مقصف مدرستهم. كان ذلك أسمى إطراء تلقيته.

تثاءبت هانا بصوت عالٍ وحكّت كومة الشعر المشعث فوق رأسها، وسألت:

— «ماذا لدينا للإفطار؟»

تجاهلتُ المفارقة الساخرة: لو سألتُ هانا عما تعدّه للإفطار وهي تقف بوضوح في منتصف عملية طهي البيض، لأصيبت بنوبة غضب عارمة.

أجبتها:

— «أعدُّ البيض.»

— «بيض؟ أنا أكره البيض.»

— «عما تتحدثين؟ ظننتُ أن البيض هو فطورك المفضل.»

— «أجل. حين كنتُ في الثامنة من عمري تقريبًا.»

وضعتُ الملعقة المسطحة التي كنت أستخدمها لتقليب البيض ببطء؛ فتلك هي الحيلة للحصول على بيض متقن: طهوه على نار هادئة وبتمهل.

قلتُ لها:

— «لقد صنعته لكِ في عطلة نهاية الأسبوع والتهمتِه عن آخره.»

— «نعم، لكن هذا لا يعني أنه المفضّل لدي. يا إلهي يا أمي.»

لم أعرف بماذا أرد على ذلك. يبدو مؤخرًا أن كل محادثة أجريها مع ابنتي هي تمرين قاسٍ لمحاولة عدم الرد عليها بكلام جارح. أغمضت عينيّ ورددتُ تعويذتي لنفسي: أنا البالغة هنا. هذه مجرد مرحلة.

لكن بعد أربعة عشر عامًا، أصبح من الصعب إقناع نفسي بأن الأمر كله مجرد مرحلة.

سألت هانا وهي تقف على بعد قدمين من الثلاجة وثلاثة أقدام من خزانة المؤن:

– «ماذا لدينا غير ذلك للإفطار؟»

– «فطائر وافل مجمدة؟»

أخرجت لسانها قائلة:

– «يع، مقرف. وماذا أيضًا؟»

– «يمكنكِ تحضير بعض حبوب الإفطار لنفسك.»

– «أي نوع من الحبوب لدينا؟»

تنهدتُ قائلة:

– «لا أعرف يا هانا. اذهبي وانظري في الخزانة.»

أطلقتْ همهمة وهي تنهض جعلتني أظن أنها في التسعين من عمرها لا طالبة في السنة الأولى من الثانوية. سارت بتثاقل نحو الخزانة وراحت تتفحص علب الحبوب بتركيز شديد.

وبينما كانت هانا تتأمل خيارات الحبوب، انضم إلينا ابني، ليام، في المطبخ. وعلى عكس أخته، كان ليام بكامل أناقته، يرتدي قميصًا أزرق بأزرار وسروالًا كاكيًا بدا أنيقًا بشكل مفاجئ. كنت قد اشتريت له خزانة ملابس جديدة خلال الصيف عندما ازداد طوله فجأة أربع بوصات وبدت ملابسه القديمة قصيرة بشكل مضحك. لقد أتم السادسة عشرة مؤخرًا، مما يعني أنه ذهب الشهر الماضي إلى إدارة المرور مع زوجي للحصول على تصريح القيادة المؤقت. كنتُ أظن أن حصول ابني على تصريح تعلم القيادة سيملؤني رعبًا، لكنني هادئة بشكل غريب حيال الأمر برمته. سيكون ليام سائقًا جيدًا. سيكون حذرًا، وسينتبه جيدًا للطريق، ولن يقود أبدًا تحت تأثير الكحول. أنا موقنة من هذا تمامًا.

وليس هذا سبب قلقي من قيادته للسيارة.

قال ليام:

— «بيض. أنا أحب البيض. شكرًا يا أمي!»

انفرجت شفتا ليام عن ابتسامة ممتنة. لطالما كان طفلًا جذابًا، لكنه في العامين الماضيين ازداد وسامةً بحق. كنا في مطعم مع العائلة في عطلة نهاية الأسبوع الماضي، ولمحتُ امرأة عشرينية تختلس النظر إليه مرة تلو الأخرى. امرأة بالغة كانت تتفحصه بإعجاب! ثمة شيء ما في شعره الداكن الكثيف وعينيه اللتين بلون الشوكولاتة، واللتين تكادان تلمعان حين يبتسم. وعلى عكس هانا، لم يحتج ليام قط لتقويم أسنان، وتكشف ابتسامته عن صف من الأسنان البيضاء المستقيمة تمامًا.

وفقًا لوالدتي، يشبه ليام والدي كثيرًا عندما كان شابًا. توفي والدي وأنا طفلة ولا أكاد أتذكره، لكنني رأيت صورًا له، وأتفق أن الشبه مذهل. أحتفظ بصورة من تلك الصور في درج بجوار سريري، ومؤخرًا، كلما نظرت إليها، شعرتُ بوخزة في صدري. كان صعبًا بما يكفي معرفة أن أبي لم يرني أكبر أبدًا، وتلك لَدغة أخرى أن أعرف أنه لن يقابل حفيده الذي يشبهه تمامًا.

سحبت هانا علبة «تشيريوس» من الخزانة وتفحصت الملصق، وهي تجعد أنفها:

— «ما مكونات التشيريوس؟»

— «سُمّ.»

— «ماما!» كان نطقها للكلمة هذه المرة يمتد لأربعة مقاطع صوتية على الأقل. "مـا ـ أ ـ أ ـ ما".

تابعت قائلة:

— «أنتِ تعلمين أنني أحاول إنقاص وزني وأن أكون بصحة جيدة. ألا تريدين لي أن أكون بصحة جيدة؟»

لطالما كانت هانا ممتلئة قليلًا. برأيي أنها تبدو لطيفة، لكنها في العام الماضي أصبحت مهووسة بإنقاص عشرة أرطال، رغم أنها لم تفعل شيئًا حقيقيًا لخسارتها. في الواقع، عندما أحضرتُ كيسًا من الرقائق كنت أخطط لتقديمه مع صلصة الغواكامولي في سهرة للأمهات الشهر الماضي، قضت عليه هانا قبل أن أغادر المنزل. انتهى بي الأمر بأخذ بعض شرائح التفاح. ولم يدعونِ مجددًا.

قلت:

– «بالطبع أريدك أن تكوني بصحة جيدة.»

قلبت عينيها. لقد أتقنت هانا فن "تقليب العينين". إنه تعبير وجهها المفضل. يمكن استخدامه حين أطلب منها فعل شيء لا تريد القيام به، أو حين أقول شيئًا سخيفًا للغاية لا تطيقه، أو الأفضل من ذلك كله، حين أعبر عن أي نوع من الحب أو العاطفة.

قلتُ لليام:

– «سيكون البيض جاهزًا خلال دقيقتين.»

– «لا عجلة. سأشرب بعض عصير البرتقال.»

اتجه ليام نحو الثلاجة، لكنه لم يكن سريعًا بما يكفي. دفعته هانا جانبًا لتصل إلى علبة الحليب. رفع حاجبيه، لكنه سمح لأخته بالإفلات بفعلتها دون تعليق.

سألتُ وأنا أطفئ النار عن الموقد:

– «لماذا ترتدي بكامل أناقتك يا ليام؟»

عادة ما يرتدي ابني الجينز وقميصًا قطنيًا (تي شيرت) بغض النظر عن الطقس. وأنا أكون سعيدة لمجرد أن ملابسه نظيفة.

أجاب وهو يأخذ دوره أخيرًا ويجذب عصير البرتقال من الثلاجة:

— «مناظرة.»

صبّ لنفسه كوبًا ممتلئًا حتى فاض، وكاد العصير يلعق حواف الكأس مهددًا بالانسكاب. مثل أي مراهق آخر في العالم، يمتلك ليام شهية هائلة رغم أن بنيته نحيلة ورياضية.

أضاف قائلًا:

— «سننافس مدرسة لينكولن الثانوية بعد الدوام.»

— «هل يمكنني المجيء للمشاهدة؟»

قلبت هانا عينيها وقالت:

— «بجدية؟ مناظرات ليام مملة للغاية.»

ابتسم ليام ابتسامة ملتوية وتجرع رشفة من عصيره قائلًا:

— «إنها محقة. لن يكون الأمر ممتعًا لكِ.»

كشطتُ البيض من المقلاة إلى طبق لأجله، معطية إياه حصته بالإضافة إلى البيض الذي صنعته لهانا. سأصنع المزيد لزوجي لاحقًا إن أراد — يفترض أن يعود "جايسون" من ممارسة الجري بعد قليل.

قلت لليام:

— «سيكون الأمر ممتعًا طالما أنك هناك.»

— «حسنًا، بالتأكيد.»

بدأ ليام يلتهم طبق البيض. لسبب ما، أشعر برضا كبير عند مشاهدة أطفالي يأكلون. يعود هذا الشعور إلى أيام الرضاعة الطبيعية. (تقول هانا إن هذا أمر غريب جدًا).

قال ليام:

— «هذا البيض رائع يا أمي.»

— «أوه، شكرًا لك.»

— «ما مكونك السري؟»

غمزتُ له قائلة:

— «الحب.»

أطلقت هانا أطول تنهيدة سمعتها في حياتي. استمرت لخمس ثوانٍ كاملة على الأقل —— وهو زمن طويل بالنسبة لتنهيدة.

قالت:

— «يا إلهي، المكون السري هو جبنة البارميزان. أمي تضع دائمًا البارميزان في البيض. أنت تعرف ذلك يا ليام. يا ربي، أنت حقًا...»

رفع حاجبًا وسأل:

— «أنا حقًا ماذا يا هانا؟»

— «أنت تعرف ماذا.»

للحظة، حدّق الاثنان في بعضهما، وكان الهدوء يعم الغرفة لدرجة أنني كنت أسمع طنين آلة القهوة. لكن ليام أصدر نخرة ضحك عالية وعاد إلى بيضه. أحسده على قدرته على تجاهل سرعة غضب أخته. إن كان البيض هو قوتي الخارقة، فتجاهل هانا هي قوة ليام. لا شيء تقوله يؤثر فيه أبدًا. والحقيقة هي، رغم مناوشاتهما، أن هانا تعشق ليام. منذ اللحظة التي بدأت فيها المشي، كانت تتبعه في كل مكان. في هذه الأيام، هو على الأرجح شخصها المفضل في المنزل. وأشك أنني آتي في المرتبة الرابعة، بعد جايسون وهاتفها المحمول على الأغلب.

قال ليام وهو يبتسم، رامشًا بتلك الأهداب التي تشتكي هانا من أنها طويلة بشكل غير عادل:

— «حسنًا، أعتقد أن طعم البيض لذيذ بشكل خاص اليوم. شكرًا يا أمي. أنتِ الأفضل.»

وهنا، قلبت هانا عينيها.

أنا أحب هانا. أحبها حقًا. أحبها أكثر مما أحب حياتي نفسها. إنها ابنتي. إنها طفلتي الصغيرة.

لكن ليام هو مفضلي. لا حيلة لي في ذلك. منذ اللحظة التي وُلد فيها وأصبحتُ أمًّا، عرفتُ أنه مهما كان عدد الأطفال الذين سأنجبهم، سيظل هو المفضّل. لم يكن لدى أي شخص آخر فرصة. حتى لو أحببت هانا بيضي أكثر ولم تقلب عينيها، لن يغير ذلك شيئًا. سيظل ليام هو المفضل.

إنه المفضل لدي، حتى مع معرفتي بما هو قادرٌ على فعله.

وسأحميه بكل ذرةٍ في كياني.

الفصل الثالث

إيريكا

ما إن فرغت هانا وليام من إفطارهما، حتى ارتطم الباب الخلفي مغلقًا. إنه جيسون، عاد لتوّه من جولة الجري.

قبل عام تقريبًا، اشتريتُ ميزانًا لحمامنا الرئيسي. وفي المرة الأولى التي صعد فيها زوجي عليه، تملكه الرعب. «هل أصبحتُ سمينًا حقًا إلى هذا الحد يا إيريكا؟» سألني هذا السؤال نحو عشرين مرة خلال الأيام التالية، متبوعًا بعبارة: «كيف تركتِني أصل إلى هذا الوزن؟». وبحلول نهاية الأسبوع، قطع عهدًا غليظًا على نفسه باستعادة لياقته. قرر أن يأكل طعامًا صحيًا، ويمارس الرياضة، ويعود إلى الوزن الذي كان عليه يوم زفافنا. (وللإنصاف، كان وزنه زائدًا عشرة أرطال على الأقل يوم زفافنا).

ضحكتُ حينها. لكنه فعلها حقًا؛ إذ يواظب الآن على الجري كل صباح. توقف عن شراء تلك العلب العملاقة من حلوى «إم آند إمز». واستبدل الكوكاكولا العادية بالدايت (أو كوكاكولا زيرو، التي يزعم أن طعمها أفضل بكثير من الدايت، وإن كنتُ أشكك في ذلك). لا أفقه الكثير في الأرقام المثالية للميزان، لكن من الواضح أن جيسون، وهو في الخامسة والأربعين، يعيش أفضل حالاته البدنية. لم ألحظ قط أن "كرشه" كان ينمو إلا حين اختفى. ومؤخرًا، عندما اجتمعنا مع بعض الأزواج الآخرين، علّقت إحدى الزوجات بأن زوجي يبدو «جذابًا ومثيرًا». شعرتُ بفخر غريب، رغم أن الأمر جعلني أشعر بالحاجة للبدء في دروس الكيك

بوكسينغ أو الزومبا أو أي شيء يشد تلك المناطق الرخوة المترهلة في جسدي الكهلي.

صاح جيسون وهو يعرج نحو الموقد لينضم إليّ، وقميصه مبلل بالعرق:

- «إيريكا! هل تُعدّين البيض؟ أنا أتضور جوعًا.»

كانت ركبته تؤلمه في الأسابيع القليلة الماضية، لكنه يحاول التحامل عليها.

كسرتُ بيضة في المقلاة التي تصدر أزيزًا وقلت:

- «طلبك مُجاب.»

مال نحوي ليقبلني على عنقي، وكانت لفتة لطيفة رغم عرقه الغزير، ثم قال مازحًا بلكنته التي يحاول فيها حشر كلمة "بيض" في أي وصف:

- «هذا عملٌ "بَيْضِـ" ـيع!» قاصدًا "بديع".

تأوهت هانا قائلة:

- «يا إلهي يا أبي. أرجوك.»

رمش جيسون بعينيه تجاهها وقال:

- «ما الخطب؟ أنا فقط "مُتَبَيْـ" ـهِج بطبخ والدتك!» قاصدًا "مبتهج".

ضحك ليام. لقد اعتدنا جميعًا تلاعب جيسون اللفظي. القاعدة العامة هي أن نكاته دائمًا سيئة، لكنها أحيانًا تكون سيئة لدرجة تجعلها مضحكة.

هزت هانا رأسها نحوه قائلة:

- «أرجوك توقف يا أبي. أنت تثير "القشعريرة" الآن.»

"القشعريرة" أو (Cringe) هي الكلمة التي تستخدمها هانا كثيرًا لوصف كل ما أفعله أنا أو جيسون تقريبًا. أكره اعترافي بأن الأمر يضايقني نوعًا ما، رغم

أن جيسون يجد الأمر مسليًا. منطقه في ذلك هو أنه لم يكن يومًا شخصًا "كول" أو رائعًا، فلماذا ينزعج لأن ابنته المراهقة لا تراه كذلك؟

قال جيسون:

— «ألا يتوجب عليكِ الاستعداد للمدرسة يا هانا؟ أليس لديكِ "اخْتِبَيْـ" ـار اليوم؟»

ضحكتُ أنا أيضًا هذه المرة، وإن كان السبب هو تعبير وجه هانا أكثر من النكتة.

انطلقت هانا مسرعة إلى الطابق العلوي لترتدي ملابسها، ولتمشط شعرها —— كما آمل —— حتى لا أُتّهم بإهمال الأطفال، بينما تجول ليام نحو غرفة المعيشة لأنه يستشعر اللحظات التي نريد فيها بعض الخصوصية. واصلتُ تقليب بيض جيسون. نار هادئة وتقليب بطيء.

قال جيسون متأملًا وهو يمرر يده على مؤخرة عنقي:

— «أتعلمين أنني آكل بيضكِ منذ عشرين عامًا؟ عشرون عامًا من بيض إيريكا.»

— «ألم تسأم منه؟» قلتها كمزحة، لكن جزءًا ضئيلًا مني كان جادًا. ففي النهاية، قضى جيسون العام الماضي في نحت جسده. لقد صار أكثر وسامة وجاذبية. كل ما ينقصه الآن هو سيارة جديدة لامعة وعدسات لاصقة تحل محل نظارته ذات الإطار السلكي، وسيدخل رسميًا في نمط أزمة منتصف العمر.

جذبني إليه وضغط شفتيه على شفتي، قائلًا:

— «لا والله.»

قاطع ذلك عملية طهي البيض تمامًا، لكنني لم أمانع. لم يحلق ذقنه بعد، فدغدغت شعيراته ذقني.

تابع قائلًا:

– «آمل أن أظل آكل بيضك لعشرين سنة أخرى.»

قاطعت هانا تلك اللحظة اللطيفة جدًا بيني وبين جيسون وهي تنزل الدرج قائلة:

– «يع، مقرف!»

كانت ترتدي بنطال جينز أزرق وقميصًا واسعًا، وشعرها مشدود إلى الخلف في ذيل حصان فوضوي. ربما كانت تقصد أن تبدو بمظهر "الفوضوية الأنيقة"، لكنها بدت فوضوية وحسب.

أضافت:

– «علاقتكما تحتاج لغرفة خاصة.»

رفع جيسون حاجبيه وقال:

– «حسنًا، هذا منزلنا. إذا أردتِ البدء في دفع الإيجار، فحينها يمكنكِ إخباري متى يُسمح لي بتقبيل زوجتي المثيرة.»

اكتفت هانا بتقليب عينيها.

نظرتُ إلى ساعتي وقلت:

– «حسنًا يا هانا، عليكِ الإسراع. ستكون حافلة المدرسة عند الناصية خلال... تباً! لقد مرت دقيقة بالفعل.»

– «أوه لا. أعتقد أن عليكِ توصيلنا.»

– «يا للعجب، كم هو مضحك كيف سارت الأمور...»

تكره هانا حافلة المدرسة كرهًا شديدًا. من اللحظة التي تستيقظ فيها كل يوم، تخطط لطريقة تجعلني أوصلها بها. اتفقنا مسبقًا أنه حين يحصل ليام على

رخصته، يمكنه توصيلهما كل صباح. بالطبع، سيكون في الجامعة خلال أقل من عامين. وفكرة أن تكون هانا خلف عجلة القيادة ليست أقل من مرعبة.

أنهيتُ طهي بيض جيسون، وحشرتُ هانا وليام على مضض في سيارتي الخضراء من طراز "تويوتا فور رانر". لم أظن يومًا أنني سأكون من نوع الأمهات اللواتي يقدن سيارات الدفع الرباعي، خاصة واحدة بهذا الحجم الضخم. تمسكتُ بسيارتي "هوندا سيفيك" الصغيرة حتى بعد إنجاب ليام. لكن جيسون أشار إلى صعوبة تثبيت مقعدين للأطفال في المقعد الخلفي للسيارة الصغيرة، وعرفتُ أن الوقت قد حان للترقية. لذا اشترينا الدفع الرباعي. أعلم أن هذا يبدو دراميًا، لكن في المرة الأولى التي رأيتها مركونة في مرآبي، كدتُ أنفجر بالبكاء. لكنني اعتدتُ عليها الآن. إنها تشعرني بالأمان، وهو أمر مهم حين يكون أطفالك معك في السيارة. ولهذا السبب، عندما أخذ جيسون ليام لدرس في القيادة الأسبوع الماضي، استخدم هذه السيارة.

استولت هانا على المقعد الأمامي (أو مقعد "الشوت غن" كما تسميه)، وهو أمر مؤسف، لأنه يعني أنها ستتحكم في موسيقى السيارة. إنها منحازة جدًا لموسيقى شبان صغار لا يبدو أنهم قادرون على إنبات شعر في وجوههم بعد.

تذمر ليام بعد دقيقتين من القيادة:

– «ألا يمكننا الاستماع لشيء مختلف؟ أي شيء آخر؟»

اضطررتُ للموافقة.

قالت هانا:

– «للعلم، جاستن بيبر مغنٍ موهوب للغاية.»

– «أوه، حقًا؟»

عدّلت ذيل حصانها الفوضوي وقالت:

– «أجل، هو كذلك! لديه طبقة صوتية استثنائية.»

ابتسم ليام ساخرًا:

– «بالتأكيد. هذا ما يعجبكِ فيه. طبقته الصوتية.»

– «لنفترض أنني أجده جذابًا. وماذا في ذلك؟ ليس وكأنك مهتم بـ "أوليفيا" بسبب ذكائها.»

أوليفيا؟ من أوليفيا هذه؟

نظرتُ في مرآة الرؤية الخلفية في الوقت المناسب تمامًا لأرى وجه ليام يتحول للأحمر القاني. لقد أصبح بارعًا للغاية في إخفاء ردود أفعاله، لكنه لم يستطع إخفاء هذا الرد هذه المرة. لكن عندما أشحتُ بنظري للحظة ثم تحققت من المرآة مجددًا، كان قد استعاد رباطة جأشه.

توقفت السيارة فجأة عند الإشارة الحمراء. سألتُ بأكبر قدر ممكن من العفوية:

– «مَن أوليفيا؟»

نظر ليام من النافذة وقال:

– «لا أحد. مجرد فتاة.»

لكن شكرًا لله أن هانا كانت معنا في السيارة. أطلقت نخرة ضحك وقالت:

– «مجرد فتاة؟ ليام واقع في غرامها تمامًا.»

ضحك قائلًا:

– «لا، لست كذلك.»

– «يا إلهي، أنت كذلك. لا تحاول الإنكار حتى.»

رمقتني هانا بنظرة وكأنني صرت كاتمة أسرارها الجديدة:

– «يجب أن تري الطريقة التي ينظر بها إليها. إنه مغرم بها كليًا.»

— «أيًا كان.»

نظرتُ في المرآة الخلفية مرة أخيرة لأراقب ابني. ليام هو أكثر مراهق في السادسة عشرة متماسك الأعصاب عرفته في حياتي. ولهذا السبب هو بارع جدًا في المناظرات، بالإضافة لذكائه الفطري واستعداده الدؤوب. لا يفقد أعصابه أبدًا. ولا يسمح لأحد بمعرفة ما يدور في ذهنه. لكنني أعرفه منذ زمن طويل يكفي لأن أتمكن عادةً من التمييز. عادةً.

أنا سعيدة حقًا لأنني ذاهبة لهذه المناظرة بعد المدرسة. أردتُ رؤية أداء ليام. كان ذلك السبب الذي أخبرته به، وكنت أعنيه. لكن الآن، لدي سبب جديد وأكثر أهمية للذهاب.

يجب أن أعرف من هي أوليفيا.

ويجب أن أمنع حدوث مكروه لها.

الفصل الرابع

محضر تحقيق الشرطة مع شارون أندرسون:

– «هلا أخبرتني كيف تعرفين ليام كاس؟»

– «التحق بروضة الأطفال في المدرسة التي أعمل مديرة لها.»

– «لكم من الوقت التحق بها؟»

– «نحو أربعة أشهر.»

– «وكان هذا قبل أحد عشر عامًا؟»

– «هذا صحيح.»

– «إذًا لا تزالين تذكرين طفلًا ارتاد مدرستك لأربعة أشهر قبل عقد من الزمن؟»

– «أجل. أذكر ليام. أذكره جيدًا جدًا.»

– «وماذا كان انطباعك عنه؟»

– «في البداية؟ بدا طفلًا رائعًا. جذابًا حقًا. وذكيًا — كان بالتأكيد أذكى طفل في صفّه. أذكر أنه وقف أثناء طابور الصباح وألقى خطبة طويلة حفظها عن ظهر قلب. لم أصدق أن طفلًا في الروضة يمكنه تذكر كل ذلك. لقد كنت منبهرة.»

— «وكيف التحق بالمدرسة لأربعة أشهر فقط؟ أليس العام الدراسي تسعة أشهر؟»

— «ليام... طُرد.»

— «طُرد طفل في الروضة؟»

— «إنه أمر غير معتاد. لكن الظروف استدعت ذلك.»

— «فهمت. ولماذا كان ذلك؟»

— «كان هناك حادث.»

— «هل يمكنكِ وصف الحادث لي؟»

— «أجل...»

— «هل تتفضلين بوصف الحادث يا سيدة أندرسون؟»

— «كان الأمر... كانت هناك فتاة...»

— «نعم...؟»

— «حسنًا، هي وليام كانا صديقين. وكثيرًا ما لعبا معًا في وقت الاستراحة، أو هكذا أخبرتني معلمته لاحقًا. وفي أحد الأيام أثناء الاستراحة، تلك الفتاة... اختفت.»

— «فهمت. وهل عثروا عليها؟»

— «أجل. عثروا عليها. وكانت... بخير.»

— «أين وجدوها؟»

— «هل لهذا علاقة بتلك الفتاة من المدرسة الثانوية؟ تلك التي...؟»

— «أخشى أننا لا نستطيع مناقشة ذلك في الوقت الحالي.»

– «أجل. أجل، بالطبع. لكن هل تظن أن ليام هو من...؟»

– «مرة أخرى يا سيدة أندرسون، هذا ليس أمرًا يمكنني مناقشته.»

– «بالطبع. أنا آسفة.»

– «والآن، هلّا أخبرتني أين وجدوا تلك الفتاة؟»

– «إذًا... القصة التي نُقلت لي هي أن ليام وتلك الفتاة الصغيرة كانا يلعبان لعبة "عامل الصيانة". تسللا بعيدًا وذهبا إلى خزانة أدوات التنظيف أثناء الاستراحة. يبدو أنها كانت مفتونة بليام وهو أقنعها بالأمر.»

– «وماذا حدث في خزانة الأدوات؟»

– «عثروا على لفة من الشريط اللاصق المقوّى. وكانا يلعبان بها.»

– «كيف كانا يلعبان بها؟»

–«...»

– «سيدة أندرسون؟»

– «أنا آسفة. كان الأمر... صادمًا للغاية. لا أزال غير قادرة على تجاوزه. أن يقوم طفل في الروضة بـ...»

– «بماذا؟»

– «لقد أقنعها بأن تسمح له بتقييد معصميها بالشريط اللاصق. ثم وضع شريطًا على فمها. وبعد ذلك...»

– «نعم...؟»

– «حسنًا، لسنا متأكدين مما فعله تاليًا. الشيء الوحيد الذي نعرفه بيقين هو أنه حبسها في الخزانة ومضى مبتعدًا. وحتى حين لوحظ اختفاؤها وكان المعلمون يبحثون عنها، لم يخبر أحدًا بمكانها. مرت عدة ساعات قبل أن نعثر

عليها أخيرًا ــــ كانت مقيدة على أرضية الخزانة ورفضت التحدث مع أي شخص. لأيام، في الواقع.»

– «ماذا تظنين أنه فعل؟»

– «لا أدري. كان مجرد طفل صغير. يصعب تخيل أنه قادر على فعل شيء بذلك السوء، لكن النظرة في عيني تلك الفتاة حين وجدناها...»

– «فهمت.»

– «بالطبع، أصيب والداها بحالة هستيرية. وبالنظر لكل ما حدث، لم يكن لدينا خيار سوى طرد ليام من المدرسة.»

– «عندما واجهتِه بما فعل، كيف كانت ردة فعله؟»

– «اعتذر. بالطبع فعل. ادّعى أنها كانت مجرد لعبة ممتعة وأنها وافقت عليها. حتى إنه بكى. لكن...»

– «لكن ماذا؟»

– «لكنني لم أصدقه قط. حتى وهو ينتحب في مكتبي، بدا الأمر مصطنعًا بشكل لا يصدق. لا أعتقد أنه كان نادمًا على الإطلاق. ولا حتى قليلًا. الشيء الوحيد الذي أعتقد أنه ندم عليه هو أننا عثرنا عليها.»

الفصل الخامس

إيريكا

وصلتُ إلى المدرسة بعد ستين ثانية تقريبًا من وصول الحافلة المدرسية.

ودعتني هانا على عجل ثم انطلقت كالسهم خارج السيارة. أتذكر حين كانت في مرحلة ما قبل المدرسة، كيف اعتادت التشبث بساقي بكلتا ذراعيها حين أحاول توصيلها صباحًا. وحين كنت أحاول المغادرة، كانت تصرخ بأعلى رئتيها وكأن أحدهم يحاول قتلها. أما الآن، فلو حاولتُ مجرد تقبيلها قبلة الوداع، لماتت من شدة الحرج.

ليام هو النقيض تمامًا. عندما كان أصغر، لم يواجه أي مشكلة قط في مفارقتي حين أوصله. كان يقبلني مودعًا ثم يركض للعب دون تردد. والآن، مال بجذعه من المقعد الخلفي وقبّلني على خدي، غير عابئ بأي شخص قد يشهد هذا العرض من العاطفة.

فتح الباب الخلفي وقال:

– «وداعًا يا أمي. أحبك.»

ابتسمتُ. يمتلك ليام براعة مذهلة في قول الشيء الصحيح تمامًا.

– «أحبك أيضًا يا حبيبي.»

ألقى حقيبة ظهره على كتفه وأسرع نحو الباب الأمامي قبل أن يقرع الجرس. راقبته بعيني، باحثةً عن أي فتاة قد تكون "أوليفيا". أي شيء قد يجعل مهمتي أسهل. وهذه ليست مهمة سهلة. بل ستزداد صعوبة كلما كبر في السن.

— «هل هذه إيريكا كاس بالداخل؟»

رفعتُ رأسي فجأة. كانت جيسيكا مارتينسون تقف خارج سيارتي، تحدق عبر نافذتي المفتوحة قليلًا. لا أدري من أين ظهرت، فسيارتها ليست في الجوار. لا بد أنها كانت في اجتماع مع أحدهم داخل المدرسة، وهو أمر غير مستغرب من جيسيكا، رئيسة مجلس الآباء والمعلمين. اعتدنا أنا وجيسيكا أن نكون مقربتين، قبل سنوات، حين كان ليام وابنها تايلر صديقين.

لم نتقرب أنا وجيسيكا إلا بسبب صداقة ليام وتايلر، وقد تباعدنا منذ توقف الولدان عن قضاء الوقت معًا. ولأعترف، لقد أقلقني توقفهما عن الصداقة. سألتُ ليام لماذا لم يعد يستضيف تايلر مارتينسون، فاكتفى بهز كتفيه. لو كانت هانا، لأشعل هذا السؤال مونولوجًا مدته ساعة عن كل خطأ ارتكبه تايلر. لكن ليام ليس كذلك. إنه لا يتحدث عن الأمور بالطريقة التي تفعلها أخته.

الأطفال يتباعدون. كلاهما كبر، ولا يتشاركان أي نوادٍ أو اهتمامات. يلعب تايلر كرة القدم، بينما يمارس ليام ألعاب القوى والمناظرات. كما أن ليام ليس لديه أي أصدقاء مقربين — لا يبدو مهتمًا بامتلاك ذلك النوع من الصداقات الوثيقة التي يمتلكها الأطفال الآخرون. لكنني قلقة دائمًا بشأن السبب الذي أدى لتصدع صداقتهما. التباعد أمر طبيعي. لكن ما يخيفني هو احتمال أن ليام قد فعل شيئًا عجّل بانهيار تلك الصداقة.

وبالتأكيد، لن تكون تلك المرة الأولى.

قالت جيسيكا:

— «في الواقع، أنا سعيدة جدًا لرؤيتك يا إيريكا. ثمة شيء أحتاج للتحدث معك بشأنه. إنه أمر عاجل.»

عاجل؟ انعقدت معدتي في عقدة. ماذا فعل ليام هذه المرة؟

— «أوه...»

دسّت خصلة من شعرها الأشقر الذهبي خلف أذنها. لديها تسريحة ذيل حصان فوضوية، مثل هانا، لكن بخلاف هانا، كانت تسريحتها أنيقة بشكل مؤلم.

— «هل يمكننا احتساء بعض القهوة؟ هل لديك وقت؟»

لدي قائمة طويلة من المشاوير لإنجازها هذا الصباح، لكنني لا أستطيع الرفض.

— «بالتأكيد.»

— «رائع! ما رأيك في مطعم تشارليز؟»

"تشارليز" مطعم صغير يبعد خمس دقائق من هنا. جيد لكوب سريع من القهوة صباحًا. تقابلنا أنا وجيسيكا هناك عشرات المرات على مر السنين.

— «سأقود إليه حالًا.»

غمزت لي قائلة:

— «أراكِ خلال خمس دقائق.»

وبينما كانت جيسيكا تهرول مبتعدة نحو سيارتها "الدفع الرباعي" الوحشية الخاصة بها، نظرتُ ليديّ القابضتين على عجلة القيادة. كانتا ترتجفان. عمّا تريد جيسيكا التحدث معي؟ لا يمكن أن يكون الأمر بذلك السوء، أليس كذلك؟ بدت ودودة بما يكفي. لكن هذه هي مشكلة جيسيكا. يمكنها أن تخبرك بشيء مروع في وجهك مباشرة والابتسامة تعلو شفتيها. لقد رأيتها تفعل ذلك من قبل.

أعدتُ سيارتي لوضع القيادة وشققتُ طريقي إلى تشارليز.

الفصل السادس

أوليفيا

بفضل ليام كاس، أنا أرسب في مادة الرياضيات.

لا، ربما لن أرسب، لكن الأمور لا تبدو مبشرة بالنسبة لي. أنا بارعة في الرياضيات ــــ دائمًا ما أحصل على تقدير امتياز، إن لم يكن امتيازًا مرتفعًا. لكن في هذا الفصل الدراسي، سأكون محظوظة لو نلت تقدير "جيد". والسبب كله يعود لليام. لأنه منذ اللحظة التي أخطو فيها داخل الفصل في العاشرة والنصف وحتى يقرع الجرس بعد أربعين دقيقة، كل ما يمكنني التركيز عليه هو الصبي الجالس أمامي.

لم أكن يومًا مهووسة بالأولاد. لا أستطيع قول الشيء نفسه عن صديقتي المفضلة ماديسون، التي تفكر في الأولاد دون توقف. لقد رسبت ماديسون بالتأكيد في مواد من قبل بسبب شاب وسيم يجلس أمامها. وتجاهلت الدراسة للاختبارات لتتسكع مع الأولاد الذين يعجبونها. هذا أسلوبها نوعًا ما. وكنتُ دائمًا أسخر منها. أعني، كيف يمكنكِ تفضيل صبي على تعليمك؟ أقصد، الأولاد في عمري كلهم حمقى إلى حد كبير وليسوا حتى بتلك الجاذبية ــــ فمعظمهم ذوو وجوه دهنية ولحى خفيفة شعثاء.

أريد الالتحاق بكلية جيدة ــــ تلك أولويتي. كيف يمكن المخاطرة بمستقبلك بالكامل من أجل شاب وسيم؟ هذا سخيف جدًا.

ثم في اليوم الأول من المدرسة هذا العام، جلس ليام أمامي في حصة الرياضيات، وأدار رأسه ليرسل لي ابتسامة، فتهتُ تمامًا. لم يكن وجهه دهنيًا ولا لحيته مرقعة — كان فاتنًا. أكره نفسي لذلك، لكنني لا أستطيع منع نفسي من التحديق فيه. كل مرة يبتسم لي، تتسارع دقات قلبي. لديه ابتسامة رائعة. وعينان بنيتان جميلتان بحق. عيناه كبركِ سباحة لا نهائية من الشوكولاتة بالحليب. يمكنني كتابة شعر رديء في هذا الفتى. وخلال شهر آخر، سأكون مشغولة بحفر الأحرف الأولى من اسمينا داخل قلب مخدوش على خشب متبكي — إلى هذا الحد وصل بي السوء.

كان لدينا اختبار قبل بضعة أيام، وكان كارثة حقيقية. لا أستطيع التركيز أثناء المذاكرة، لأنه بمجرد أن أفتح الكتاب وأرى حسابات "الجيب" و"جيب التمام"، يذهب عقلي إلى ليام. وبالطبع، لم أستطع التركيز وأنا أخوض الاختبار فعليًا — ليس وهو جالس أمامي مباشرة. نجحتُ بشق الأنفس — اثنتان وسبعون درجة. أما ليام، الذي من الواضح أنه لا يواجه أي مشكلة في التركيز بوجودي خلفه، فقد نال ثمانيًا وتسعين.

يجب أن أتوقف عن التفكير في هذا الفتى. إنه مجرد فتى. تعليمي أهم بكثير. يجب أن أركز.

ركّزي يا أوليفيا.

إلا أنه حين دخل ليام الفصل اليوم، لم يكن يرتدي بنطال الجينز والقميص المعتاد. كان يرتدي سروالًا كاكيًا أنيقًا وقميصًا رسميًا. وربطة عنق. يا إلهي، إنه يرتدي ربطة عنق. عادة ما يكون وسيمًا، لكنه بملابس رسمية، رفع مستوى المنافسة. بدت تلك لمحة استباقية لما سيبدو عليه من وسامة حين يصبح رجلًا بالغًا. ورغمًا عني، بدأت معدتي تتشقلب كلاعب جمباز.

ركّزي يا أوليفيا!

وبينما ينزلق ليام في مقعده أمامي، يرمقني بتلك الابتسامة التي تذيب ركبتي.

– «مرحبًا.»

– «مرحبًا.»

بحثتُ في عقلي محاولة التفكير في شيء ذكي أو مضحك لأقوله. أقضي معظم حصة الرياضيات وأنا أحاول فعل ذلك.

قلت:

– «أنت بكامل أناقتك.»

أحسنتِ يا أوليفيا.

شرح قائلًا:

– «لدينا مناظرة اليوم. إنها حدث كبير نوعًا ما. سننافس مدرسة أخرى.»

– «واو. هل أنت متوتر؟»

– «قليلًا.»

ضحك، رغم وجود رعشة طفيفة في صوته جعلتني أظن أنه متوتر أكثر مما يظهر.

– «إذا فزنا، سنذهب لمنافسة الولاية في ألباني. هذا رائع جدًا.»

– «ماذا تفعلون أثناء المناظرة على أي حال؟»

حك شعره البني الداكن وقال:

– «نجادل، في الغالب. الأمر ممتع نوعًا ما.»

رفع حاجبيه نحوي وأضاف:

– «هل... هل ترغبين في المجيء للمشاهدة؟»

– «أنا؟» خرج صوتي بنبرة حادة ومحرجة.

يا إلهي، كان ذلك ردًا غبيًا جدًا. من الواضح أنه يدعوني. من غيري سيدعو؟

وماذا يعني هذا؟

— «آه...» تلاشت ابتسامته قليلًا. «أعني، إذا أردتِ. قد يكون الأمر مملًا لكِ. ربما لا تريدين الذهاب.»

أوه لا، إنه يتراجع.

— «لا، يبدو أن الأمر قد يكون ممتعًا. ليس لدي أي شيء آخر أفعله.»

تلك كذبة صريحة. يفترض بي أن أكون في تدريب الكورال بعد المدرسة اليوم. لكن الحقيقة هي أنني زهدتُ في الكورال منذ لم أحصل على آخر مقطعين منفردين تقدمت لهما. وحتى لو حصلت عليهما، لا يمكنني قول "لا" لليام. هذه أول مرة يدعوني فيها لمكان ما.

أضاءت عيناه.

— «سيكون ذلك رائعًا. أعني، إن استطعتِ المجيء. لكن إن طرأ شيء آخر، فلا بأس أيضًا. ليست مشكلة كبيرة.»

لا أكاد أصدق. يبدو سعيدًا حقًا لأنني سآتي. يا إلهي، لا توجد أي طريقة تمكنني من التركيز في الحصة الآن. سأحصل على درجة مريعة في الرياضيات هذا الفصل. والجزء الأكثر رعبًا هو أنني، في هذه اللحظة، لا أبالي إطلاقًا.

الفصل السابع

إيريكا

ما إن ولجتُ إلى مطعم تشارليز، حتى رحتُ أرمش بعينيّ لتعتادا على أضواء النيون الساطعة في السقف. تلك المصابيح دأبت على الوميض والانطفاء منذ أن وعيتُ على الدنيا، لكن ذلك يعد جزءًا من سحر المطعم، تمامًا كطاولاته البلاستيكية وأغطية المقاعد الممزقة. لطالما كان تشارليز موجودًا هنا منذ الأزل، وهو لا يبذل أي جهد لإخفاء حقيقة قِدمه.

كانت جيسيكا قد حجزت طاولة بالفعل وترتشف كوبًا من القهوة. راقبتها للحظة قبل الاقتراب. أعلم أنها في مثل عمري، لكنها تبدو رائعة. ترتسم على وجهها خطوط الضحك نفسها التي لدي، لكنها بطريقة ما تجعلها تبدو جذابة. لقد أتقنت مظهر "ربة المنزل العفوية"، بقميصها الذي يشجع فريق كرة القدم في المدرسة الثانوية، وسروال اليوغا الضيق، مع حذاء "باليه" مسطح. أما أنا، فقد ارتديتُ أول ما لمسته أصابعي حين دخلتُ غرفة النوم لأتجهز على عجل حتى يلحق هانا وليام بالمدرسة في الوقت المحدد. وانتهى بي الأمر ببنطال "جينز الأمهات" وكنزة صوفية. ماذا عساي أقول؟ جينز الأمهات مريح.

أنا وجيسيكا، في الجوهر، ربتا منزل، مثل كثير من الأمهات هنا. يكاد المرء يقول إنها عدوى منتشرة. حين التقيتُ بجيسون، كنتُ أعمل صحفية في جريدة بمانهاتن. كان راتبي زهيدًا للغاية، لكن فرص الترقي كانت وفيرة، ولو بقيتُ هناك، لربما حظيتُ بوظيفة مرموقة الآن. ربما انتقلتُ لصحيفة أفضل. وربما صرتُ رئيسة تحرير. لكن بعد حملي، أقنعني جيسون بالانتقال إلى الجزيرة.

وافقتُ لأنني سئمتُ شقتنا الصغيرة في مانهاتن، لكن بمجرد وصولنا، أصبحت رحلة التنقل للعمل جنونية. أشار جيسون إلى أنني لا أكسب حتى ما يقارب المبلغ الذي سندفعه لرعاية الأطفال، وأن دخله كفيل بإعالتنا براحة.

لذا استقلتُ. مؤقتًا.

كانت لدي نية كاملة للعودة إلى العمل بعد بدء ليام مرحلة الروضة. لكن هانا جاءت بعد عامين. وبين الاثنين، كانت هناك دائمًا حالة طوارئ تلوح في الأفق. كانت هانا تصاب بالتهابات الأذن كل أسبوعين، وفي الأسابيع التي تسلم فيها أذناها، تصاب بالتهاب الملتحمة. ثم كانت هناك تلك الفوضى العارمة مع ليام.

حاليًا، أعمل لصالح صحيفة محلية تُدعى ناساو نتشيل. يمكنك أن تستنتج من الاسم أنهم يمارسون صحافة استقصائية قوية... لا، ليسوا كذلك. يصدرون عددًا واحدًا كل أسبوع، وأساهم بمقالين، غالبًا عن الفعاليات المحلية أو نصائح التربية. في الأسبوع الماضي، كتبتُ مقالًا يعرض ثلاث وجبات يمكنك طهيها للعائلة بأكملها في عشرين دقيقة أو أقل. ما يدفعونه لي شهريًا لا يغطي حتى ثمن البقالة التي اشتريتها لطهي تلك الوجبات الثلاث، لكنه يحفز عقلي ويسمح لي بالكتابة من المنزل. يفتعل جيسون دائمًا جلبة كبيرة حين تصدر الصحيفة ويقرأ كل مقالاتي، ومن الممتع رؤية اسمي مطبوعًا. لا، إنها ليست "نيويورك تايمز"، لكنها شيء ما. في الوقت الراهن.

أما جيسيكا، من ناحية أخرى، فقد تبنت أسلوب حياة "ربة المنزل" بالكامل. إنها الوالدة الأكثر ظهورًا في المدرسة الثانوية، وأطفالها منخرطون في كل رياضة ونشاط لا صفي يمكن تخيله. في لحظاتي الأكثر تفاؤلاً، آمل أن يكون هذا هو سبب عدم بقاء تايلر وليام صديقين؛ لأن تايلر مشغول جدًا وحسب.

صاحت جيسيكا وهي ترسل لي ابتسامة مشرقة حين انزلقتُ إلى المقعد المقابل لها:

— «إيريكا! من الرائع قضاء بعض الوقت معك. لقد مر دهر، أليس كذلك؟»

هل يمكننا تجاوز الأحاديث الجانبية وتخبرينني بالشيء العاجل الذي تودين قوله؟

اصطنعتُ ابتسامة وقلت:

– «أجل. لقد مر وقت طويل حقًا.»

– «يجب أن نكرر هذا كثيرًا، ألا تظنين ذلك؟»

أومأتُ برأسي.

– «بالتأكيد.»

لن نفعل. كنتُ صديقة لعديد من أولياء الأمور في المدرسة، لكن لدي أسبابي الآن للحفاظ على مسافة بيني وبينهم.

أشرتُ لنادلة لأطلب كوبًا من القهوة. أيًا كان ما ستقوله، سيكون تقبله أسهل بعد جرعة من الكافيين.

سألت جيسيكا بعد انصراف النادلة:

– «كيف حال والدتك؟»

يجب أن تكون جيسيكا مارتينسون سياسية؛ فهي بارعة في تذكر التفاصيل الصغيرة عن كل من تعرفهم. ورغم علمي بأن الأمر كله تمثيل، شعرتُ بتأثر غريب لأنها تذكرت السؤال عن أمي. والحقيقة أن أمي تشغل بالي كثيرًا مؤخرًا. إنها تقارب الثمانين وتعيش بمفردها تمامًا في منزل صغير بنيوجيرسي. لكنها صلبة —— توفي والدي وأنا صغيرة جدًا، وهي تتدبر أمرها وحدها منذ ذلك الحين.

أجبتها:

– «إنها صامدة. أتمنى لو تنتقل للعيش قربنا، لكنها عنيدة حقًا. لن تترك منزلها أبدًا.»

– «أعرف ما تعنينه.»

أخذت جيسيكا رشفة من قهوتها. لقد صبت فيها الكثير من الكريمة حتى باتت تشبه حليب الشوكولاتة.

وتابعت:

– «أمي مثلها تمامًا. لدينا غرفة لها في منزلنا، لكنها ترفض التزحزح.»

– «أفهم ذلك، أعتقد. كل صديقاتها هناك في جيرسي.»

جعدت جيسيكا أنفها وقالت:

– «لكنها جيرسي.»

ضحكنا كلتانا، وتذكرتُ لمَ كنتُ صديقة لجيسيكا في الماضي. إنها بارعة في التحدث مع الناس، سواء كانت تحبهم أم لا. ومن هذا المنطلق، هي تشبه ليام قليلًا.

لكنها لا تشبهه حقًا. على الإطلاق. لا أحد يشبهه.

نحنحتُ حلقي وقلت:

– «إذًا، عمّا أردتِ التحدث معي يا جيسيكا؟»

حبستُ أنفاسي، منتظرة أن تأخذ رشفة أخرى من قهوتها.

قالت:

– «أوه، صحيح. أحتاج لمساعدتك يا إيريكا. ليلة الفيلم توشك أن تتحول إلى كارثة. هل يمكنكِ تولي زمام الأمور؟»

زفرتُ الهواء المحبوس. كان علي أن أعرف أن هذا ما أرادت جيسيكا التحدث عنه. تُقام "ليلة الفيلم" في المدرسة الثانوية مرة سنويًا. ينصبون شاشة كبيرة في ملعب كرة القدم ويتقاضون ثلاثة دولارات للدخول. ويبيعون البيتزا

بدولارين للشريحة. إنه حدث كبير لجمع التبرعات لمجلس الآباء والمعلمين، وبالتالي، يقع عبء تنظيمه على عاتق جيسيكا.

تابعت جيسيكا:

— «كانت راشيل مسؤولة عنه. لكن زوجها —— أتعرفين روب؟ —— أصيب بنوبة قلبية طفيفة. إنه بخير، لكن ذهنها مشتت. الحدث بعد أسبوعين، ولا شيء منظم حتى الآن. هل هناك أي فرصة لتوليكِ المهمة؟ أرجوكِ؟»

— «بالطبع.»

وافقتُ، رغم أنني عكس جيسيكا، لم أستطع يومًا استساغة مجلس الآباء. حين كنا مقربتين، اعتدتُ حضور الاجتماعات، لكنها كانت مملة بشكل لا يطاق. كنت أشعر بالذنب لأن كل ما أردت فعله أثناء الاجتماع هو إخراج هاتفي ولعب "كاندي كراش". لكنني أحاول التطوع في أنشطة المدرسة قدر الإمكان.

— «أنتِ نجمة يا إيريكا!»

مدت يدها لتمسك يدي عبر الطاولة وقاومتُ الرغبة في سحبها. ثمة شيء مشترك بيني وبين ليام، وهو أن المودة الجسدية العابرة تشعرني بعدم الارتياح.

— «شكرًا جزيلًا لك. هل ستأتين لاجتماع المجلس هذا الأسبوع للمساعدة في التنظيم إذًا؟»

أفضل أكل التراب على ذلك.

— «آه، بالتأكيد.»

وصلت النادلة بقهوتي، مما منحني عذرًا لسحب يدي. لم أضف أي حليب أو سكر. أحبها سوداء ومرة.

قالت جيسيكا:

– «يجب أن نجتمع جميعًا مرة أخرى. عائلتك وعائلتي. إنه لأمر محزن أن الأولاد لا يتسكعون معًا كثيرًا الآن. وهانا وإيما لم تتفقا يومًا حقًا.»

– «أجل.»

رحتُ أحرك ملعقتي في القهوة بشرود، رغم أنني أشربها سادة. هذا اللقاء لن يحدث أبدًا. تايلر وليام ليسا صديقين، وهانا تكره ابنة جيسيكا الصغرى بوضوح.

هزت جيسيكا كتفيها قائلة:

– «بالطبع... يقضي تايلر معظم وقت فراغه هذه الأيام مع الفتيات. لا بد أنك تعرفين كيف يجري الأمر. أراهن أن ليام لديه مليون حبيبة.»

شعر فمي بالجفاف. أوليفيا. يجب أن أجدها.

– «في الواقع، لم يبدأ بالمواعدة حقًا بعد.»

رفعت حاجبيها وقالت:

– «لا؟ هذا مفاجئ. ليام... حسنًا، لطالما لاحظتُ مدى إعجاب الفتيات به. حتى أنني سمعتُ إيما وصديقاتها يتحدثن عنه. كانت معجبة به بشدة لفترة.»

– «أجل...»

يصيبني الغثيان لمجرد الحديث عن الأمر. معرفتي في قرارة نفسي بأنني لا أستطيع إيقاف هذا حقًا. إنه مثل قطار شحن يندفع مسرعًا على السكة. يمكنك رمي بضع صخور كبيرة على القضبان لتبطئه ربما، لكنه سيعبر في النهاية. نظرتُ إلى قهوتي، واجتاحتني موجة من الغثيان.

– «أنا آسفة يا جيسيكا، لكنني تذكرتُ للتو أن لدي موعدًا يجب أن ألحق به.»

رمشت بعينيها الزرقاوين الجميلتين. تساءلتُ: أي نوع من العيون تملك أوليفيا؟

– «أوه. حسنًا، كان من الجيد رؤيتك مجددًا يا إيريكا.»

– «وأنتِ أيضًا.»

لكنني كنتُ قد نهضتُ بالفعل من الطاولة وأسرعتُ خارجةً من الباب.

الفصل الثامن

أوليفيا

لم يسبق لي أن حظيتُ بحبيبٍ قط.

بل إنني لم أجرّب قبلةً حقيقيةً من فتى. حسنًا، هذا ليس صحيحًا تمامًا؛ ففي المرحلة الإعدادية، وأثناء «لعبة الصراحة أو الجرأة»، تبادلتُ بضع قبلاتٍ عابرة على الوجنة. لكنني لا أحتسب تلك المرات، فلم تكن قُبلاتٍ حقيقية، لا كتلك التي اختبرتها ماديسون.

ماديسون، التي ارتبطت بفتيين من قبل، وتواعد الآن شابًا يُدعى إيدان؛ وهما لا يكفّان عن تبادل القُبل في كلّ لحظة. صار الأمر وكأنني لا أستطيع القيام بأي نشاط مع ماديسون دون أن يظهر إيدان فجأة، لينهال عليها تقبيلًا بطريقةٍ مقززةٍ تفيض باللُّعاب. لا يبدو الأمر ممتعًا حتى. إن كان هذا هو مفهوم القُبلة، فأنا في غنىً عنه الآن.

لكنّ حدسي يخبرني أن قبلات ليام كاس ستكون شيئًا مختلفًا تمامًا.

كثيرًا ما يسرح خيالي متصورًا كيف ستكون قبلات ليام. لا يقتصر هذا الشرود على حصص الرياضيات وحسب، بل يلازمني طوال الوقت.

ماديسون أجمل مني، لكن ليس بفارقٍ شاسع. فلو قيّمنا الجمال من واحد إلى عشرة، لربما حازت هي السبعة وحزتُ أنا الستة. شعري بنيٌّ ذابل، ورغم أن الناس يمتدحون جمال عينيّ، إلا أنني أدرك تمامًا أن وجهي يغزوه النمش بكثرة

مفرطة. كان النمش يغطي وجهي بكثافة في طفولتي، وقرأتُ ذات مرة أنه يبهتُ مع التقدم في العمر، لكنّ نمشي العنيد يأبى أن يمتثل لتلك القاعدة. صحيحٌ أنه صار أخفّ مما كان عليه، لكنني ما زلت أحمل تلك البقع الصغيرة المتناثرة في كل مكان. ورغم أنني أغرق نفسي في واقي الشمس كلما هممتُ بالخروج، وأرتدي تلك القبعة ذات الحافة العريضة التي يسخر منها أخي الصغير، إلا أن النمش لا يزول.

هذا هو السبب في عدم امتلاكي لحبيب: نمشي اللعين.

ليس الأمر أن أحدًا لم يطلب مواعدتي من قبل؛ فقد دعاني أحدهم في وقت سابق من هذا العام، لكنه تصرف بوقاحة حين رفضت، والحقيقة أنني لم أكن معجبة به. لا أريد الخروج مع أيٍّ كان لمجرد أن أحظى بحبيب؛ أريد أن أخرج مع فتى يعجبني حقًا.

نكزتُ ماديسون ونحن جالستان وسط الجمهور في مسرح المدرسة الثانوية الضخم:

— «ها هو ذا.»

كنتُ قد أقنعتها بمرافقتي لحضور المناظرة اليوم، ولم توافق إلا لأن لدى إيدان تدريبًا لكرة القدم، وعليها انتظاره في كل الأحوال. كان الحضور متناثرًا، بضعة طلاب وأولياء أمور هنا وهناك. لم يسبق لي رؤية مناظرة من قبل، لذا ستكون هذه تجربتي الأولى. ربما أتعلم شيئًا عن... حسنًا، أيًا كان الموضوع الذي يتناظرون حوله.

تتبّعت عينا ماديسون نظراتي نحو المسرح، حيث اصطف فريق المناظرة المدرسي. وكان هو هناك. ليام. يا إلهي، كم يبدو وسيمًا في ذلك القميص الأزرق الأنيق بأزراره المرتبة. ومرة أخرى، قام قلبي بتلك الحركة الغريبة في صدري؛ لو لم أكن أعلم حقيقة مشاعري، لظننتُ أنني بحاجة لطبيب.

ملتُ بظهري إلى المقعد وتمتمتُ:

– «إنه جذاب للغاية.»

قطبت ماديسون أنفها، ذلك الأنف الخالي تمامًا من النمش. ماديسون لا تملك نمشة واحدة، ومع ذلك لا تكف عن التذمر بشأن ذقنها المزدوج.

قالت:

– «لا أدري يا ليف، أنا لا أستلطفه.»

– «أنتِ غريبة الأطوار حقًا. ما الذي لا يعجبك فيه؟ إنه... إنه مثالي ورائع.»

عادت نظرات ماديسون لتستقر على المسرح:

– «إنه... لا أدري. يبدو وكأنه... حين يتحدث، يبدو متصنعًا للغاية.»

– «ماذا تعنين بذلك؟»

– «يصعب شرح الأمر. أشعر أن الجميع هنا حقيقيون، يعيشون حياتهم بعفوية، أما ليام، فيبدو كأنه ممثل يتقاضى أجرًا ليتسكع معنا.»

حدقتُ فيها بذهول:

– «عن أي هراء تتحدثين يا ماد؟»

– «أنا فقط أقول رأيي. أشعر أنني لا أثق به تمامًا. إنه مخادع، أتفهمين؟»

لن أجادلها لأوضح أنه بالمقارنة بين إيدان وليام، فمن الواضح أيهما الأجدر بالثقة. ليام طالب متفوق، ونجم في فريقي المناظرة والجري. بينما إيدان يمتلك بنية ثور هائج، ويرسب في مادتين، وكاد أن يُطرد العام الماضي بسبب شجار بالأيدي في ردهة المدرسة. إن كان هناك من يثير الريبة، فهو إيدان بلا شك.

التقت عيناي بعيني ليام، وربما كان خيالي يبالغ، لكن بدا وكأن وجهه أشرق بالكامل حين رآني، ولوّح لي بحماس. هل يعقل أنه معجب بي بقدر إعجابي به؟ أعني، هو من دعاني للمجيء اليوم، فربما يكون الأمر كذلك. كانت

الفكرة وحدها كافية لتدفع قلبي للخفقان بجنون من جديد. ليام كاس... يا إلهي، إنه لطيف للغاية.

لكنه بدأ يتحدث مع فتاة أخرى تقف معه على المسرح. تلك أوليفيا رينولدز. نتشارك الاسم الأول، لكن التشابه بيننا يقف عند هذا الحد. هي عضو في فريق المناظرة، تمامًا مثل ليام، وهي فائقة الجمال. شعرها أشقر حريري يبدو مصففًا باحتراف، وجسدها يضج بالأنوثة بشكل غير عادل مقارنة بنحافتها. حين تتحدث مع ليام، يبدوان معًا ثنائيًا جذابًا للغاية. بيننا نحن الاثنتين اللتين تحملان اسم أوليفيا، هي بلا شك النسخة المتفوقة.

كيف لـ ليام أن يلتفت إليّ وهي بجواره؟

حاولتُ طرد هذه الأفكار من رأسي.

بالمناسبة، كان ليام عبقريًا أثناء المناظرة. لم أفهم تمامًا ما الذي يتجادلون بشأنه؛ شيء يتعلق بالنقل والمواصلات بين الولايات. كان الموضوع مملًا بصراحة، لكن ليام كان متحدثًا بارعًا. يليق به أن يكون سياسيًا أو شيئًا من هذا القبيل. كلما تحدث، أنصت الجميع باهتمام شديد، حتى أن ماديسون رفعت عينيها عن هاتفها لمدة ثانيتين كاملتين.

تشاور الحكام في النهاية، وفاز فريقنا بالمناظرة. صفقتُ بأعلى ما أوتيت من قوة، بينما اكتفت ماديسون بقلب عينيها بملل. هي لا تهتم بالأنشطة اللاصفية، وللأمانة، أنا كذلك.

سألتني:

— «حسنًا، هل ستذهبين للتحدث معه الآن؟»

رفعتُ عيني بسرعة نحو مقدمة القاعة:

— «ماذا؟»

كان ليام يتحدث مع أوليفيا رينولدز. مجددًا. يا إلهي، إنها جميلة جدًا. هذا ظلم.

– «الآن؟»

زفرت ماديسون بضيق:

– «جعلتِني أجلس طوال هذه المناظرة المملة والغبية، والآن لن تذهبي حتى للتحدث معه؟ هل أنتِ جادة يا أوليفيا؟»

– «إنه مشغول.»

– «وماذا في ذلك؟ قاطعيه.»

– «لا يمكنني الذهاب للتحدث معه فجأة هكذا.»

– «ولمَ لا؟»

– «سيكون الأمر غريبًا.»

رفعت يدها مستسلمة:

– «حقًا يا ليف... لقد نفد صبري.»

ربما لو لم يكن ليام يتحدث مع أوليفيا رينولدز، لكان بإمكاني الاقتراب منه. لكنني لست مخطئة؛ سيكون موقفي غريبًا لو ذهبتُ الآن. سيظن أنني مهووسة تطارده أو شيئًا من هذا القبيل.

شرعتُ في شرح ذلك لماديسون، لكنها لم تكن تصغي، فقد اقتحم إيدان القاعة باحثًا عنها. كان لا يزال بملابس تدريب كرة القدم، وتفوح منه رائحة العرق. يا إلهي، ألم يكن بإمكانه الاستحمام قبل المجيء؟ كان أول ما فعله هو أن أطبق بشفتيه على شفتي ماديسون، واستمرت قبلتهما لخمس دقائق متواصلة. كان منظرًا مقززًا، وحاولتُ ألا أنظر. على الأغلب لن يلاحظا حتى لو غادرتُ المكان الآن.

انفصلت ماديسون عن إيدان لثانية واحدة، ربما لتلتقط أنفاسها، وقالت:

— «مرحبًا إيدان. أخبر أوليفيا أن عليها الذهاب للتحدث مع ليام.»

اشتعل وجهي خجلًا. لم أتفاجأ بأن ماديسون أخبرت حبيبها بإعجابي بـ ليام، لكنني كرهتُ فعلتها تلك. ألا يمكنني الاحتفاظ بأي سر بيني وبين ماديسون بعد الآن؟ أضف إلى ذلك أن إيدان هو أسوأ شخص يمكن أن يؤتمن على سر؛ فهو ثرثار وسيخبر الجميع.

قطب إيدان وجهه وقال:

— «ليام كاس؟ أنا أكره ذلك الفتى. إنه وغد.»

قلتُ مدافعة:

— «لماذا هو وغد؟ إنه لطيف للغاية.»

سخر إيدان قائلًا:

— «أجل، لطيف معكِ أنتِ. على أية حال، تستحقين من هو أفضل منه يا أوليفيا.»

تدخلت ماديسون:

— «هذا ما قلته لها.»

تمتمتُ بصوت خافت:

— «أيا كان.»

التقطت ماديسون حقيبة ظهرها عن المقعد:

— «على كل حال، أنا وإيدان سنغادر. هل تريدين توصيلة للمنزل؟»

بالتأكيد لا أرغب في الجلوس بالمقعد الخلفي بينما يقود إيدان بتهور لأنه منشغل بتقبيل ماديسون ولمس ساقيها أثناء القيادة. أفضل المشي لمسافة ميلين على ذلك.

انطلق إيدان وماديسون عبر الباب الخلفي، بينما عدتُ للجلوس في مقعدي. لا بد أنني مهووسة حقًا، لأنني ما زلت أحدق في ليام. يبدو رائعًا بملابسه الرسمية. جزء مني يود التقاط صورة له بهاتفي لأتأملها لاحقًا. أنا أحدق فيه بشكل مفضوح، هذا مريع، لكنني لا أستطيع التوقف. لهذا السبب أرسب في الرياضيات.

صعد ليام ليتحدث مع مشرفة فريق المناظرة، السيدة راندال، ثم تحدث إلى امرأة جذابة في الأربعينيات، تملك نفس الشعر الداكن والعينين، ولها أنف يشبه أنفه. أعتقد أنها والدته؛ الشبه بينهما كبير. بدا مهذبًا جدًا معها، وهذا مؤشر جيد. قرأتُ على الإنترنت أن لطف الفتيان مع أمهاتهم علامة ممتازة. لا أدري عمّا كانت تتحدث ماديسون، كيف يمكنها القول إنها لا تثق به؟

انتظرتُ حتى غادر معظم الحاضرين القاعة، حينها نظر ليام نحو الجمهور والتقت عيناه بعينيّ. ارتسمت تلك الابتسامة على وجهه مجددًا، وشعرتُ بتلك القشعريرة الدافئة تسري في جسدي كله. أنا متأكدة أن ليام لا يوزع قبلات مليئة باللعاب مثل إيدان. أراهن أنه يقبّل ببراعة.

يا إلهي، إنه قادم نحوي.

نهضتُ متعثرة، أحاول كبح الابتسامة البلهاء التي ارتسمت على شفتي. كيف يبتسم الناس الطبيعيون؟ يبدو وكأنني نسيت الطريقة. يا إلهي، سيظن أنني فاشلة تمامًا.

قال:

– «مرحبًا أوليفيا.»

– «مرحبًا.»

بدا صوتي جيدًا. عفويًا. لم تصدر مني زقزقة غريبة ولم يتطاير رذاذ فمي وأنا أتكلم. انتصار.

فرك ليام مؤخرة عنقه. حين كان على المسرح، بدا واثقًا للغاية. أنا أرتعب من التحدث أمام الجمهور، لكنه لم يبدُ عليه أي توتر. أما الآن، فهو يفرك عنقه ويراوح بين قدميه.

قال:

— «إذن... أمم... هل شاهدتِ المناظرة؟»

ضغطتُ قبضتيّ معًا. بدت يداي رطبتين بشكل غير طبيعي، وكأنني مصابة بالحمى:

— «آها. لقد أبليتَ بلاءً حسنًا حقًا. أعني، في رأيي. لم يسبق لي رؤية مناظرة من قبل.»

سعل ضاحكًا:

— «شكرًا. لقد سارت الأمور بشكل جيد. لقد فزنا.»

— «أعرف.»

— «أوه.»

وها نحن نقف صامتين. عصرتُ دماغي محاولةً إيجاد شيء مثير للاهتمام لأقوله قبل أن يرحل.

— «هل بدأت في حل واجب الرياضيات؟»

هذا سيفي بالغرض.

هز رأسه نافيًا:

— «لا، كنت مشغولًا بالمناظرة منذ انتهاء الدوام.»

– «أوه، صحيح.»

بالطبع، يا للغباء. يا إلهي، لماذا أبدو بلهاء هكذا؟

تابعتُ:

– «حسنًا، لقد حللته، ولم يكن سيئًا للغاية.»

في الواقع، كانت تلك كذبة صريحة. كان من المستحيل أن أركز في واجب الرياضيات وأنا أعلم أنني سأرى ليام بعد قليل.

سعل مجددًا وقال:

– «حسنًا، جيد... اسمعي يا أوليفيا، سأذهب أنا وبعض شباب فريق الجري إلى مطعم "تشارليز" غدًا بعد المدرسة، لنتسكع قليلًا ونتناول الطعام. هل تودين... أعني، هل تريدين المجيء معنا؟»

حدقتُ فيه. هل يدعونني للخروج؟

– «أنا...»

تراجعت الابتسامة عن وجهه قليلًا:

– «لا بأس، الأمر ليس إلزاميًا، كما تحبين.»

– «لا، أعني... نعم. أود المجيء. سيكون ذلك رائعًا. يبدو الأمر... ممتعًا. كما تعلم.»

أضاءت عيناه البنيتان:

– «أجل، سيكون ممتعًا للغاية.»

– «أجل.»

كان فمي جافًا لدرجة أنني بالكاد استطعت الكلام.

– «إذن... هل تودين أن نلتقي أمام المدرسة في الرابعة والنصف؟ الموعد بعد التدريب، ونحتاج وقتًا لـ... كما تعلمين، للاستحمام وما إلى ذلك.»

أومأتُ برأسي:

– «حسنًا. سأكون هناك.»

حسنًا، ربما ليس موعدًا غراميًا رسميًا. لكنني أعتقد حقًا أن ليام قد يكون معجبًا بي. أعني، لقد بدا سعيدًا جدًا حين وافقت. ويريد الاستحمام قبل اللقاء لتبدو رائحته زكية. إذن، كلها علامات جيدة.

يا إلهي، لدي موعد مع ليام. أنا أكاد أطيرُ فرحًا!

الفصل التاسع

إيريكا

ليام خطيبٌ مفوّه. لطالما امتلك تلك الموهبة الفطرية للوقوف أمام الحشود وإلقاء كلمته ببراعة. لو كان شخصًا آخر، لقلتُ إنه خُلق ليكون سياسيًا؛ فهو فصيح اللسان، وسيم الطلعة، ويتمتع بذكاءٍ وقّاد. ابني يجمع في شخصه خصالًا رائعة لا تُحصى.

قبل أن تبدأ المناظرة، كان ليام غارقًا في حديثٍ عميق مع فتاةٍ فاتنة. يبدو أنها عضو في فريق المناظرة أيضًا، لكن مظهرها يوحي بأنها عارضة أزياء. شعرها أشقر ومصفف بعناية توحي بلمسة محترفين. وبالنظر إلى نحافة خصرها، كان امتلاء صدرها لافتًا بشكلٍ يثير العجب.

هل تخضع الفتيات في السادسة عشرة لعمليات زرع وتجميل؟

ترتعد فرائصي لمجرد التفكير في الأمر.

بجواري تجلس امرأة تعبث بهاتفها المحمول. يوحي الشيب المتخلل لشعرها بأنها في مثل عمري تقريبًا، وربما هي ولية أمر أخرى.

قلتُ لها:

— «عذرًا.»

رفعت رأسها وابتسمت بلطف:

– «نعم؟»

– «هل تعرفين اسم تلك الفتاة الشقراء على المسرح؟ تلك التي ترتدي قميصًا أصفر.»

أومأت المرأة برأسها:

– «تلك أوليفيا رينولدز. إنها محاورة قوية حقًا. لكنها ليست بمهارة ذلك الفتى... ليام.»

قلتُ، سامحةً لنفسي وللحظة واحدة أن أشعر بذلك الزهو الذي كثيرًا ما أحرم نفسي منه هذه الأيام:

– «ليام هو ابني.»

أضاءت عينا المرأة:

– «حقًا؟ حسنًا، إنه رائع للغاية. موهوب جدًا. لا بد أنك فخورة به كثيرًا. أتمنى لو كان ابني يملك نصف فصاحته.»

ابتسمتُ، محاولةً الاستمتاع بالإطراء، لكن عقلي كان يدور في فلكٍ آخر. أوليفيا رينولدز. تلك هي الفتاة التي يهتم بها ليام. ولا عجب في ذلك، فهي فائقة الجمال. بالطبع سيعجب بها ليام.

لا بد أن أعالج هذا الأمر.

استأذنتُ من المرأة التي لم تتوقف عن كيل المديح لابني، وخرجتُ من القاعة. أحتاج فقط لإجراء مكالمة سريعة، وسأعود قبل بدء المناظرة.

تصفّحتُ قائمة الأسماء في هاتفي باحثةً عن اسم "فرانك مارينو". كان قلبي يقرع طبوله وأنا أضغط على الاسم. رنّ الهاتف مرة، ثم مرة أخرى.

هذا فرانك. اترك رسالة.

البريد الصوتي.

— «فرانك؟ أنا إيريكا كاس. أحتاج للتحدث معك. ثمة أمر آخر... أرجوك عاود الاتصال بي. في أقرب وقت ممكن.»

فرانك رجل يعتمد عليه؛ سيعاود الاتصال الليلة.

عدتُ إلى القاعة حيث اصطف الطلاب على المسرح. كان ليام يقف خلف المنصة. أحيانًا أنظر إليه ولا أستوعب كيف تحول ذلك الطفل الضئيل العاجز إلى هذا الشاب الوسيم الذكي. كانت هناك أوقات، حين كان ليام رضيعًا، تخيلتُ فيها كيف سيكون حين يكبر.

كنتُ ساذجةً جدًا. لم يكن لدي أدنى فكرة عما يخبئه القدر.

قدّم ليام أداءً عظيمًا كعادته. وفاز فريقه بالمناظرة، وكأن النتيجة كانت محل شك أصلًا. إنه مؤدٍ ومتحدث بارع. حين كان في الصف الثالث، توجّب عليه تقديم عرض أمام الفصل، وأصرّ يومها على ارتداء أجمل قميص رسمي وبنطال لديه. بل إنه نبش خزانته ليخرج ربطة العنق السوداء المشبك التي اشتريتها له لحضور حفل زفاف في العام السابق. بدا لي يومها فاتنًا للغاية، والتقطتُ له مئة صورة تقريبًا. مرّ عقد من الزمان، وما زال يتعامل مع التحدث أمام الجمهور بنفس الجدية.

ليام تنافسيٌّ للغاية أيضًا. لا أدري ما هو قدر اهتمامه بالمناظرة في حد ذاتها، لكنه بالتأكيد يهتم بالفوز. كلما أبلى حسنًا في سباق جري أو مناظرة، يكون في مزاج رائع. أما إذا لم يوفق، ينطوي على نفسه ويلتزم الصمت طوال الأمسية. ولحسن حظه، هو بارع جدًا في الفوز. وبارع جدًا في الحصول على ما يريد.

لكنني لن أدعه يحصل على ما يريده هذه المرة.

تهللت أسارير ليام حين رآني قادمة لتهنئته:

— «هل رأيتِ يا أمي؟ لقد فزنا! سنتأهل لمنافسات الولاية!»

ابتسمتُ له بعرض وجهي:

– «لقد أبليتَ بلاءً عظيمًا.»

قام بإرخاء ربطة عنقه، مما جعله يبدو أكبر من سنواته الست عشرة. خلافًا لما كان عليه في الثامنة، هو يعرف الآن كيف يعقد ربطة عنقه بنفسه، وداعًا للربطات الجاهزة. راقبته وهو يتدرب أمام المرآة قبل عامين حتى أتقنها تمامًا.

قال:

– «شكرًا.»

وقبل أن أنبس بكلمة أخرى، شبكت السيدة راندال ذراعها بذراعي وسحبتني بعيدًا عن ابني. السيدة راندال معلمة تاريخ وهي المشرفة على فريق المناظرة أيضًا. درّست ليام التاريخ الأمريكي في سنته الأولى، وكانت هي من شجعه على الانضمام للفريق. أذكر أن ليام حصل على تقدير امتياز في صفّها، وكان التعليق في شهادته أنه الطالب الأفضل في الفصل. هانا تدرس عندها الآن التاريخ الأمريكي، لكن بناءً على تعليق هانا الأخير بأن السيدة راندال «امرأة بغيضة»، يساورني شعور بأن ابنتي لن تحصل على تقدير مماثل.

هتفت السيدة راندال ووجهها يتوهج فرحًا بالفوز، وقد تفلتت خصلات من شعرها الرمادي من كعكتها الصارمة:

– «سيدة كاس! كان ليام رائعًا هناك، أليس كذلك؟»

أومأتُ برأسي، رغم أن انتباهي كان مشتتًا بحقيقة أن ليام عاد ليتحدث مع أوليفيا مرة أخرى:

– «نعم. أعلم أنه كان يتدرب كثيرًا.»

– «إنه مجتهد للغاية. أتمنى لو كان لدى جميع طلابي مثل أخلاقيات العمل هذه.»

ابتسمت لي. إنها عضو راسخ في نادي معجبي ليام كاس.

تابعت قائلة:

– «محطتنا القادمة هي ألباني! وأراهن أننا سنصل إلى النهائيات الوطنية هذا العام. سيبدو ذلك رائعًا في سيرته الذاتية حين يتقدم للجامعة.»

نعم، في أقل من عامين، سيرحل ليام إلى الجامعة. لا أستطيع حتى التفكير في الأمر. فكرة أن يكون وحيدًا ومتروكًا لنزواته ترعبني.

قلتُ:

– «هذا رائع.»

تلاشت الابتسامة قليلًا عن شفتيها:

– «بالمناسبة، أكره أن أطرح هذا الآن، لكن هانا تغيبت عن تسليم العديد من واجباتها المدرسية هذا الشهر.»

كان هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكنه أن ينتزع انتباهي بعيدًا عن ليام وأوليفيا.

– «هي... هي فعلت؟»

أومأت السيدة راندال ببطء:

– «كل واجب مفقود يخصم من درجتها الكلية. ونتيجتها في الاختبار الأخير كانت...»

– «أعرف.»

جفلتُ وأنا أتذكر الدرجة المكتوبة بالأحمر على اختبار التاريخ الخاص بهانا، والذي تطلب توقيعي. على عكس ليام، لم تكن هانا طالبة متفوقة قط، لكن المدرسة الثانوية تثبت أنها أسوأ من الإعدادية حتى الآن.

قلتُ:

– «سأتحدث معها بشأن الأمر وسأحرص على أن تطلعني على واجباتها كل ليلة.»

– «أنا واثقة أنها تستطيع تصحيح مسارها.»

نظرت السيدة راندال نحو ليام، ثم عادت بنظرها إليّ:

– «أنا متأكدة أن لديها القدرة.»

أعرف ما تلمح إليه، لكن هانا لا تشبه ليام في شيء. لا تشبهه شكلًا، وشخصيتها مختلفة تمامًا. السيدة راندال ليست المعلمة الأولى التي يخيب أملها بسبب هذا التباين.

ولكن ليس كل المعلمين يحبون ابني. لقد أصبح أكثر براعة في سحر البالغين، لكن بعضهم يستطيع الرؤية عبر قناعه. كان هناك معلمٌ واحد، قبل ثلاث سنوات بالتحديد. تلك كارثة لا أريد التفكير فيها أبدًا. حين أتذكر ما فعله ليام...

يجب أن أتحدث مع فرانك. الليلة.

الفصل العاشر

إيريكا

– «أمي! أمي، هل تستمعين إليّ؟»

انتفض رأسي بعيدًا عن الأطباق المكدسة في الحوض. من المفترض أن تكون هانا تفرغ غسالة الأطباق بينما أنظف القدور، لكن بدلًا من ذلك، أمضت الدقائق الماضية تثرثر حول فتاة في صف الرياضيات تدعى آشلي. كنتُ غارقةً في أحداث اليوم لدرجة أنني، على ما يبدو، انفصلتُ عنها تمامًا. ليس لدي أدنى فكرة عما قالته هانا في الدقائق الأخيرة. أغمضت عيني، آملةً أن أتمكن من إعادة شريط الذاكرة في عقلي للوراء، لكن عبثًا. كل ما قالته هانا ضاع إلى الأبد.

قلتُ أخيرًا:

– «أمم.»

هتفت هانا بانتصار:

– «كنت أعرف! لم تكوني تستمعين إليّ. أنتِ لا تستمعين إليّ أبدًا.»

– «بلى، أفعل.»

– «حسنًا. إذن أخبريني بشيء مما يحصل معي.»

وضعتُ قدر الصلصة الذي كنت أشطفه جانبًا:

– «أنتِ لا تسلمين واجبات التاريخ الأمريكي؟»

توردت وجنتا هانا باللون الوردي:

– «أخبرتكِ. تلك الواجبات غبية.»

– «لا يهم. ما زال عليكِ القيام بها.»

– «ولكن ما الفائدة؟ لماذا أحتاج أن أعرف عن حرب غبية حدثت قبل خمسمائة عام مثلاً؟»

– «حرب الاستقلال حدثت قبل مائتين وخمسين عامًا يا هانا.»

– «أوف!»

وضعت يديها على خاصرتيها. كانت تفعل ذلك حين تغضب منذ كانت في الثانية من عمرها.

– «ما الفرق؟ ما زال زمنًا بعيدًا جدًا.»

– «لا يهم إن كنتِ ترينها غبية أم لا. إنها جزء من تعليمك. ليام دائمًا...»

قاطعتني:

– «صحيح. ليام. تريدينني أن أكون مثله تمامًا. لأنه مثالي جدًا.»

التفتُ إلى هانا، أحدق في وجهها الشاحب المستدير. لستُ متأكدة تمامًا إن كانت تسخر أم لا. معظم الأمور السيئة مع ليام حدثت حين كان أصغر سنًا بكثير، وأتصور أن هانا أصغر من أن تتذكر. حين أرسلناه للدكتور إيبير، كان في السابعة وكانت هانا في الخامسة. بذلتُ قصارى جهدي لحمايتها مما يجري، لكنني أتساءل أحيانًا كم تعرف.

هل تعرف هانا أي شيء؟ كل شيء؟ ما الذي أخبرها به ليام؟ هل ذكرت أوليفيا في السيارة لتغيظ ليام أم لتحذرني؟

أضافت هانا:

— «على أية حال، إنه المفضل لديك، أليس كذلك؟»

اشتعلت وجنتاي. أكره أن تفضيلي لليام عليها واضحٌ بهذا الشكل. لا ينبغي أن يكون كذلك. إنها علامة على التربية السيئة. قرأتُ مرة أن معظم الأطفال يتوقون لفخر آبائهم بهم، لذا من المنطقي أن تتعثر هانا دراسيًا إن كانت تشعر أنها لن ترقى أبدًا لمستوى أخيها.

قلتُ:

— «هانا، تعلمين أن هذا غير صحيح. أنا أحبكما بالتساوي.»

أطلقتْ سخريةً من أنفها.

— «اسمعي. لمَ لا نقوم بشيء معًا؟ نحن الاثنتان فقط. يمكنني أخذكِ إلى المركز التجاري في عطلة نهاية الأسبوع ونشتري لكِ بعض الملابس الجديدة. لم نذهب في جولة تسوق منذ عام تقريبًا. أنا مدينة لكِ.»

ضيّقت ابنتي عينيها نحوي، لكن لا يتطلب الأمر الكثير لكسب رضاها. الملابس الجديدة عادةً ما تفي بالغرض.

— «هل يمكننا الذهاب يوم السبت؟»

— «بالتأكيد.»

— «وهل يمكننا الذهاب إلى "بيربل هيز" بعدها؟»

"بيربل هيز" هو متجر آيس كريم كانت هانا تعشقه حين كانت طفلة صغيرة.

— «بالطبع.»

اتسع ثغرها بابتسامة:

— «حسنًا. يبدو ذلك جيدًا.»

وبالطبع، بدأتُ بعدها أشكك في قراري. لقد اكتشفتُ للتو أن هانا لم تسلم واجبات التاريخ. ربما لا يستدعي الموقف مكافأة. لكن بما أنني وعدتها، لا يمكنني التراجع الآن.

أضفتُ:

– «ولكن، لن نذهب إلا إذا سلمتِ كل واجبات التاريخ هذا الأسبوع. وأريد أن أراها يا هانا.»

بدا وكأن هانا على وشك التذمر، لكن كتفيها استرخيا:

– «حسنًا. موافقة.»

انتصار صغير.

قبل أن ننجز المزيد مع الأطباق، فُتح الباب الأمامي، ووصل صوت خطوات زوجي وابني الثقيلة إلى المطبخ. أخذ جيسون ليام لدرس قيادة آخر الليلة. وعلى ما يبدو، الأمور تسير على ما يرام، فـ ليام موهوب بالفطرة خلف المقود. لا مفاجآت هنا.

جاءا ليجدانا في المطبخ، حيث لم نكد ننهي جزءًا يذكر من أعمالنا المسائية. كان جيسون يبتسم ابتسامة عريضة، ويلف ذراعه حول كتف ليام:

– «ماذا عساي أن أقول يا إيريكا؟ ابننا سائق رائع. تمامًا مثل أبيه.»

رمقته بنظرة.

أضاف جيسون بسرعة:

– «ومثل أمه.»

سخرت هانا:

– «تداركٌ جيد يا أبي.»

لقد علّقت في أكثر من مناسبة بأنني أسيطر على جيسون تمامًا وكأنه خاتم في إصبعي. لا أعلم إن كان ذلك صحيحًا، لكنه زوج صالح. لا أضطر لتذكيره بإخراج القمامة، ويتذكر دائمًا ذكرى زواجنا، ولقد غيّر من الحفاظات ما يفوق حصته العادلة حين كان الأطفال صغارًا.

لو كان هناك شيء واحد أود تغييره فيه، لتمنيتُ لو كان أقل استرخاءً بقليل. خاصةً حين يتعلق الأمر بمخاوفي تجاه ليام. دائمًا ما يتجاهل كل شيء بعبارة «الصبيان سيظلون صبيانًا». لكنني أعلم أنه في يوم من الأيام، سيحدث شيء سيء لدرجة أنه لن يتمكن من قول ذلك بعد الآن.

نظرتُ إلى ليام، وكان وجهه خاليًا من التعابير حتى لاحظ أنني أراقبه. عندها ابتسم.

قال:

– «لا أطيق صبرًا للحصول على رخصتي.»

قالت هانا بصوتٍ عالٍ:

– «وعندها يمكنك توصيلي للمدرسة صباحًا.»

رمقني ليام بنظرة ذات مغزى:

– «بالتأكيد. إذا اشترى لي أمي وأبي سيارة.»

قال جيسون:

– «سنرى. حاليًا، التزم بسيارة والدتك التويوتا.»

هيأتُ نفسي، منتظرةً أن يضيف: «ربما نشتري لك واحدة في عيد ميلادك». لكنه لم يفعل. الحمد لله. أعتقد أن ليام سيكون سائقًا جيدًا، لكن فكرة امتلاكه لسيارة خاصة تثير قلقي نوعًا ما.

انضم جيسون إليّ عند غسالة الأطباق وبدأ بفرز الأطباق بنفسه، رغم أنها مهمة هانا:

– «لكن ليام أبلى حسنًا اليوم. لقد تفقد مراياه حين توجب عليه ذلك. وتصرف بشكل صحيح عند كل إشارة توقف. لم أشعر بالرعب ولو لمرة واحدة.»

ضحك ليام:

– «شكرًا يا أبي.»

قال جيسون وهو يسحب طبقين من الغسالة ويميل رأسه بتفكير:

– «عليك أن تكون حذرًا في الخارج. مهلًا، هل سمعتما عن الرجل الذي فقد ذراعه وساقه اليسريين في حادث سيارة؟»

أطلقت هانا أنينًا. بينما لزمتُ أنا وليام الصمت.

أكمل جيسون:

– «لكنه الآن "يمين" تمامًا (All right). فهمتما؟»

قلتُ:

– «لا، لقد فهمت.»

ابتسم جيسون لي:

– «حسنًا، أنتِ لم تضحكي. لذا ظننتُ أنني بحاجة لشرحها.»

– «كلا.»

غمز جيسون. حتى قبل أن يولد الأطفال، اعتاد إلقاء نكاته السخيفة. لكن في ذلك الحين، كانت النكات تحمل تلميحات جريئة. أما الآن فهي "نكات آباء" صرفة. لكنني أجد إصراره على إلقائها محببًا، رغم أن أحدًا لا يضحك.

بدأ هاتفي بالرنين من غرفة المعيشة. أستخدم النغمة الافتراضية التي جاءت مع جهاز الآيفون، لأنني لا أهتم بتغييرها. والحق يقال، لستُ متأكدة تمامًا من كيفية فعل ذلك. زوجي هو خبير التقنية، أما أنا فلا أستطيع حتى تغيير نغمة هاتفي.

هرعتُ إلى الهاتف والتقطته قبل أن يتوقف عن الرنين. حدقتُ في الاسم الذي ظهر على الشاشة. فرانك مارينو.

فرانك يعاود الاتصال.

تسللتُ بهدوء إلى الخارج للرد على المكالمة. وأغلقتُ الباب خلفي.

الفصل الحادي عشر

إيريكا

– «إيريكا كاس.»

صدحت لكنة فرانك البروكلينية عبر الخط. كانت ثقيلة لدرجة تجعلك تدرك فورًا أنه ولد ونشأ هناك. عثرتُ عليه قبل أربع سنوات، في "الصفحات الصفراء" بدليل الهاتف. بحثتُ تحت تصنيف "محققون خاصون" واخترت اسمه عشوائيًا. لم تكن لدي أدنى فكرة عما أفعله، وأنا محظوظة لأن فرانك أثبت كفاءته كما فعل.

لا أريد التفكير فيما كان يمكن أن يحدث لولا مساعدته.

قلتُ:

– «مرحبًا فرانك. شكرًا لمعاودتك الاتصال بهذه السرعة.»

– «من أجلك يا إيريكا؟ أي شيء. ماذا تحتاجين؟»

فرانك متحدث لبق. هذا ما فكرت فيه في المرة الأولى والوحيدة التي قابلته فيها شخصيًا قبل ثلاث سنوات، قبل المهمة الأولى التي استأجرته لأجلها مباشرة. كان شكله مطابقًا لصوته؛ شعر أسود دهني تتخلله خيوط الشيب، وأنياب مصفرّة من سنوات التدخين، وعينان حادتان لا تفوتهما شاردة. الرجل جعلني أتوتر. لكنه قام دائمًا بكل ما طلبته منه. مقابل السعر المناسب.

قلتُ:

— «اسم الفتاة أوليفيا رينولدز. تدرس في مدرسة ليام. نفس الاتفاق مثل المرة الماضية. موافق؟»

صمت فرانك قليلًا، وآمل أنه كان يدوّن المعلومات:

— «أوليفيا رينولدز. تُكتب كما تُنطق؟»

— «نعم.»

— «فهمت.»

— «نفس الأمر مثل المرة السابقة. حسنًا؟»

— «حسنًا، اعتبريه تم.»

سُمع صوت حفيف على الخط الآخر، ثم قال:

— «لم أرَ في حياتي امرأةً تتوقُ لإفساد علاقات ابنها الغرامية بهذا الشكل. أحيانًا أعتقد أنه سيناقش هذا الأمر في جلسات العلاج النفسي يومًا ما.»

شددتُ أصابعي حول الهاتف حتى شعرت بوخز في أطرافي. لقد فعل فرانك هذا من أجلي عدة مرات، وهذه هي المرة الأولى التي شعر فيها بالحاجة للتعليق.

— «إذا كنت لا تريد القيام بذلك، سأبحث عن شخص آخر.»

— «لا، الأمر بسيط.»

— «لأنه إذا كنت لن تفعله، أخبرني الآن.»

— «تبًا يا إيريكا. اهدئي. كنت أمزح فقط.»

استرخت كتفاي:

— «جيد.»

قال فرانك:

— «شيء آخر. أسعاري ارتفعت.»

— «بكم؟»

ذكر رقمًا يقارب ضعف ما دفعته في المرة الأخيرة. انقبض صدري. إنه يعلم أن تهديدي بالبحث عن شخص آخر كان فارغًا. يعلم أنني لن أستعين بغيره. أنا بحاجة إليه.

— «موافقة.»

— «من دواعي سروري العمل معك، كالعادة يا إيريكا.»

فقط قم بعملك، أيها القذر.

جززتُ على أسناني، غاضبةً لعدم قدرتي على نطق الكلمات التي تدور في رأسي. لكنه سيفعل ما أحتاج إليه أن يفعله. سيساعدني في إنقاذ ابني من نفسه.

الفصل الثاني عشر

أوليفيا

رغم أن الأمر قد لا يُعدّ موعدًا غراميًا حقيقيًا، إلا أن توتري بشأن الذهاب إلى المطعم مع ليام الليلة بلغ منتهاه.

قضيتُ الليلة الماضية وأنا أجرب كل قطعة ملابس في خزانتي أمام المرآة. مرتين. ارتديتُ تنورةً قصيرةً للغاية؛ وددتُ حقًا أن يراني ليام بها، لكنها كانت ستبدو وكأنني أبذل جهدًا مبالغًا فيه للفت انتباهه. (فضلًا عن أنني لست واثقة تمامًا من أن أمي كانت لتسمح لي بمغادرة المنزل بتلك الهيئة). في النهاية، نحن ذاهبان لتناول الطعام بعد تدريب فريق الجري وحسب. لذا، قررتُ اعتماد أسلوبٍ يجمع بين البساطة والجاذبية؛ ارتديتُ بنطال الجينز الضيق المفضل لدي، ونسقته مع سترة حمراء بلا أكمام. ثم أمضيتُ ساعة أخرى أمام المرآة، أحاول تصفيف شعري ليبدو مثاليًا.

الفتيان مجهدون حقًا.

أقف الآن أمام المدرسة بسترتي المكشوفة والجينز، أعانق جسدي طلبًا للدفء. ذراعاي مكسوتان بانتفاضة بردٍ خفيفة، لكن معطفي ليس جذابًا بما يكفي، ولا أريد ارتداءه أمام ليام. آمل أن يقدّر حجم المعاناة التي أتكبدها من أجله.

قررت ماديسون انتظاره معي، لكنني كدتُ أتمنى لو لم تفعل. لم تكن مصدرًا للطاقة الإيجابية في تلك اللحظة؛ فهي لم تستلطف ليام يومًا، لكنها الآن

تبدي عدم دعمها بشكل صريح ومزعج. يبدو وكأنها تحاول إقناعي بصرف النظر عن ليام قبل أن يبدأ أي شيء بيننا.

سحبت ماديسون هاتفها من جيبها وحشرته في وجهي لتريني الوقت:

— «وفوق كل هذا، إنه متأخر. هل هذا ما تريدينه؟ فتى يتركك تنتظرين طوال الوقت؟»

بدأتُ أهرول في مكاني لأحافظ على دفئي:

— «لقد أخبرني أنه قد يتأخر. إنه في تدريب الجري، وليس ذنبه إن لم يخرج في الوقت المحدد.»

ثم انتابني الفزع فجأة من فكرة أن أتعرق. ناهيك عن أن إيدان يتأخر دائمًا، فهذا أمر مفروغ منه لديه.

مدّت ماديسون شفتها السفلى بعبوس:

— «أنا فقط أرى أنه غير مناسب لكِ.»

— «بناءً على ماذا؟»

نظرت حولها لتتأكد من أننا وحدنا في المكان:

— «بناءً على... انظري، لم أرد إخباركِ بهذا، لكن... تعلمين أن تايلر مارتينسون كان صديقًا مقربًا لليام.»

تقلص وجهي اشمئزازًا عند سماع اسم تايلر مارتينسون. إنه أحد أولئك الرياضيين البغيضين الذين يلعبون كرة القدم مع إيدان. وبسبب ذلك فقط، كنت أقضي بعض الوقت معه في بداية العام، ولم أتفاجأ كثيرًا حين طلب مواعدتي. لكنني لم أشعر بأدنى انجذاب نحوه، فرفضت طلبه بشكل قاطع. بدا مذهولًا، وكأنه كان يسدي لي معروفًا بطلبه ذاك ولم يصدق أنني قلت "لا". ردة فعله البغيضة جعلتني أكثر سعادة بقراري الرفض.

خفضت ماديسون صوتها درجة:

— «إذن، يبدو أن... تايلر قال إنه اضطر لقطع علاقته بليام، لأن ليام مجنون حقًا. أعني، كان يقول ويفعل أشياء جنونية. وقد أصيب تايلر بالذعر الشديد.»

كبتُ رغبتي في قلب عينيّ:

— «مجنون مثل ماذا؟»

اعترفت ماديسون:

— «لا أعرف بالضبط. لكن يبدو أنها كانت أمورًا سيئة للغاية. لدرجة أن تايلر كان خائفًا منه فعليًا. قال إن ليام مضطرب نفسيًا وإن أي فتاة تتورط معه ستندم.»

الآن قلبتُ عينيّ بالفعل:

— «حقًا؟ وأنتِ تصدقين ذلك؟»

— «نعم، أصدقه! ليف، أخبرتك أنني أشعر بطاقة سلبية تجاه هذا الفتى. هناك شيء ما بشأنه...»

— «حسنًا، أنا لا أرى ذلك.»

— «إذن فأنتِ عمياء.»

حدقتُ في أعز صديقاتي وشعرتُ بموجة غضب في صدري. لماذا تفعل بي هذا؟ هي تعلم كم أنا معجبة بليام. لقد واعدتْ اثنين من الأوغاد ولم أنبس بكلمة سيئة واحدة عنهما. حسنًا، هذا سيتغير الآن وفي هذه الدقيقة.

قلتُ:

— «حسنًا، على الأقل هو أفضل من إيدان.»

فغرت ماديسون فاها:

— «عما تتحدثين؟ ما خطب إيدان؟»

— «هل تمزحين؟ إيدان وغدٌ تمامًا. يعاملكِ كالقذارة ويكاد يُطرد من المدرسة بسبب رسوبه. يتنمر على الطلاب الأصغر سنًا. وعلى الأرجح يحقن نفسه بالستيرويدات.»

ظهرت بقعتان ورديتان صغيرتان على وجنتي ماديسون:

— «إنه لا يتعاطى الستيرويدات.»

نظرتُ في عينيها أتحدى أن تناقضني:

— «حسنًا. لكن كل الأشياء الأخرى صحيحة. ومع ذلك ليام هو السيئ، لأنك تشعرين بـ "طاقة سلبية" تجاهه. يا إلهي، كم هذا فظيع.»

اتسعت البقعتان الورديتان على وجنتيها وقالت:

— «حسنًا. تريدين الخروج في موعد مع مريض نفسي؟ تفضلي، افعلي ما يحلو لكِ.»

مع تلك الكلمات، استدارت ماديسون على عقبيها ومضت غاضبة، ربما لتبحث عن إيدان، وذيل حصانها الأشقر الداكن يتأرجح بحدة خلفها وهي تبتعد. تشاجرنا من قبل، لكن هذا يبدو وكأنه أكبر شجار خضناه على الإطلاق. شعرتُ بعدم الارتياح.

لكنني، وبأعجوبة، نسيت كل ذلك حين تجسّد ليام أمامي.

كان يبدو وسيمًا بشكل مهلك بقميص فريق الجري، والجينز الفضفاض، وسترة خفيفة، وشعره لا يزال رطبًا قليلًا من الاستحمام. ابتسم لي، فقام قلبي برقصة صغيرة في صدري. ماذا يعني إن تشاجرت أنا وماديسون؟ لا أستطيع التفكير في ذلك الآن.

قال ليام، وكأنه متفاجئ قليلًا وسعيد:

– «لقد جئتِ.»

بادلتُه الابتسامة:

– «بالطبع جئت. قلتُ إنني سأفعل.»

طأطأ رأسه قليلًا:

– «أجل، ولكن... على أية حال، أنا سعيد لأنكِ هنا.»

هذا الفتى ليس مجنونًا. مستحيل. لا أعلم عمّا كانت تتحدث ماديسون. من الواضح أن إيدان وتايلر يشعران بالغيرة من ليام، لأنه متفوق دراسيًا وكل الفتيات يرينه جذابًا.

لاحظ قائلًا:

– «تبدين ميتة من البرد.»

لن أكذب. أنا أتجمد بردًا الآن. أسناني تصطك ببعضها قليلًا، وأشعر بشفتي تتحولان للون الأزرق. لكنني لا أريد أن أبدو وكأنني أتذمر.

– «ربما قليلًا فقط.»

وعندها فعل ليام شيئًا جعلني أذوب تمامًا. خلع سترته ومدها نحوي:

– «تفضلي. خذي هذه.»

– «ولكنك ستشعر بالبرد.»

– «كلا، أنا بخير. لا يزال جسدي ساخنًا من الجري.»

لم يسبق لي أن قبّلت فتى من قبل، لكن بطريقة ما، بدا أن قيام فتى بلفتة رومانسية نبيلة من أجلي حدثٌ أكثر أهمية. كنت معجبة بليام منذ عدة أشهر، لكن في هذه اللحظة، وقعت في غرامه كليًا.

أنا عاشقة تمامًا.

الفصل الثالث عشر

نص محضر مقابلة الشرطة مع أوليفيا رينولدز:

– «أوليفيا، هل يمكنكِ وصف تعاملاتك مع ليام كاس؟»

– «نحن في فريق المناظرة معًا. كنا كذلك طوال العامين الماضيين.»

– «هل أنتِ صديقة له؟»

– «نعم. أعني، نحن في الفريق معًا منذ فترة. لذا نتحدث كثيرًا. لا يقتصر الأمر على أوقات المناظرة وحسب.»

– «هل تصفين علاقتك بليام بأنها أكثر من مجرد صداقة؟»

– «أمم. حسنًا، لا. ليس بالضبط، ولكن... انظر، أشعر بالغرابة وأنا أتحدث عن هذا مع الشرطة... الأمر محرج...»

– «لكنكِ تتفهمين أهمية هذا الأمر.»

– «نعم. بالطبع. أعني، لهذا السبب اتصلتُ بكم. ظننتُ... ربما لو أخبرتكم بما حدث لي، فقد يساعد ذلك.»

– «ونحن نقدر اتصالك بنا.»

– «نعم...»

— «إذن بالعودة للسؤال الأصلي: هل كانت لديك أي علاقة عاطفية مع ليام كاس؟»

— «حسنًا، لا. ليس رسميًا. لكن... كنتُ نوعًا ما...»

— «ماذا؟»

— «كنت... كنت معجبة به. كثيرًا. كنت أراه جذابًا. وهو بارع جدًا في المناظرة، كما تعلم؟»

— «هل عبّر عن نوايا عاطفية تجاهك؟»

— «بصراحة؟ أعني، أحيانًا كنت أظن ذلك. ذات مرة أوصلني للمنزل مشيًا، لكن لم يحدث شيء. من الواضح أنه كان معجبًا بشخص آخر أكثر.»

— «وماذا حدث بعد ذلك؟»

— «...»

— «أوليفيا، لو سمحتِ أخبرينا بما قلتِه لي سابقًا حول ما حدث تاليًا...»

— «تعني بخصوص ذلك الرجل؟»

— «صحيح. قلتِ إن رجلًا اقترب منكِ في الشارع.»

— «أجل. كنت في الخارج أمشّي كلبي، وجاء هذا الرجل العجوز —— كان عمره ربما خمسين عامًا —— وسألني إن كنت أنا أوليفيا رينولدز. وقد أفزعني ذلك تمامًا، لأنك تعلم، نسمع كل تلك القصص عن فتيات يخرجن لتمشية كلابهن ولا يعدن للمنزل أبدًا. كما أنه كان يبدو مريبًا ومخيفًا.»

— «كيف كان يبدو مخيفًا؟»

— «لا أدري. كانت رائحته مثل السجائر وأسنانه مصفرّة نوعًا ما. ربما بسبب السجائر، صحيح؟ لهذا السبب لن أدخن أبدًا. أو أستخدم السجائر

الإلكترونية. التدخين الإلكتروني أسوأ حتى. يقول معلم الصحة إنه قد يسبب "رئة الفشار"، حيث تبدو رئتاك مثل فشار الميكروويف.»

— «آه، صحيح. إذن ماذا حدث بعد ذلك يا أوليفيا؟»

— «لم أقل شيئًا في الواقع. اكتفيت بالنظر إلى الرجل، لكن بدا أنه يعرف من أكون. ثم سألني إن كنت أعرف ليام، وكان ذلك غريبًا جدًا.»

— «بماذا أجبتِ؟»

— «قلتُ نعم.»

— «وماذا قال حينها؟»

— «حسنًا، بدأ يخبرني بكل الأشياء التي يعرفها عني. أشياء سيئة. أعني، ليست سيئة حقًا. لم أفعل شيئًا سيئًا لتلك الدرجة. لكن، كان لديه لقطات شاشة لكل تلك الرسائل النصية من هاتفي، والتي لم أكن أريد لوالديّ أو معلمي أن يروها. وبعض الأشياء الأخرى.»

— «أي نوع من الأشياء؟»

— «أمم، هل يجب عليّ قول ذلك؟»

— «نود الحصول على كافة المعلومات.»

— «لم يكن شيئًا غير قانوني. أقسم بذلك.»

— «أنتِ لستِ في ورطة يا أوليفيا. أعدك. فقط قولي الحقيقة.»

— «حسنًا... كنت أواعد فتى العام الماضي وأرسلتُ له بعض الصور لنفسي، صورًا لم يكن يجدر بي إرسالها. كان تصرفًا غبيًا حقًا. ولا أعرف كيف انتهى الأمر بذلك الرجل المريب بالحصول على تلك الصور. يا إلهي، هذا محرج للغاية...»

— «إذن ماذا حدث بعد ذلك؟»

— «قال الرجل إنني إذا استمررت في التسكع مع ليام، فإنه سيري الصور للجميع.»

— «وماذا كان ردك؟»

— «ماذا تظن؟ أعني، كنت معجبة بليام، لكن ليس لدرجة أن أوقع نفسي في ورطة. لذا قلت إنني لن أتسكع معه بعد الآن.»

— «وهل فعلتِ؟»

— «أجل. لكن بصراحة، لم يكن الأمر يهم حقًا، لأنه في اليوم التالي... حسنًا، أنت تعلم.»

— «هل لديكِ أي أفكار حول السبب الذي دفع ذلك الرجل ليطلب منكِ الابتعاد عن ليام؟»

— «لا. كنت مرعوبة جدًا من الأمر برمته. ظننتُ... لا أعرف. كان أغرب شيء حدث لي على الإطلاق، بصراحة.»

— «حسنًا، شكرًا لك يا أوليفيا. كان هذا مفيدًا للغاية.»

— «سيدي المحقق؟»

— «نعم؟»

— «هل تعتقد حقًا أن ليام فعلها؟»

— «لا أستطيع مشاركة أي تفاصيل من تحقيقنا معكِ، للأسف.»

— «أريد فقط أن أقول... لا أعتقد أنه فعلها. أعرفه منذ أكثر من عامين، وهو فتى لطيف حقًا. ولا أقول هذا فقط لأنه جذاب. إنه جاد جدًا بشأن المنافسة، وذكي للغاية، وهو فقط لن يفعل شيئًا كهذا. لا أعتقد أنه قادر على ذلك. أعني، أي نوع من البشر يفعل شيئًا كهذا؟ لا أستطيع تخيل ذلك.»

— «إذن لماذا اتصلتِ بنا؟»

– «لأنني... لا أعرف. لا أعتقد أن ليام فعلها. لكنني أظن أنني لست متأكدة تمامًا. المرء لا يعلم أبدًا.»

الفصل الرابع عشر

أوليفيا

تبلغ المسافة إلى المطعم ميلًا تقريبًا، وقد مشيناه أنا وليام معًا. حسنًا، كنا بصحبة نصف فريق الجري وبعض صديقاتهم، لكنني وليام تأخرنا خلفهم قليلًا. سترته دافئة وتفوح برائحته — رائحة صابون «ديال». الأكمام طويلة عليّ لدرجة أن أطراف أصابعي بالكاد تطل منها.

تحدثنا عن حصة الرياضيات في الغالب. يقول ليام إن رائحة السيد غريغور تشبه رائحة الجبن المعتق، وهو وصف دقيق جدًا في الواقع. لا يبدو أنه يحب السيد غريغور كثيرًا، الأمر الذي فاجأني، لأن الكثير من الطلاب يتصرفون بتحذلق واستعراض في ذلك الفصل، لكن ليام لا يفعل. إنه مهذب جدًا مع السيد غريغور — أمامه مباشرة. يساورني شعور بأنه أحد طلاب السيد غريغور المفضلين، وليس فقط لأنه يحصل على درجات كاملة في مادته.

يمشي ليام قريبًا جدًا مني. في بضع مرات، لامست يده أطراف أصابعي، وظننتُ أنه سيحاول الإمساك بيدي، لكنه لم يفعل.

حين وصلنا إلى المطعم، كان هناك الكثير من طلاب مدرستنا. ورغم أن المسافة كانت طويلة، إلا أن مطعم «تشارليز» يقدم أفضل مخفوق حليب على الإطلاق. إنه لذيذ جدًا، أقسم بذلك. كأنه أفضل آيس كريم تذوقته في حياتك وقد تحول إلى شراب. لاحظتُ وجود تايلر مارتينسون جالسًا في إحدى المقصورات،

وتذكرتُ ما قالته ماديسون سابقًا. أن تايلر قال إن ليام مجنون. وأن تايلر يخاف منه.

هل يعقل أن يكون ذلك صحيحًا؟ لا يبدو تايلر من النوع الذي يخاف من أي شيء. وحين مررنا بجانبه، لم يلتقِ بصره ببصر ليام. ولم ينظر إليّ أيضًا، فتساءلتُ إن كان لا يزال غاضبًا مني لرفضي الخروج معه. رغم أنني رأيته مع فتاة أخرى بعد أسبوع، لذا يبدو أنه تجاوز الأمر بسرعة.

حشرنا أنفسنا جميعًا في مقصورة كبيرة جدًا. كنا ستة أشخاص، وكان جسدي ملتصقًا بجسد ليام تمامًا. شعرتُ بدفء فخذه يلامس فخذي، ولم أمانع ذلك أبدًا.

نظر إليّ وقلقٌ يلوح في عينيه البنيتين:

— «هل أنتِ محشورة؟»

يا لجمال عينيه. لطالما كنتُ أميل للعيون الزرقاء، لكن يا إلهي، عيناه رائعتان. وأنفاسه تفوح برائحة النعناع. أتساءل إن كان قد تناول قرص نعناع قبل المجيء. لأنني فعلت. أعني، لم أكن أرغب في أن تكون رائحة فمي كالتونة.

همستُ:

— «أنا بخير.»

ابتسم لي ابتسامة عريضة:

— «جيد. لأنني لو تحركتُ بوصة واحدة، سأسقط من المقصورة.»

بادلته الابتسامة:

— «لا تسقط.»

فتح قائمة الطعام وقال:

— «سأحاول. هل تعرفين ما الذي ستطلبينه؟»

قلتُ بلا تردد:

– «مخفوق الحليب بالفانيليا.»

– «مهلًا، هذا هو المفضل لدي أيضًا. لقد سرقتِ فكرتي.»

ضحكتُ:

– «آسفة.»

– «هل تودين أن نتقاسمه؟»

أتقاسم مخفوق الحليب مع ليام؟ نعم، أرجوك.

– «بالتأكيد.»

بدأت شكوكي حول كون هذا اللقاء موعدًا غراميًا في التلاشي. لقد مشى معي إلى هنا، وسنتقاسم الشراب، ولا يمكنني أن أكون أقرب إليه إلا إذا جلستُ في حضنه. علاوة على ذلك، حين طلب الطلب لنا، تمتم في أذني: «إنه على حسابي». وحتى حين كان الآخرون على الطاولة يتحدثون، بدا مهتمًا بالحديث معي فقط. كان اهتمامه منصبًا عليّ بالكامل.

إلى أن حدث شيء أفسد كل شيء.

كانت مقصورتنا قريبة نوعًا ما من دورة المياه، وحين نهض تايلر ورفاقه لاستخدامها، توجب عليهم المرور بجانبنا. ورغم أن ليام وتايلر تحاشيا النظر لبعضهما البعض بتعمد حين دخلنا، إلا أن تايلر صدم كتف ليام بقوة أثناء مروره. كان ذلك متعمدًا بوضوح. أنا أعرف ذلك، ومن الواضح أن ليام يعرف ذلك.

حين عاد تايلر من الحمام، خشيتُ أن يكرر فعلته. لكن بدلًا من ذلك، وبينما هو يمر بجانب طاولتنا، تعثر وسقط على الأرض بصوت ارتطام قوي. وللحظة، عمّ الصمت المكان بينما كان تايلر ينهض.

حدق تايلر في ليام، وبرز عرق مخيف على رقبته الضخمة كلاعب كرة قدم:

– «لقد أوقعتني للتو أيها الوغد! ما خطبك بحق الجحيم؟»

التفت ليام لينظر إلى تايلر، ورمش بعينيه في تصنعٍ مثالي للبراءة:

– «أوه، أنا آسف. كان ذلك حادثًا.»

– «بل كان مقصودًا!»

– «أنت مخطئ يا تايلر.»

– «قُلها في وجهي.»

تسارعت دقات قلبي. بدا تايلر غاضبًا حقًا. لا يزال ذلك العرق بارزًا في عنقه، لكن وجهه بدأ يتحول الآن إلى اللون الأحمر القاني. وقف ليام، ولاحظتُ أنه بينما كان الفتيان بنفس الطول تقريبًا، كان تايلر أعرض منكبين كلاعب كرة قدم، بينما يمتلك ليام بنية عداء. خفتُ أن تكون الغلبة لتايلر في أي شجار.

لكن ليام لم يبدُ عليه الخوف ولو قيد أنملة. نظر مباشرة في عيني تايلر وقال:

– «لم أوقعك. أنت فقط أخرق.»

سخر تايلر:

– «ماذا؟ هل تحاول التباهي أمام فتاتك؟ ليس وكأنك بحاجة لفعل الكثير لتبهرها.»

اشتعلت وجنتاي. آخر ما أريده هو أن يتحدث تايلر عني بسوء أمام ليام. لكن كلمات تايلر أصابت وترًا حساسًا. بدا أن ما قاله أزعج ليام أكثر من أي شيء آخر حتى الآن.

قال ليام بصوت منخفض:

– «اهتم بشؤونك الخاصة.»

خطا تايلر خطوة تهديد تجاه ليام. جذبت مواجهتهما أنظار المطعم بأكمله، والكل كان يأمل في نشوب شجار على الأرجح. الكل عداي. أردتُ فقط أن يتركنا تايلر وشأننا.

- «هل تعرف حبيبتك أنك سايكوباثي؟»

قلب ليام عينيه بملل:

- «هل هذا كل ما لديك لتقوله؟»

- «إنها الحقيقة.»

رفع ليام حاجبًا:

- «حقًا؟ حسنًا، إذا كنتُ سايكوباثي، فربما يجدر بك توخي الحذر. لأنني أعرف كل شيء تقريبًا عن عائلتك. أعرف أين تذهب أمك لدرس اليوجا. وأعرف أن والدك يركن سيارته خارج المرآب ليلًا. وأعرف أي نافذة هي غرفة نوم أختك.»

اتسعت عينا تايلر.

أضاف ليام:

- «أيضًا، لديك قطة جديدة، أليس كذلك؟»

هربت الدماء من وجه تايلر تمامًا. لم يسبق لي أن رأيتُ شخصًا يبدو مذعورًا لهذه الدرجة. ولستُ متأكدة حتى من السبب. عمّ يتحدث ليام؟ ولماذا يتحدث عن قطة تايلر؟ هذا لا معنى له.

لكن يبدو أن ما قاله ليام أتى مفعوله. تراجع تايلر خطوة للخلف، وعقد حاجبيه.

تمتم قائلًا:

- «لن يكون ركلك تحديًا حتى.»

تحرك متجاوزًا ليام ليعود إلى مقعده، لكنني لاحظتُ أنه بذل جهدًا هذه المرة ليتحاشى لمسه.

عاد ليام للجلوس في المقعد المجاور لي. ارتسمت نظرة رضا على وجهه، ولعبت ابتسامة سرية على شفتيه.

علقتُ قائلة:

— «أعتقد أنك أرعبت تايلر للتو.»

هز ليام كتفيه:

— «أجل، حسنًا. إنه أحمق.»

— «ألم تكونا صديقين سابقًا؟»

— «لا. ليس حقًا.»

لكن هذه كذبة. الجميع يعرف أن تايلر وليام كانا مقربين. ومع ذلك، لا يبدو أنه يرغب في الحديث عن الأمر، وهذا يناسبني. لم آتِ إلى هنا للحديث عن تايلر مارتينسون. جئتُ لأقضي وقتًا مع ليام.

أحضرت النادلة قشتين لمخفوق الحليب. تمنيتُ لو كان لدينا قشة واحدة فقط، لنتشاركها أنا وليام. لكن قشتين أمر جيد أيضًا. حاولتُ توقيت شربتي بحيث آخذ رشفة في نفس اللحظة التي يشرب فيها، لتكون وجوهنا متباعدة بإنشات قليلة.

قال ليام:

— «أحب مخفوقات الحليب هنا.»

كانت ساقه تضغط على ساقي وكذلك ذراعه. لو لم نكن محاطين ببقية طلاب فريق الجري، لَتساءلتُ إن كان سيحاول تقبيلي. الفكرة جعلت قلبي يكاد يقفز من صدري.

لكن قبل أن أتحمس كثيرًا، بدأ هاتفي بالرنين في جيبي. عرفتُ النغمة. إنها أمي.

عظيم.

– «لحظة.»

مددت يدي في جيبي وأخرجت هاتفي، الذي كان هدية عيد ميلادي العام الماضي. لكن أمي وضعت كل تلك القيود عليه، فلا يمكنني لعب الكثير من الألعاب أو مشاهدة يوتيوب. أوه، وهناك تتبع GPS، لكي تعرف مكاني في كل لحظة من اليوم. بجدية، لمَ لا تزرع شريحة إلكترونية في رأسي وتنهي الأمر؟

– «مرحبًا أمي.»

قالت أمي:

– «أوليفيا، هل ما زلتِ في ذلك المطعم؟ الوقت تأخر.»

يا إلهي، هي تعرف أنني ما زلت في المطعم. لديها ذلك الـ GPS على هاتفي.

نظرتُ إلى ساعتي ثم عبر النافذة:

– «الوقت ليس متأخرًا لتلك الدرجة. لم يحل الظلام بعد.»

– «كيف تنوين العودة للمنزل؟»

نظرتُ إلى ليام، الذي كان رافعًا حاجبيه:

– «أمم... سأمشي فقط.»

سيوصلني للمنزل مشيًا. أنا واثقة من ذلك.

هتفت أمي وكأنني اقترحت العودة للمنزل عبر الانزلاق بالحبل:

– «تمشين! هذا غير وارد! سأقود السيارة وآتي لأخذكِ.»

– «أمي!»

حاولت ألا أبدو كثيرة التذمر، لكنني حقًا لا أريدها أن تأتي لأخذي. ليس الآن. ليس والأمور تسير على خير ما يرام.

– «الوقت لا يزال مبكرًا جدًا. ألا يمكنني البقاء؟ أرجوكِ؟»

– «أليس لديكِ واجبات مدرسية؟»

– «أنهيتها في المدرسة.»

(كانت تلك كذبة. لم يكن هناك أي طريقة لأركز في واجباتي وأنا أعلم أنني وليام على وشك الخروج في أول شبه موعد لنا).

صمتت أمي للحظة، تفكر في الأمر. عقدتُ أصابع يدي وقدمي أملًا في أن توافق على بقائي.

قالت أخيرًا:

– «لا. سآتي لأخذكِ الآن. أريدكِ في المنزل قبل حلول الظلام.»

– «لكن يا أمي...»

– «الأمر غير قابل للنقاش يا أوليفيا.»

تمتمتُ بتذمر:

– «حسنًا.»

لو لم يكن ليام بجواري تمامًا، لربما جادلتُ بقوة أكبر للبقاء، لكنني لا أريده أن يسمعني وأنا أتشاجر مع أمي. تعرفون، تلك المشاجرات التي أشرح لها فيها أنني لست طفلة وأنها تتصرف بسخافة مطلقة. تلك المشاجرات قد تطول، وقد لاحظتُ أنها عادةً لا تنتهي لصالحي.

أنهيت المكالمة مع أمي وحشرت الهاتف مرة أخرى في جيبي.

قلتُ له:

– «أنا آسفة حقًا. أمي قادمة لأخذي الآن.»

تهدل وجهه:

– «الآن؟ هل عليكِ الذهاب حقًا؟»

– «إنها قلقة بشأن عودتي للمنزل مشيًا بمفردي.»

قطب حاجبيه:

– «كنتُ سأوصلكِ.»

أعلم أنه كان سيفعل. وأمه لا تجلس قلقة بشأن توصيله لي ثم عودته للمنزل. لأن أمه ليست مجنونة كأمي.

– «أنا آسفة.»

– «لا بأس.»

وعندها مدّ يده اليسرى تحت الطاولة ووجد يدي. ضغط عليها برفق، وفجأة أصبحنا متشابكي الأيدي. يا إلهي، نحن نمسك بأيدي بعضنا! ابتسم لي، وبادلته الابتسامة. الشيء الوحيد الذي أفسد اللحظة قليلًا هو أن يدي كانت تتعرق بشدة. وددتُ لو أسحبها منه وأمسحها في بنطالي الجينز، لكنني لست متأكدة كيف سأبرر حركة كهذه.

قال أحد شباب الفريق وهو يبتسم بخبث لليام:

– «هيه! كاس! ماذا تفعل تحت الطاولة؟ أظهر يديك حيث يمكننا رؤيتهما يا صاح!»

ضحك ليام، لكن أذنيه تلونتا قليلًا وسحب يده من يدي. انقبض قلبي في صدري، وفي تلك اللحظة، أرسلت لي أمي رسالة نصية تخبرني أنها في الخارج وأن عليّ تحريك مؤخرتي للخروج فورًا.

قلتُ لليام:

– «عليّ الذهاب.»

عضّ على شفته:

– «ماذا لو أخبرتها أنني سأوصلكِ؟»

– «إنها بالخارج. يجب أن أذهب حقًا.»

وقف ليام ليتيح لي الخروج من المقصورة، وفرك مؤخرة عنقه:

– «حسنًا. أنا سعيد لأنك جئتِ.»

ابتسمتُ له:

– «وأنا أيضًا.»

كان جميع أصدقائه من فريق الجري يحدقون بنا. ظل يفرك عنقه ويبتسم بخجل.

– «ربما في وقت آخر إذن؟»

أومأتُ برأسي، محاولة ألا أظهر خيبة أملي. هو لم يطلب حتى الخروج معي في ليلة أخرى. لكن ليس وكأننا لن نرى بعضنا مرة أخرى. لدينا حصة رياضيات معًا غدًا. إنها حصتي المفضلة الآن، وأنا حتى لا أحب الرياضيات.

– «أراك غدًا.»

– «أراكِ لاحقًا.»

انتظرتُ لحظة إضافية، آملةً أن يغير رأيه ويميل لتقبيلي، أو على الأقل يقترح الخروج مرة أخرى. لكنه لم يفعل.

الفصل الخامس عشر

أوليفيا

أنا غاضبة جدًا من أمي.

كنت أقضي وقتًا رائعًا مع ليام. إنه، حرفيًا، أول فتى أعجب به بشدة. ويبدو أنه يبادلني الإعجاب فعليًا. وقد أفسدت هي الأمر. بلا سبب!

سألتني أمي وهي تنعطف نحو شارع ميبل:

– «هل ستعاقبينني بالصمت طوال الطريق إلى المنزل؟»

طويتُ ذراعيّ فوق صدري:

– «أنتِ تعلمين أن ليام طلب مني تحديدًا المجيء الليلة.»

– «وسيطلب منكِ مجددًا.»

– «وماذا لو لم يفعل؟»

– «أنا واثقة أنه لن ييأس بهذه السهولة.»

– «أنتِ لا تعرفين ذلك.»

– «امنحيني قليلًا من الثقة يا أوليفيا. وامنحيه هو أيضًا قليلًا من الثقة.»

أطلقتُ زفرة غاضبة وحدقتُ عبر النافذة. أمي تعرف مدى إعجابي بليام. كنتُ أسرّ لها بمشاعري طوال العام. خاصة وأن ماديسون تكنّ كل تلك الكراهية

لليام، فكانت أمي هي كاتمة أسراري الرئيسية. هي تعرف كم كنت متحمسة لهذه الليلة.

قالت أمي، وقد اختارت تجاهلي لها:

– «أعتقد أنني رأيته عبر النافذة. أكره حين تفعل ذلك، رغم أن أسلوبها ينجح عادةً، لنكون منصفين.»

وتابعت:

– «هل كان هو الفتى ذا الشعر الداكن والقميص الأزرق؟»

اعترفتُ قائلة:

– «نعم.»

بقدر ما أريد أن أكون غاضبة من أمي، إلا أنني أريد أيضًا الحديث عن ليام. مشاعري متضاربة جدًا.

أومأت برأسها:

– «أوه. إنه جذاب حقًا. أستطيع أن أرى لماذا يعجبكِ.»

– «أعرف، أليس كذلك؟»

تعرقت يداي مجددًا لمجرد التفكير فيه.

– «وهو ليس جذابًا وحسب. إنه واحد من أذكى الطلاب في المدرسة. كان عليكِ سماعه في المناظرة أمس يا أمي.»

– «حسنًا، أنا آسفة لأنني جعلتك تعودين للمنزل، لكنني واثقة أنك ستحظين بفرصة أخرى معه.»

ابتسمتُ للذكرى:

– «لقد أمسك بيدي. أعني، لدقيقة واحدة فقط لأن أحد أصدقائه بدأ يغيظه. لكن... كان الأمر...»

سرت قشعريرة في جسدي كله عند التفكير في ذلك.

– «يجب أن تدعيه لزيارة منزلنا.»

– «تعنين وأنتِ في المنزل؟»

– «يا إلهي. بالطبع نعم.»

– «ماما...»

غمزت لي أمي:

– «ماذا؟ سأكون هادئة وعصرية "كول".»

يا إلهي، هي بالتأكيد لن تكون "كول". على الأغلب ستسحب ألبومات الصور القديمة وتريه صور تدريبي على استخدام الحمام وأنا طفلة.

أضافت:

– «يمكنك أخذه إلى غرفتك. طالما أبقيتِ الباب مفتوحًا.»

– «هل يجب أن نبقيه مفتوحًا؟ ليس وكأننا سنفعل أي شيء.»

أطلقت أمي ضحكة ساخرة من أنفها. لكن أعتقد أنها ربما محقة. لو كنت أنا وليام وحدنا في غرفة...

يا إلهي، التفكير في الأمر يشعرني بتلك القشعريرة مجددًا. لا أطيق انتظار رؤيته ثانية.

أوقفت أمي سيارة الهوندا أمام منزلنا، وبحلول تلك اللحظة، كنتُ قد سامحتها تقريبًا. باستثناء ماديسون، أمي هي صديقتي المفضلة ويصعب عليّ

البقاء غاضبة منها. وربما هي محقة. لا أعتقد أنني أضعت فرصتي مع ليام. أليس من المفترض أن تتمنع الفتيات قليلًا أمام الأولاد؟

لذا كنت في مزاج جيد حين نزلتُ من السيارة. حتى رأيتُ من يجلس على درجات السلم الأمامية لمنزلنا.

الفصل السادس عشر

إيريكا

تملأ رائحة رغيف اللحم المطهو في الفرن أرجاء المطبخ بينما أقطع الخيار للسلطة، التي ستكون «العنصر الأخضر» في عشائنا الليلة. ربتني أمي على أن أضيف دائمًا عنصرًا أخضر للعشاء. رغم أنه من المؤكد أن هانا ستلتقطه من طبقها بإبهامها وسبابتها وتنظر إليه وكأنه فضلات كلب. وقد يفعل ليام المثل. وفي الواقع، الاحتمال خمسون بالمائة أن جيسون سيفعل ذلك أيضًا.

ومع ذلك، لا بد من وجود عنصر أخضر.

صُفق الباب الأمامي، مما يعني أن جيسون عاد من العمل. في الموعد تمامًا. خلع حذاءه عند الباب — وكان إقناعه بفعل ذلك انتصارًا صعب المنال. دلف إلى المطبخ، وبدا وسيمًا للغاية بقميصه وربطة عنقه. منحني ابتسامة مائلة وقال:

— «الرائحة شهية.»

— «رغيف اللحم.»

انضم إليّ عند المنضدة ونظر إلى الخيار الذي أقطعه:

— «مضحك. هذا لا يشبه رغيف اللحم.»

قلبتُ عينيّ ونكزته بكتفي:

— «إنه في الفرن. بقي خمس دقائق على المؤقت.»

مشى نحو الفرن وفتحه لينظر إلى رغيف اللحم في الداخل. أكره حين يفعل ذلك لأنه يقطع عملية الطهي، لكنني أقدر على مضض أنه يحب طبخي لدرجة رغبته في مشاهدته وهو يُطهى.

سألتُه:

— «كيف كانت حركة المرور؟»

ما زلت لا أعرف كيف يتحمل التنقل من مانهاتن إلى لونغ آيلاند خلال ساعة الذروة ويحافظ على ابتسامة تعلو وجهه. خمس دقائق على طريق لونغ آيلاند السريع كفيلة بجعلي نكدة طوال اليوم.

فكّ ربطة عنقه بإبهامه وقال:

— «ليست سيئة. هل يمكنني المساعدة في التقطيع؟»

ضحكتُ ساخرة. جيسون بارع في الحواسيب، لكن الطبخ ليس مجاله بالتأكيد. حين يقطع الخضروات، من المحتمل جدًا أن يقطع جزءًا من إصبعه —— وأنا أفضل ألا تتخضب سلطتي بالدماء.

— «لا بأس، أنا أتدبر الأمر.»

أشار إلى الطماطم على المنضدة:

— «ماذا؟ يمكنني تقطيع تلك لكِ.»

— «همم. هل يمكنك؟»

— «بالتأكيد. لدي مهارات رائعة في استخدام السكين أو أيا كان.»

حين رمقته بنظرة شك، ابتسم لي:

— «هيا. إنه مجرد عشائنا. ليس وكأننا سندخل بالسلطة في مسابقة للسلطات.»

— «ما رأيك أن تجهز الطاولة؟»

— «طلبكِ أمرٌ يا سيدتي.»

قلبتُ عينيّ:

— «هل يمكنك مناداة هانا وليام للنزول أولًا؟»

— «حاضر.»

سحب جيسون ربطة عنقه بالكامل بينما يتجه نحو الدرج لينادي الأطفال للنزول للعشاء. ثم عاد بطاعة إلى المطبخ ليجهز الطاولة. إنه يتصرف كزوج من فئة الخمس نجوم الليلة.

قلتُ وأنا أبدأ بتقطيع الطماطم:

— «هل كان يومك جيدًا في العمل؟»

أومأ بحماس:

— «الفريق يحقق تقدمًا رائعًا. الجميع يعمل بجد، وسيكون لدينا منتج جديد قريبًا. الأمر مثير.»

شرح لي جيسون بعض البرمجيات التي يبنونها، ولم أفهم الأمر تمامًا. إنه عبقري بالتأكيد بطريقة ما. الأمر يبعث على الرهبة قليلًا، لأنني لست عبقرية بالتأكيد، لكن بعد عشرين عامًا من الزواج، لم أعد أشعر بعدم الأمان بشأن ذلك. على الأقل هذا يعني أننا نستطيع تحمل تكاليف منزل جميل وسيارات جيدة. وربما إذا حصل على بعض الإجازة، يمكننا الذهاب في عطلة عائلية جميلة.

دخلت هانا المطبخ حافية القدمين تمامًا لحظة انطلاق رنين مؤقت رغيف اللحم. تظاهر جيسون بالانبهار بمدى لذة مظهره، لكن هانا قطبت أنفها. حدقت في الكتلة الرمادية التي تلمع بصلصة الطماطم وعصارتها الخاصة.

قالت:

– «لن نأكل هذا، أليس كذلك؟»

قال جيسون:

– «بالطبع لا. هذا هو تلفازنا الجديد. ماذا تودين أن تشاهدي؟»

تأوهت قائلة:

– «أبي...»

ضيقت عينيها نحو العشاء الذي قضيت الساعة الماضية في طهيه:

– «إنه فقط... لحميّ جدًا. كأنه كتلة ضخمة من اللحم.»

– «نعم يا هانا. هذا هو تعريف رغيف اللحم.»

غاصت في أحد الكراسي على طاولة المطبخ:

– «أفضل تناول الدجاج.»

هز جيسون كتفيه:

– «حسنًا، وأنا أفضل أن أكون في جزر البهاما. لا نحصل دائمًا على ما نريد. أحيانًا عليكِ القيام بأشياء فظيعة مثل تناول رغيف لحم لذيذ.»

ابتسمتُ لنفسي وأنا أتابع تقطيع الطماطم:

– «أين ليام؟ هل يمكن لأحدكم إخباره بالنزول؟»

أخرجت هانا هاتفها وبدأت تقلب في رسائلها النصية:

– «ليام ليس في المنزل.»

ماذا؟ حاولتُ إخفاء الرجفة في صوتي:

– «ليس في المنزل؟ أين هو؟»

– «لا أعرف. تدريب الجري؟ ما المشكلة؟ الوقت ليس متأخرًا.»

نظرتُ عبر النافذة، حيث كانت الشمس قد غابت بالفعل في السماء.

– «لقد غربت الشمس.»

أبقت هانا عينيها على هاتفها:

– «وماذا في ذلك؟ ربما ذهب للأكل في مكان ما مع أصدقائه أو شيء كهذا. لماذا تفزعين؟»

– «أنا لست فزعة.»

لكنها محقة. أنا فزعة. نظرتُ إلى جيسون، الذي لم يبدُ عليه أدنى قلق من عدم وجود ليام في المنزل. وهو أمر منطقي، لأن ابننا يبلغ ستة عشر عامًا ويقود السيارة تقريبًا. يمكنه أن يكون مسؤولًا عن نفسه. ولم يتأخر حتى الآن. لقد عاد إلى المنزل في مثل هذا الوقت من قبل.

لكن ليس ليام هو من أقلق بشأنه.

كانت يداي ترتجفان بشدة لدرجة أن السكين انزلقت، وغاص النصل مباشرة في سبابتي اليسرى. سال الدم فورًا مغرقًا لوح التقطيع.

جفل جيسون وهرع نحو المناشف الورقية:

– «يا إلهي، إيريكا!»

أمسك بمنديلين ودفعهما نحوي:

– «هل أنتِ بخير؟ يبدو الجرح سيئًا.»

ضغطتُ بالمناشف الورقية على إصبعي، وتشربت اللون القرمزي فورًا. لكن الجرح في إصبعي هو أقل مخاوفي. أين ليام؟ كل ما أستطيع التفكير فيه هو أوليفيا رينولدز. ماذا لو كان معها؟

ماذا يفعل بها؟

آمل أن يسرع فرانك ويقوم بعمله اللعين.

اخترق صوت جيسون أفكاري:

– «إيريكا! إنه ينزف بغزارة. ربما يجب أن نذهب إلى الطوارئ...»

– «لا!»

خرجت الكلمة بصوت عالٍ جدًا فرمش جيسون بدهشة. تنحنحتُ قائلة:

– «إنه بخير. حقًا. أنا فقط أنزف كثيرًا.»

حاول جيسون الابتسام، لكنه بدا شاحبًا:

– «وكنتِ قلقة من تقطيعي للطماطم...»

صفق الباب الأمامي، وزفرتُ بارتياح. ليام في المنزل. الحمد لله.

دخل ابني المطبخ بخطوات ثقيلة، لا يزال يرتدي حذاءه الرياضي الذي ترك آثار تراب على السجادة وأرضية المطبخ. صرختُ عليه بسبب ذلك مرات عديدة من قبل، لكنني لن أفزع بسبب ذلك الآن. أنا فقط سعيدة لأنه في المنزل.

تحدثت هانا قبل أن أتمكن من التظاهر بعكس الحقيقة:

– «أمي كانت قلقة عليك.»

بدا ليام متفاجئًا:

– «كنتِ؟ ذهبتُ فقط إلى "تشارليز" مع بعض أصدقائي من فريق الجري. قلتِ أن أكون في المنزل بحلول السابعة. صحيح؟»

نظر إلى ساعته:

– «أنا لست متأخرًا.»

أمسكتُ بمنشفة ورقية أخرى من المنضدة لأستبدل تلك التي تشبعت بدمي:

– «لا، لا بأس. هل استمتعت؟»

هز ليام كتفيه:

– «بالتأكيد.»

بدا أن النزيف قد تباطأ، وهو أمر جيد. كنتُ قد بدأت أقلق من حاجتي لقطب جراحية. لم أحتج لقطب من قبل، إلا أثناء الولادة.

سألتُه محاولةً أن أبدو عفوية، آملة أن يزل لسانه بشيء ما:

– «هل كان الشباب من الفريق وحسب؟ أم كانت هناك فتيات؟»

لكن بالنظر للطريقة التي ابتسم لي بها جيسون بخبث، لا أعتقد أنني نجحت في إخفاء قلقي.

ذهب ليام إلى الخزانة ليحضر بعض الأكواب، التي نسيها جيسون حين كان يجهز الطاولة. لقد جهز ليام الطاولة مرات أكثر بكثير مما فعل جيسون.

قال ليام:

– «كان الشباب وحسب.»

ضحك جيسون:

– «على الأغلب لم يكن ليخبرنا لو كان الأمر غير ذلك.»

على الأغلب لم يكن ليفعل. وهذا بالضبط ما أخشاه.

الفصل السابع عشر

أوليفيا

قطبتُ حاجبَيّ وأنا أنطق اسمه:

– «تايلر. ما الذي تفعله هنا؟»

كان تايلر مارتينسون آخر شخص أتوقع رؤيته عند وصولي للمنزل. ما زال يرتدي قميص فريق كرة القدم، ويجلس على درجات السلم الأمامي لمنزلنا، مستندًا بمرفقيه على ركبتيه. حين رآني أترجل من السيارة، نهض مسرعًا.

قال:

– «أوليفيا. عليّ التحدث معكِ.»

لاحظت أمي وجوده:

– «تايلر! كيف حالك؟»

أمي تعرفه لأن والدة تايلر هي تلك السيدة المهووسة في جمعية الآباء والمعلمين؛ دائمًا ما تتطوع لهذا النشاط أو تبيع تذاكر لذاك. جميع الآباء الآخرين يحاولون دائمًا التملق لها، بمن فيهم أمي.

هز تايلر كتفيه بلا مبالاة:

– «بخير. سيدة ميرسر، أحتاج للتحدث مع أوليفيا لبضع دقائق.»

ليام دائمًا ما يتصرف بتهذيب شديد مع الكبار، لكن تايلر ليس كذلك. أنا محظوظة لأنه لم يشتم أمي.

ترددت أمي. فرغم معرفتها بوالدته، إلا أن تايلر لا يبدو كالفتى الذي ترغبين في ترك ابنتك معه بمفردها. إنه ضخم الجثة، ولا ينظر في أعين البالغين إلا إذا كان غاضبًا، ويشبه مغتصب الفتيات في الأفلام التلفزيونية.

قالت أمي:

— «لبضع دقائق فقط. بعدها أريدكِ أن تدخلي يا أوليفيا.»

أومأتُ برأسي، وخاب أملي لأن أمي لم تمنحني عذرًا للتخلص من تايلر. لا أريد التحدث معه. لا لبضع دقائق، ولا حتى لثوانٍ معدودة. لكن حين دخلت أمي إلى المنزل، تُركنا وحدنا للمرة الأولى منذ ذلك اليوم الذي طلب فيه مواعدتي ورفضت.

الأمر هو أن تايلر ليس قبيحًا. في الواقع، هو وسيم إلى حد ما. ليس بجاذبية ليام، لكن من يضاهيه، أليس كذلك؟ السبب الذي دفعني لرفض الخروج معه لا علاقة له بمظهره، بل بحقيقة كونه وغدًا ومتنمرًا.

على سبيل المثال، حين كنا في السنة الأولى، كان هناك فتى في فصلنا يدعى غريغ، وكان ألطف فتى على الإطلاق. لكنه كان نحيلًا جدًا، ويرتدي نظارات سميكة للغاية، وكان يبدو "نيرد" بامتياز. لسبب ما، جعل تايلر مهمته في الحياة تعذيب غريغ. كنت أحضر حصة الرياضة معهما، وكان تايلر يحاول دائمًا إيجاد طريقة لرمي الكرة مباشرة نحو غريغ بأقصى قوته. وفي حالة تايلر، كانت قوته هائلة. أتذكر مرة رماها نحوه بقوة كسرت نظارته وجعلت أنفه ينزف.

كما أنه أطلق شائعات عنه عبر الإنترنت. لا أتذكر كل التفاصيل، لكنها كانت سيئة للغاية. أعتقد أنهم ركّبوا وجه غريغ بالفوتوشوب على صور محرجة، ثم أرسلوها للمدرسة بأكملها.

استمرت أمور كهذه طوال العام. وبحلول شهر يونيو، كان غريغ محطمًا لدرجة أنه بالكاد يتحدث مع أحد. ولم يعد للمدرسة في سبتمبر التالي.

أوه، وفي العام الماضي كانت هناك تلك الحادثة مع ليلي ماكنتوش. أظن أنهما كانا يتواعدان ثم غضب منها، فأرسل لكل من في المدرسة صورًا لها عارية الصدر، كانت قد أرسلتها له أثناء علاقتهما. شعرتُ بالأسف الشديد تجاه ليلي، رغم أنه يجب أن تكوني غبية حقًا لترسلي صورًا عارية لنفسك لشخص مثل تايلر مارتينسون. على أية حال، هي تركت المدرسة أيضًا. أخبرتني ماديسون أنها حاولت الانتحار، لكنني لست متأكدة من صحة ذلك. سمعتُ تايلر يضحك بشأن الأمر في الردهة ذات مرة.

إذن، نعم. هذا هو تايلر. وهذا هو نوع القذارات التي يفعلها.

لففتُ ذراعيّ حول صدري، فالجو أصبح أبرد مما كان عليه سابقًا. تايلر يرتدي معطفًا، لكن من المستحيل أن يعرضه عليّ كما فعل ليام. إنه أناني جدًا لدرجة أنه لن يلاحظ حتى أنني أشعر بالبرد.

قلتُ:

– «ما الأمر يا تايلر؟ ماذا تريد؟»

– «أحتاج للتحدث معكِ بخصوص ليام.»

قلبتُ عينيّ:

– «لا تتعب نفسك.»

– «الأمر مهم.»

رفعتُ ذقني لأنظر في عيني تايلر مباشرة:

– «ليام فتى لطيف حقًا. لا يوجد شيء يمكنك قوله لي عنه قد يغير رأيي.»

تهدج صوت تايلر قليلًا، مما فاجأني:

– «عليكِ أن تستمعي إليّ يا أوليفيا. أنا لا أمزح. ليام... إنه خطير.»

هل هو منزعج حقًا؟

سخرتُ قائلة:

– «ليام خطير؟»

قطب جبينه:

– «أعتقد حقًا... أعتقد أنكِ إذا واعدته، فقد تكون حياتك في خطر.»

– «أوه، كفى هراءً! هل تقول إنه قاتل؟»

– «أنا أقول... من بين كل من أعرفهم، هو الوحيد الذي يرعبني حد الموت.»

– «لماذا؟»

تثاقل تايلر في وقفته بين ساقيه الضخمتين:

– «إنها قصة طويلة. عليكِ أن تثقي بي.»

هززتُ رأسي رافضة.

أضاف وهو يغمز لي:

– «وعلى أية حال، ليام لا يملك أي خبرة تذكر مع الفتيات. ألا تفضلين أن تكوني مع شخص... شخص يعرف ما يفعله؟»

صحيح. ها هو قد وصل أخيرًا للسبب الحقيقي لوجوده هنا. لأنه مستاء من خروجي مع ليام بعد أن رفضته.

قلتُ:

– «في الواقع، لا.»

استدرتُ لأبتعد عن تايلر، لكن قبل أن أتمكن من ذلك، مد يده وأمسك بذراعي. حاولتُ التخلص منه، لكنه تشبث بقوة.

توسل إليّ:

– «عليكِ أن تستمعي إليّ يا أوليفيا. أنتِ ترتكبين خطأً فادحًا. أؤكد لك ذلك.»

أصابع تايلر بحجم النقانق. حاولتُ مرة أخرى التملص منه وأنا أشعر بالكدمات تتشكل على جلدي.

قلتُ وأنا أجز على أسناني:

– «اتركني.»

– «أنتِ لا تفهمين...»

– «اتركني وإلا سأصرخ.»

أخيرًا وصلته الرسالة. أرخى قبضته وابتعدتُ عنه. ذراعي ما زالت تؤلمني حيث أمسك بي.

قال:

– «سنتحدث عن هذا لاحقًا.»

– «لا. لن نفعل.»

الفصل الثامن عشر

إيريكا

نعشق أنا وجيسون مشاهدة المسلسلات التلفزيونية بنهم ونحن في السرير. حين وضعنا تلفازًا في غرفة نومنا لأول مرة، بدا الأمر كنوع من الترف المفرط. حتى ذلك الحين، لم يكن لدينا سوى تلفاز في غرفة المعيشة. قال جيسون وقتها: «أي نوع من مدمني التلفاز نحن لنحتاج جهازًا في كل غرفة؟». لكننا اشتريناه، وكانت شاشة مسطحة بحجم تلك الموجودة في غرفة المعيشة تمامًا. ونحن نشاهده طوال الوقت. لا أستطيع التفكير في أي مشتريات استفدنا منها بقدر هذا التلفاز. حتى سياراتنا.

تخفف جيسون من ملابسه وبقي بقميصه الداخلي وسرواله القصير، ولف ذراعه حولي بينما تماهيت بجسدي معه لنشاهد الحلقة الخامسة من الموسم الثاني لمسلسل "بوجاك هورسمان". إنه مسلسل عن حصان مدمن مخدرات كان نجمًا في مسلسل كوميدي بالتسعينيات. لا تحكموا عليّ.

لكن من الصعب التركيز. من المفترض أن يتحدث فرانك مع أوليفيا الليلة. ومن المفترض أن يرسل لي رسالة نصية حين ينتهي. لذا، حتى تصلني تلك الرسالة، لا أستطيع الاسترخاء تمامًا. ثمة عقدة في عنقي تنبض بالألم.

قال جيسون وعيناه مثبتتان على الشاشة، غافلًا تمامًا عن نقري المستمر بأصابعي على السرير، وهي عادتي حين أتوتر:

— «هذا أفضل برنامج على التلفاز.»

— «حتى أفضل من "أشياء غريبة" (Stranger Things)؟»

— «حسنًا. كلاهما جيد بطريقته.»

— «همم.»

بدأ هاتفي بالرنين على الطاولة بجوار سريرنا، فكدتُ أقفز من جلدي. لكنه لم يكن فرانك — من المفترض أن يراسلني، لا أن يتصل. التقطته ورأيت اسم مديري على الشاشة. نظرتُ إلى ساعتي؛ التاسعة والنصف. ما زال وقتًا مقبولًا للاتصال بموظف.

قلتُ:

— «إنه برايان. هل يمكننا إيقاف "بوجاك"؟»

تذمر جيسون:

— «أفترض ذلك. لكن اجعليها مكالمة سريعة. هذا المسلسل لن يشاهد نفسه بنفسه.»

رفعتُ السماعة وملأ صوت برايان الأنفي أذني. برايان في مثل عمري، لكنه يكره التكنولوجيا ويتجنب الرسائل النصية أو البريد الإلكتروني ما استطاع. حتى أنه لا يملك هاتفًا ذكيًا بعد. يدير صحيفة "ناساو نتشيل" منذ عشر سنوات، ولديه أفكار صارمة جدًا حول كيفية سير الأمور.

قال بنبرة نافدة الصبر، وهو أمر معتاد لديه:

— «إيريكا. أين مقالك عن مسابقة الفطائر؟»

كجزء من مسيرتي الصحفية "المثيرة للغاية"، كُلفتُ بتغطية مسابقة محلية لخبز الفطائر. لم يكن الأمر سيئًا بصراحة، لأنني تذوقت بعض الفطائر. لكن هذا ليس بالضبط ما حلمت به حين تخصصت في الصحافة.

— «ظننتُ أن موعد التسليم ليس قبل صباح الغد.»

– «إذن كنتِ تخططين للانتظار حتى آخر ثانية من الموعد النهائي؟»

مد جيسون يده ليدغدغ بطني فأبعدته بيدي.

قلتُ لبرايان:

– «برايان، إذا كنت بحاجة إليه في وقت محدد، لِمَ لم تجعل ذلك هو الموعد النهائي؟»

– «إيريكا، فقط أرسلي لي المقال، أرجوكِ.»

– «سيكون عندك أول شيء في الصباح.»

– «إيريكا...»

– «أول شيء في الصباح. أعدك.»

تذمر برايان، لكن كان عليه القبول بالأمر. في ليالٍ أخرى، كنت سأجلس على الحاسوب وأكتب المقال له فورًا، لكنني لست في حالة ذهنية تسمح بذلك الآن. كل ما أستطيع التفكير فيه هو فرانك. جزء مني كان يغريني بالاختباء بين الشجيرات خارج منزل أوليفيا لأراقب ما سيحدث.

بعد أن أغلقت الهاتف، رفع جيسون حاجبيه نحوي:

– «هل أنتِ بخير؟»

– «أجل. لا بأس.»

– «تعلمين، الآن وقد كبر الأولاد، يمكنك البحث عن وظيفة أفضل. وظيفة في المدينة.»

سخرتُ قائلة:

– «وكيف لي أن أفعل ذلك بينما ينتهي بي المطاف بتوصيلهم للمدرسة يومًا بعد يوم؟»

رمش جيسون بعينيه الزرقاوين:

— «سيحصل ليام على رخصته قريبًا. يمكنه توصيل هانا. يجب أن تفكري في الأمر. أعلم أنك لست سعيدة في "نتشيل".»

أخذتُ نفسًا عميقًا:

— «أود ذلك. تعلم أنني أود. لكن الأولاد... إنهم بحاجة ماسة إليّ الآن.»

عقد حاجبيه. هو لا يفهم. أحب زوجي — لقد كان شريكًا رائعًا طوال العشرين سنة الماضية. لكنه ليس متواجدًا بالقدر الذي أنا عليه. يسافر يوميًا إلى المدينة وكثيرًا ما يسافر للعمل، وهذا يعني أنه يفوته الكثير. حين يحدث شيء سيء، يسمعه مني بشكل غير مباشر. ودائمًا ما يكون واثقًا من أنني أبالغ.

ليس لديه أدنى فكرة عما يمكن لابننا فعله.

اهتز هاتفي على المنضدة. مددت يدي إليه، ولاحظت رسالة نصية ظهرت على الشاشة. رأيت اسم فرانك ونص الرسالة:

تحدثتُ معها. تم الأمر.

تلاشى التوتر من كتفي. الحمد لله. تم تجنب الكارثة مرة أخرى، ولو مؤقتًا. نجت أوليفيا رينولدز، وهي لا تعلم حتى بذلك. أرتجف لمجرد التفكير فيما كان سيحدث لو كنت أهرع إلى المدينة يوميًا من أجل وظيفة. ربما لم أكن لأكتشف أمر هذه الفتاة أبدًا.

كذبتُ وأنا أمسك بجهاز التحكم عن بعد:

— «سأفكر في شأن الوظيفة.»

الفصل التاسع عشر

أوليفيا

إنها حقيقة محرجة أن غرفة نومي لا تختلف كثيرًا عما كانت عليه وأنا طفلة صغيرة. لا تزال ملصقات القطط والكلاب اللطيفة تغطي الجدران — لا يوجد ألطف من قطة صغيرة تنام فوق جرو. ما زلت أحتاج لضوء ليلي لأتمكن من النوم. وما زلت أرتب كل دمى الحيوانات المحشوة بطريقة معينة على سريري كل ليلة.

الليلة، احتضنتُ "السيد بطريق" وأنا أحاول النوم. دفنتُ وجهي في فرائه الناعم ذي اللونين الأبيض والأسود، وعصرت عيني بقوة. نم، تباً لك!

لا، هذا مستحيل. لا أستطيع التوقف عن التفكير في ليام.

لا أصدق أنني اضطررت لمغادرة المطعم مبكرًا. كلما فكرت في الأمر، زاد يقيني بأن ليام كان سيقبلني بالتأكيد. لكن بدلًا من ذلك، لم يطلب حتى رؤيتي مرة أخرى.

الأمر برمته تركني بشعورٍ تام بعدم الرضا.

ليام جذاب جدًاا. كل شيء فيه يشعرني بتلك القشعريرة اللذيذة. كلما أغمضت عيني، أتخيله يبتسم لي. كما أن أسنانه جميلة. لسبب ما، أنا مهووسة بالأسنان. الأسنان المستقيمة المثالية مثيرة جدًا بالنسبة لي. هل هذا غريب؟ ربما. لكنني أرى ليام جذابًا للغاية وحسب.

بدا ليام محبطًا حقًا حين اضطررت للركض للقاء أمي. ربما قرر أنني لا أستحق العناء. في النهاية، هو يعرف الكثير من الفتيات الأخريات في المدرسة، وهن أجمل مني. أنا لست حتى أجمل "أوليفيا" يعرفها.

والأسوأ أنني لا أستطيع التحدث مع ماديسون حول الأمر. عادة، تراسلني مليون مرة خلال الليل، لكن هاتفي كان صامتًا بشكل غريب الليلة. أشعر وكأن جزءًا مني مفقود بغياب ماديسون.

سأضطر للتحدث معها غدًا. سأحاول إصلاح الأمور.

سمعتُ شيئًا ينقر على نافذتي. في البداية ظننت أنه المطر، لكنني أدركت بعد ذلك أن شخصًا ما يرمي الحصى على نافذتي. وضعت السيد بطريق جانبًا ونهضت لأستطلع الأمر.

يا إلهي.

إنه ليام.

يقف تحت نافذتي، مرتديًا سترة خفيفة وبنطال جينز. شعره الداكن أشعث بفعل الرياح، ويمد عنقه لينظر نحو نافذتي. لوّح لي، ففتحت النافذة بما يكفي لأطل برأسي.

سألتُه:

– «ماذا تفعل هنا؟»

قذف حصاة في الهواء والتقطها:

– «أتدرب على التصويب.»

حدقتُ فيه بصمت.

– «أنا أمزح فقط يا أوليفيا. هل يمكنك... هل يمكنك النزول؟»

نظرت خلفي إلى الساعة على منضدتي. إنها الواحدة والربع. والداي نائمان بالتأكيد، والدليل غياب الضوء من تحت باب غرفتي. لن يعرفا أبدًا إن تسللت للخارج. وعلى أية حال، سأكون في الأسفل مباشرة.

– «حسنًا، سأنزل حالًا.»

كنت أرتدي قميصًا واسعًا للنوم فقط، ومن المستحيل أن أخرج به. ارتديت بنطال جينز وسترة جديدة بلا أكمام. وهذه المرة، التقطت سترة خفيفة لأن درجة الحرارة انخفضت بشكل حاد خلال الليل.

وكما توقعت، كان باب غرفة والديّ مغلقًا والضوء مطفأً بالداخل. تسللتُ مارّةً بالغرفة، ونزلت الدرج، وعبرت المطبخ المظلم. فتحت قفل الباب الخلفي وتسللت بهدوء للخارج، حريصة ألا يصفق الباب خلفي.

ألقى ضوء الشرفة الخلفية بظلاله على وجه ليام.

– «مرحبًا.»

ارتجفتُ رغم سترتي:

– «مرحبًا.»

نظرتُ إلى السماء ورأيت القمر بدرًا الليلة. حين كنت في الصف الخامس، تعلمنا عن أطوار القمر المختلفة. البدر، الهلال، المحاق. بالكاد أتذكر ذلك. لكنني لطالما أحببت البدر.

دسّ ليام يديه في جيبي بنطاله وابتسم ابتسامة مائلة:

– «أعتذر لأنني أيقظتك.»

– «لم توقظني.»

– «لا؟»

– «لم أستطع النوم.»

أومأ برأسه:

– «ولا أنا.»

فرك مؤخرة عنقه:

– «أنا... اه، لم أستطع التوقف عن التفكير فيكِ.»

ابتلعت ريقي بصعوبة:

– «أنت... لم تستطع؟»

رفع عينيه اللتين بدتا داكنتين أكثر من المعتاد تحت ضوء القمر:

– «لقد اضطررتِ للمغادرة بسرعة. كنت... كنت أرغب حقًا في توصيلكِ للمنزل.»

– «أوه.»

– «اسمعي يا أوليفيا، أنا...»

أخذ نفسًا عميقًا. لم يكن لدي أدنى فكرة عما سيقوله، ولست متأكدة أنه يعرف أيضًا. لكنه خطا خطوة للأمام، وحنى رأسه، وضغط بشفتيه على شفتي.

يا. إلهي.

إنها قبلتي الأولى. قبلتي الحقيقية الأولى. وهي مذهلة. ليام بارع حقًا في التقبيل. صحيح أنه ليس لدي فتيان آخرون لأقارنه بهم، لكنني لست بحاجة لذلك لأعرف أنه بارع. أعني، في المرة الأولى التي تذوقت فيها الآيس كريم، عرفت أنه لذيذ. وهذا شعور لا يوصف.

حين ابتعد، كان جسدي كله يرتجف. وحين مرر يده خلال شعره الداكن، أدركت أنه يرتجف أيضًا.

منحني ابتسامة جانبية:

– «أردتُ فعل ذلك منذ أول يوم في المدرسة.»

– «أنا سعيدة جدًا لأنك فعلت.»

أضاءت عيناه:

– «حقًا؟ وأنا أيضًا.»

ثم قبلني مرة أخرى.

الفصل العشرون

إيريكا

أستيقظُ من كابوسٍ وأنا أشعر أنني لا أستطيع التنفس.

لا أذكر كل تفاصيل الكابوس، لكنني أتذكر وجودي في حفرة عميقة في الأرض، وشخصًا يهيل التراب فوقي، دافنًا إياي حية. وبينما يوارينِي الثرى، يطلق ضحكاتٍ تتردد أصداؤها في أرجاء القبر الضحل.

ما زال قلبي يقرع بعنف لمجرد التفكير في الأمر. عليّ أن آخذ أنفاسًا عميقة، محاولةً تهدئة نفسي.

أديرُ رأسي لأنظر إلى جيسون، الغارق في سبات عميق بجانبي. يشخر بصوت خافت كما يفعل دائمًا حين ينام على ظهره. ترفرف رموشه الشقراء قليلًا، لكنه لا يتحرك. لطالما كان نوم جيسون ثقيلًا، ونادرًا ما يعاني من الأرق. منذ زمن بعيد، قبل أن نرزق بليام، كنت لأوقظه وأخبره عن كابوسي. ولم يكن ليغضب، بل كان سيلف ذراعه حولي، ويجذبني إليه، ويجعلني أشعر أن كل شيء قد عاد بخير.

لكن جيسون لم يعد يملك القدرة على منحي ذلك الشعور. لا شيء يمكنه ذلك. وعليه الاستيقاظ باكرًا للذهاب إلى العمل في المدينة. لا يمكنني إيقاظه؛ لن يكون ذلك عدلًا بحقه.

كم كانت الأمور بسيطة حين كنا صغارًا. التقيت بجيسون قبل أكثر من عشرين عامًا. كنت أكتب مقالًا عن شركة ناشئة في مجال التكنولوجيا ساهم في تأسيسها، وكانت تحقق نجاحًا سريعًا. كان شعره البني المائل للاحمرار، والذي ورثته ابنتنا لاحقًا، بحاجة لقصة، وكان هو بحاجة لحلاقة ذقنه، لكنه بدا رائعًا. وبينما كان يشرح لي عمل الشركة، وعيناه الزرقاوان تتسعان بحماس متزايد، اندفعتُ قائلة:

– «عليّ أن أخبرك، أعتقد أنك أذكى رجل قابلته في حياتي.»

توقف جيسون في منتصف الجملة ورمش بعينيه:

– «هل هذا شيء جيد؟»

أجبتُ بلا تردد:

– «نعم.»

– «جيد. لأنني أعتقد أنكِ أجمل فتاة قابلتها في حياتي.»

أصبحنا لا نفترق لفترة طويلة بعد ذلك. حتى أننا قضينا صيفًا نتجول في أوروبا برفاهية بعد أن باع جيسون شركتهم بمبلغ ضخم. وعلى برج إيفل، جثا على ركبة واحدة وطلب يدي. ربما كان مشهدًا مبتذلًا، لكنه كان من أكثر الأشياء رومانسية التي يمكنني تخيلها.

أحب جيسون اليوم أكثر مما كنت أحبه يومذاك، لكنني أعترف أن الرومانسية لم تعد كما كانت. أكره اضطراره للسفر مسافة طويلة للعمل كل يوم. وأكره رحلات العمل المتكررة التي يقوم بها. وقد كرهتها أكثر منذ حادثة وقعت قبل عامين.

أخبرني جيسون أن لديه عشاء عمل متأخر مع مستثمر. هذا أمر يحدث من حين لآخر، ولم أعر الأمر اهتمامًا كبيرًا. لكن حين عاد للمنزل، كان يبتسم من

الأذن للأذن وتفوح منه رائحة عطر نسائي غريب. شممتها بمجرد أن قبلني للتحية. ومباشرة بعدها، توجه بخطى سريعة إلى الحمام.

أمضى الأسابيع التالية يغمرني باهتمام مفرط. زهور، عشاءات فاخرة —— حتى أنه اشترى لي أقراطًا ماسية كان قد ضبطني أتأملها على حاسوبي. لم يسعني إلا التفكير بأن جيسون يملأ كل خانات علامات الزوج الخائن.

فكرتُ في مواجهته، لكن في قرارة نفسي، لم أصدق أن زوجي خائن. تخيلتُ كم سيجرحه مجرد تلميحي بذلك. وقررت أخيرًا أنني توهمتُ رائحة العطر. أو ربما تعشى مع مستثمرة تضع عطرًا قويًا للغاية فعلق به. كما يحدث حين تذهب لبار وتعود برائحة دخان، حتى لو لم تدخن سيجارة واحدة.

وبعد تلك الليلة، لم أشم الرائحة ثانية. لذا، حتى لو حدث شيء، فقد حدث مرة ولم يتكرر.

لكن القلق ما زال يكمن في مؤخرة رأسي. خاصة الآن وقد أصبح جيسون «وسيمًا» وجذابًا. أتمنى لو لم تكن ساعات عمله طويلة. أتمنى لو لم تغازله النادلات حين نذهب للمطاعم، حتى وإن لم يبادلهن المغازلة. في النهاية، أنا أثق به. لا أعتقد أنه سيخونني أبدًا —— ليس حقًا.

على أية حال، ليس القلق بشأن زوجي هو ما يبقيني مستيقظة.

همستُ:

— «جيسون.»

لا أريد إيقاظه، لكن لو صدف وكان مستيقظًا، فلن أكون الملومة.

أجابني بشخيره.

حسنًا. لن يستيقظ. وأنا لن أعود للنوم بهذه السرعة. من الأفضل أن أنهض وأعد لنفسي كوبًا من الشاي.

دسستُ قدمي في خفي، والتقطتُ روبي الأزرق المنفوش من الخزانة حيث أرميه كل صباح. تثاءبتُ ومشيتُ بخطى هادئة نحو الردهة. اتجهتُ للدرج، لكن شيئًا ما أوقفني.

باب غرفة ليام موارب.

ليام لا يترك باب غرفته مفتوحًا في الليل أبدًا. ولا مرة. حتى حين كان في الخامسة. يريد دائمًا الباب مغلقًا بإحكام. منظر ذلك الباب المفتوح قليلًا يرعبني بقدر ما أرعبني كابوسي. حين يتعلق الأمر بليام، فالمفاجآت دائمًا سيئة.

مشيتُ نحو باب الغرفة ودفعته لينفتح بالكامل. حدقتُ في ظلام غرفة ابني.

إنها فارغة.

هرعتُ إلى غرفة المعيشة، وقلبي يخفق بجنون. ربما أجد ليام على الأريكة يشاهد التلفاز. مثلي تمامًا، يعاني كثيرًا من صعوبة في النوم. ورغم أنني أجبره على الذهاب للسرير في العاشرة، أعلم أنه يبقى مستيقظًا لوقت متأخر. أخبرني مرة أنه لا يحتاج سوى لخمس ساعات من النوم.

لكن ليام ليس في غرفة المعيشة. وليس في المطبخ. ولا في أي من الحمامين — السفلي أو العلوي. مشطتُ المنزل بأكمله، وحتى نظرت في الشرفة والحديقة الخلفية قبل أن أركض عائدة لغرفة نومي.

— «جيسون!»

تبًا لعدم إيقاظه. ابننا مفقود. لا يمكنني ألا أخبره. ما المفترض بي أن أفعل؟ أعود للنوم بعد أن اختفى ليام من غرفته في منتصف الليل؟

فتح جيسون عينيه بصعوبة. فركهما بظهر قبضتيه كطفل في الثانية من عمره:

— «إيريكا؟»

— «ليام اختفى! ليس في المنزل. لقد ذهب إلى مكان ما.»

حدقتُ في جيسون، أنتظر منه أن يفزع مثلي. فرك عينيه مجددًا. تثاءب. بصراحة، لا أشعر بخوفه الآن.

حاولتُ مرة أخرى:

– «جيسون، لا أجد ليام، والساعة الثانية صباحًا.»

– «حسنًا، اهدئي. إنه ليس طفلًا رضيعًا. هل جربتِ الاتصال بهاتفه؟»

لا أصدق أنني، لسبب ما، لم أفكر في فعل ذلك. تدهشني قدرة زوجي على التفكير بعقلانية في أي موقف.

خطفتُ هاتفي من المنضدة حيث كان يشحن. اخترت رقم ليام من قائمة المفضلين. ضغطت على اسمه، وحبستُ أنفاسي، أصلّي لكي يجيب.

– «مرحبًا؟»

غمرتني موجة من الارتياح عند سماع صوت ليام. حرّك جيسون شفتيه بلا صوت قائلًا: "أخبرتك بذلك".

– «ليام! أين أنت؟»

– «أوه... لم أستطع النوم. فخرجتُ لأتمشى.»

– «في الثانية صباحًا؟ لقد كدتُ أموت قلقًا!»

– «قال أبي إنه يمكنني المشي حول الحي إن لم أستطع النوم.»

نظرتُ إلى جيسون باتهام:

– «هل أخبرته أنه يمكنه الخروج والمشي حول الحي في منتصف الليل؟»

نقر جيسون على ذقنه بتفكير:

– «آه...»

سأحاسبه لاحقًا. أعدتُ انتباهي للهاتف:

— «ليام، أريدك أن تعود للمنزل فورًا.»

— «الآن؟»

— «نعم. الآن.»

صمت قليلًا ثم قال:

— «حسنًا. أنا قادم للمنزل حالًا.»

أنهينا المكالمة، والآن أنا حرة للصراخ في وجه زوجي. يبدو أنه يفتقر تمامًا للحس السليم.

— «أخبرته أنه لا بأس بالتجول في الحي بمنتصف الليل؟ بجدية؟»

اعتدل جيسون في جلسته:

— «حسنًا، اسمعي، أعلم أنكِ غاضبة. لكن هذا الحي آمن حقًا. ليس وكأنه طفل صغير. إنه في نفس طولي. وهو رياضي. يستطيع الدفاع عن نفسه.»

— «ليس ضد سكين. أو مسدس.»

— «هل تظنين حقًا أن هناك من يجوب حيّنا بسكين أو مسدس؟»

— «إنها فكرة سيئة وحسب.»

— «هيا يا إيريكا. إنه راشد تقريبًا. هل تعتقدين حقًا أن شيئًا سيصيبه؟»

لا. إن كنت صادقة مع نفسي، لا أعتقد أن شيئًا سيحدث لليام. لا أعتقد أنه سيتعرض للسرقة أو الهجوم. ليام يستطيع الاعتناء بنفسه. لست قلقة بشأن ذلك على الإطلاق.

ما يقلقني هو ما قد يفعله ليام بشخص آخر. لأن أول ما تبادر لذهني حين رأيت غرفته فارغة كان: ما الذي يريد فعله ولا يمكنه فعله إلا في الثانية صباحًا؟

ماذا لو كان مع أوليفيا رينولدز؟

بدأت أنفاسي تتسارع في لهاث متقطع. أنا أصاب بفرط التنفس. اتسعت عينا جيسون حين أدرك ما يحدث لي. ركض نحو الحمام وسمعته يعبث بخزانة الأدوية. حين عاد، كان يحمل علبة دواء. عبث بالغطاء الآمن للأطفال وأخيرًا أخرج حبة.

قال:

— «خذي هذه.»

لم أضطر لبلع إحدى حبات "زاناكس" منذ شهرين. كنت فخورة جدًا بنفسي. لكن ذلك التقدم ذهب أدراج الرياح. التقطتُ الحبة من كفه المفتوحة ووضعتها في فمي. ابتلعتها دون ماء. راقبني جيسون، وقد عقد حاجبيه. كان التجاعيد تظهر هناك فقط حين يعبس، لكنها الآن موجودة طوال الوقت.

سأل بصوت ناعم وكأنني مريضة عقلية:

— «هل أنتِ بخير؟»

بدأتُ أشعر بالهدوء بالفعل من الزاناكس، رغم أنه تأثير وهمي على الأغلب. لا يمكن أن يعمل بهذه السرعة.

قال جيسون بنفس النبرة المفرطة في الهدوء:

— «اسمعي، لمَ لا تستلقين؟»

تمكنتُ من القول:

— «ليس قبل عودة ليام.»

— «ماذا لو نزلتُ أنا لانتظار ليام؟ سأتحدث معه بشأن عدم الخروج في منتصف الليل مجددًا، حسنًا؟»

حاولت الاعتراض، لكنني شعرت بالدوار والضعف. هذا ما يفعله بي فرط التنفس دائمًا. والزاناكس لا يساعد على الأرجح.

— «حسنًا. شكرًا لك.»

استلقيتُ في السرير، ورغم أن جيسون قال إنه سينزل للأسفل، إلا أنه تمدد بجواري ومسح على شعري:

— «تحتاجين للاسترخاء أكثر يا إيريكا. كل شيء بخير. الأولاد بخير. أنتِ تقلقين أكثر من اللازم.»

أتمنى لو كنت أعيش في عالم جيسون. حيث الأولاد بخير وأكبر مشاكلي هي رهننا العقاري الضخم. لكن لسوء الحظ، لا شيء في حياتي بتلك البساطة.

كانت تلك آخر أفكاري بينما أنجرف للنوم. ولم يكن لدي أدنى فكرة أن عالمي بأسره على وشك الانهيار.

الفصل الحادي والعشرون

إيريكا

حجز ليام المقعد الأمامي أثناء الرحلة للمدرسة في صباح اليوم التالي. إنه في مزاج جيد غير معتاد، رغم حقيقة أن جيسون وبخه بشدة حين عاد للمنزل، وأنا كررتُ وصلة التوبيخ بأكملها هذا الصباح. لكنني لا أعتقد أن جيسون كان قاسيًا معه بما يكفي، وأعرف أنني لم أبذل قصارى جهدي، نظرًا لأنني كنت لا أزال مشوشة من قلة النوم المختلطة بدوار الزاناكس.

وفوق كل ذلك، لم أستطع الغضب بشدة وأنا أعلم أن جيسون هو من سمح له بمغادرة المنزل ليلًا. حقًا، كان يجدر بجيسون أن يكون هدف غضبي. لكنه كان قد خرج للجري، واستحم، وانطلق للعمل قبل أن أستيقظ تمامًا. ولا أعتقد أن ذلك كان مصادفة.

استولى ليام على المذياع، وكان يستمع لأغنية لفرقة "مارون ٥". كان يهمهم مع اللحن، وهو أمر غير معتاد جدًا لليام. هانا هي من تغني عادة مع الأغاني بصوت نشاز مؤلم. ورغم قلة نومه، ليام مفعم بالنشاط هذا الصباح. أظنه محقًا؛ هو لا يحتاج للكثير من النوم. كان لا يزال يهمهم حين انعطفنا نحو المبنى لنصل لواجهة المدرسة الثانوية.

صاحت هانا:

— «ما الذي يحدث في المدرسة؟»

سؤال وجيه للغاية. واجهة المدرسة مكتظة بضباط الشرطة والمراسلين بأعداد متساوية. مزيج سيء. حاولت التوقف أمام المدرسة، لكن شرطيًا أشار لي بالتوجه للمدخل الجانبي. انقبضت معدتي. آخر شيء تود رؤيته حول مدرسة أطفالك هو حشد من رجال الشرطة.

قلتُ:

– «هل المدرسة مفتوحة أصلًا؟ ما الذي يحدث؟»

وبالطبع، أخرجت هانا وليام هاتفيهما فورًا لمحاولة معرفة الأمر. توقفتُ بمحاذاة المدخل الجانبي، حيث كان هناك معلم يراقب الباب. بدا أنهم يسمحون للطلاب بالدخول، رغم أنني مترددة في السماح لولديّ بمغادرة السيارة.

هتفت هانا:

– «طالبة اختفت من غرفتها الليلة الماضية! لا أحد لديه أي فكرة عن مكانها.»

وضعتُ السيارة في وضع التوقف ونظرت للخلف نحو هانا:

– «من هي الطالبة؟»

ليست أوليفيا رينولدز. ليست أوليفيا رينولدز.

– «لحظة...»

كانت لا تزال تمرر إبهامها على الشاشة.

– «إنها...»

هرب اللون من وجهها.

– «هانا؟»

عضت هانا شفتها. نظرت إلى ليام، ثم عادت بنظرها للهاتف:

— «أوليفيا ميرسر.»

قطبتُ جبيني ناظرة لابنتي:

— «أوليفيا... ميرسر؟ في أي سنة هي؟»

أبقت عينيها مثبتتين على شاشة هاتفها، وقد انسدل شعرها أمام وجهها:

— «إنها، أمم، في السنة الثالثة (جونيور).»

رفعتُ عينيّ لأنظر لليام. كان يحدق في شاشة هاتفه هو الآخر، وشفتاه مفترقتان قليلًا.

— «ليام، هل تعرف هذه الفتاة؟»

— «قليلًا. قابلتها. لكنني لا أعرفها جيدًا.»

ضيقتُ عينيّ نحوه. هل يكذب؟ لم أعد أستطيع التمييز. كنت سابقًا أستطيع قراءته، لكنه أصبح بارعًا جدًا في خداعي. صوته يوحي بأنه يقول الحقيقة، على الأقل. ربما هو كذلك فعلًا.

لذا نظرتُ بدلًا من ذلك لهانا، التي تُعد كتابًا مفتوحًا. وبالفعل، كانت تنظر لشاشة هاتفها، وحاجباها معقودان، وتعض شفتها بقوة لدرجة أنها ابيضت. شعرت بانقباضة مروعة في معدتي. يا إلهي، هل أخطأتُ في تحديد الـ "أوليفيا" المعنية؟ كم أوليفيا توجد في هذه المدرسة اللعينة؟

قلتُ:

— «ربما لا يجدر بكما الذهاب للمدرسة اليوم.»

هزت هانا رأسها:

— «لدي اختبار رياضيات اليوم. وعلى أية حال، لماذا نبقى في المنزل؟ سنكون آمنين في المدرسة.»

– «إذا كنتِ متأكدة...»

حاولت هانا الابتسام، لكن ابتسامتها كانت متوترة:

– «لا تقلقي كثيرًا يا أمي.»

مع تلك الكلمات، أمسكت حقيبتها وخرجت من السيارة. مد ليام يده للحقيبة عند قدميه وبدأ يفعل المثل، لكنني أمسكتُ بذراعه. ما زلتُ أذكر حين كانت ذراعه صغيرة ونحيلة لدرجة أنني أستطيع لف أصابعي حولها. الكثير تغير منذ ذلك الحين.

– «ليام.»

رفع حقيبته ووضعها في حضنه. هانا لديها حوالي مليون زينة صغيرة تتدلى من حقيبتها، لكن ليام لا يملك شيئًا.

– «سأتأخر عن المدرسة.»

– «ليام.»

أخرجت الجملة التالية بصعوبة:

– «أين ذهبت الليلة الماضية؟»

رفع عينيه الداكنتين ونظر مباشرة في عينيّ:

– «مشيتُ فقط حول الحي.»

– «هل تقسم؟»

– «أمي، توقفي. أقسم.»

حين كان أصغر، كان ليام يجد صعوبة في الحفاظ على التواصل البصري حين يكذب —— هكذا كنت أعرف. لكن تواصله البصري قوي الآن. إن كان يكذب، فهو يكذب في وجهي مباشرة ويفعل ذلك ببراعة. الحقيقة هي أنني لا أعرف ماذا

أصدق. لكنني أستمر في رؤية الطريقة التي فقدت بها هانا هدوءها حين قرأت اسم الفتاة.

– «أمي، عليّ الذهاب.»

أفلتُ ذراعه:

– «حسنًا. اذهب. لكن أخبر هانا أنني سآتي لأخذكما من المدرسة اليوم.»

– «لدي تدريب فريق الجري.»

– «فوّته.»

بدا ليام وكأنه سيعترض، لكنه أبقى فمه مغلقًا. وضع يده على مقبض الباب، مستعدًا لفتحه:

– «وداعًا يا أمي. أحبك.»

– «أحبك أيضًا.»

أصعب شيء بشأن ليام هو أنه حين يقول «أحبك»، لا أستطيع أن أعرف إن كانت تلك كذبة أيضًا.

الفصل الثاني والعشرون

نص من مقابلة الشرطة مع إلينور ويليامز:

— «كيف تعرفين ليام كاس، آنسة ويليامز؟»

— «كنت معلمته في الصف الثاني.»

— «كنتِ معلمته طوال العام؟»

— «هذا صحيح.»

— «وماذا كان رأيك في ليام؟»

— «حسنًا، في بداية العام، كان أحد طلابي المفضلين. ربما المفضل لدي. طلاب الصف الثاني... ليس لديهم مدى انتباه طويل. يتشتتون بسهولة أو يعبثون وعليّ إعادة توجيههم. لكن ليام لم يكن كذلك. كان دائمًا مهذبًا، حتى حين كان الأطفال الآخرون يثيرون الفوضى. وكان دائمًا ينهي واجباته أولًا. كان يفهم كل شيء. واجباته المنزلية كانت خالية من الأخطاء. وفوق كل ذلك، كان مهذبًا للغاية. وكان أيضًا طفلًا جذابًا حقًا. كالنوع الذي تراه في الإعلانات التجارية.»

— «كيف كان تفاعل الأطفال الآخرين معه؟»

— «في الغالب، أحبوه جميعًا كثيرًا. كان عمره سبع سنوات فقط، لكنه كان ساحرًا للغاية. ساحرًا أكثر من اللازم تقريبًا، إن كنت تفهم قصدي. وكأنه يمثل دورًا. وهذا غير معتاد لطفل في السابعة. عادةً في هذا العمر، ما تراه هو ما تحصل عليه.»

– «إذن ما الذي حدث خلال العام وغير رأيك فيه؟»

– «حسنًا، كما قلت، كان ليام طفلًا استثنائيًا في حسن السلوك. لكن أحيانًا كان يقول أشياء مزعجة للغاية. كان يمتلك ذلك الوجه البريء، وحين يقول شيئًا كهذا...»

– «مثل ماذا؟»

– «أمم، حسنًا، من الصعب التذكر فذلك كان منذ زمن، لكن كان هناك شيء واحد قاله وعلق في ذهني. ولهذا اتصلتُ بكم.»

– «ما هو؟»

– «كنا ندرس وحدة عن العائلات والزواج وكل ذلك. ورفع ليام يده وقال إنه لا يطيق انتظار أن يتزوج.»

– «هذا لا يبدو سيئًا.»

– «قال إنه لا يطيق انتظار أن يتزوج، لكي يتمكن من حشر زوجته عميقًا في حفرة ولا يدعها تخرج أبدًا.»

– «...»

– «بالضبط.»

– «هل فعلتِ شيئًا حيال كل تلك التصريحات التي كان يدلي بها؟»

– «تواصلتُ مع والديه بالطبع. لم أرفع الأمر لمستوى المدير، لأنه لم يبدُ متكررًا بما يكفي ولم يكن يخل بالنظام في الفصل بأي شكل.»

– «إذن تحدثتِ مع والديه؟»

– «مع والدته فقط. والده كان مسافرًا في رحلة عمل ولم يستطع حضور الاجتماع.»

– «وماذا قالت السيدة كاس حين تحدثتِ معها؟»

– «شعرت بالرعب، بالطبع. أخبرتها أنني أعتقد أن ليام سيستفيد من نوع ما من العلاج النفسي، ووافقت. قالت إنها ستجد معالجًا للأطفال بأسرع ما يمكن. لكن الشيء الغريب كان...»

– «نعم؟»

– «كانت مرعوبة، لكنها لم تبدُ متفاجئة. ليس حقًا. ليس بالطريقة التي تتوقع أنها ستكون عليها.»

– «ولماذا تعتقدين ذلك؟»

– «أعتقد أنها كانت تعلم مسبقًا أن ليام تراوده هذه الأفكار. أعني، لا بد أنه قال لها أشياءً على مر السنين.»

– «هل تعلمين إن كانت قد ألحقته بالعلاج؟»

– «أخبرتني أنها فعلت.»

– «وهل تحسن سلوكه؟»

– «إن كنت تسأل عما إذا كان قد استمر في الإدلاء بتلك التصريحات المزعجة، فالجواب لا. لم يفعل. لم يقل شيئًا كهذا مرة أخرى. لكن دائمًا ما انتابني شعور...»

– «ماذا؟»

– «حسنًا، كما قلت، ليام كان طفلًا ذكيًا. شعرتُ أن السبب الوحيد لتوقفه عن قول تلك الأشياء هو أنه أدرك أنه لا ينبغي له قولها بصوت عالٍ بعد الآن. لا أعتقد أنه توقف عن التفكير فيها. لكن بالطبع، من المستحيل معرفة ذلك.»

– «نعم، هذا صحيح.»

– «آمل أنني فعلت الصواب باتصالي بكم. لم أكن واثقة إن كان عليّ فعل ذلك، لكن بعد أن قرأت ما حدث لتلك الفتاة "ميرسر" وتذكرت أن ليام في نفس الصف... حسنًا، فكرتُ فقط أنه يجب أن أقول شيئًا.»

– «لا، جيد أنك فعلتِ.»

– «آمل حقًا أن تجدوها.»

– «ونحن كذلك.»

الفصل الثالث والعشرون

إيريكا

أنا أقفز إلى الاستنتاجات.

فقط لأن فتاة اختفت وليام صدف أن كان خارج المنزل الليلة الماضية، لا يعني أن ابني له علاقة بالأمر. وفقط لأن اسمها أوليفيا، لا يعني أنها الفتاة التي كان ليام مهتمًا بها. أوليفيا رينولدز كانت الفتاة التي يتحدث معها ليام في فريق المناظرة. تأكدت أنها هي من خلال ملفها على فيسبوك. هذه أوليفيا أخرى لا علاقة لها بالأمر إطلاقًا.

أنا أفزع بلا سبب. سيكون كل شيء على ما يرام.

ركنتُ السيارة في شارع جانبي بعد وقت قصير من نزول الأولاد وأخرجت هاتفي. أجريتُ بحثًا عن «طالبة ثانوية مفقودة» في مدينتنا، فظهر اسم أوليفيا ومقال عنها فورًا. أوليفيا ميرسر، ستة عشر عامًا، اختفت من غرفتها خلال الليل. ذهبت والدتها لإيقاظها للمدرسة ولم تجدها.

تدرس الشرطة احتمال أن الفتاة هربت، لكنهم يعتقدون أنه غير مرجح. كل ملابسها وأمتعتها بدت موجودة، كما تركت خلفها محفظتها وهاتفها المحمول. من ناحية أخرى، لم تكن هناك علامات صراع أو اقتحام. ربما لم تهرب، لكنها غادرت المنزل بمحض إرادتها. مع شخص تعرفه.

توجد صورة ملونة لأوليفيا ميرسر في أحد المقالات. ليست جميلة تمامًا، لكنها جذابة بلا شك. وجه مستدير، الكثير من النمش، وغمازة صغيرة على كل خد حين تبتسم. بدت كفتاة لطيفة. من النوع الذي لا تملك إلا أن تحبه.

قرأتُ حوالي عشرة مقالات عن اختفاء أوليفيا ميرسر، لكن بعد الثلاثة الأولى، كانت المعلومات تتكرر. قمت بتحديث الصفحة، آملةً اكتشاف مقال جديد يفيد بأنه تم العثور عليها بأعجوبة.

لكن لا. أوليفيا ميرسر لا تزال مفقودة.

أريد العودة للمنزل والاختباء تحت الأغطية، لكننا بحاجة للبقالة. ولسوء الحظ، المتجر القريب من المدرسة سيعج بالآباء، الذين لا يريدون شيئًا سوى النميمة حول اختفاء أوليفيا المسكينة. لا أريد التحدث عن الأمر. ولا حتى التفكير فيه.

هناك متجر آخر افتتح حديثًا على بعد عشرين دقيقة. لن أصادف أيًا من الآباء هناك. الأمر يستحق حرق الوقود الإضافي. ربما ستصفي القيادة ذهني.

فتحتُ نظام تحديد المواقع (GPS) في السيارة ليرشدني للمتجر. لكن بينما أبدأ بكتابة اسم المتجر، أظهر النظام قائمة بعمليات البحث الأخيرة، بما في ذلك عنوان غريب عليّ. البحث الأخير في القائمة هو "٤١ شارع غرين".

متى بحثتُ عن هذا العنوان؟ من يسكن هناك؟

بدافع الفضول المفاجئ، ضغطتُ عليه. أرشدني الصوت ذو اللكنة البريطانية للنظام بأن أقود للأمام ثم أنعطف يمينًا عند الإشارة التالية. اتبعتُ الاتجاهات، يمينًا عند الإشارة، ثم يسارًا، ويمينًا آخر نحو شارع غرين. قدتُ السيارة عبر الشارع، أراقب الأرقام على الجانب الأيمن، وهي المنازل ذات الأرقام الفردية. أبحث عن الرقم ٤١.

لم يكن من الصعب إيجاده. إنه المنزل الذي يحتشد أمامه كل ضباط الشرطة والمراسلين. من الواضح أن هذا المنزل هو محط الاهتمام اليوم.

لم أكن بحاجة حتى للتحقق من صندوق البريد، لكنني نظرتُ على أية حال، فقط لأعذب نفسي. كانت الحروف السوداء المكتوبة على الصندوق الرمادي بمثابة لكمة في أحشائي:

ميرسر

انعطفتُ عند الزاوية وتوقفتُ في شارع فارغ. جلستُ في سيارتي المتوقفة لخمس عشرة دقيقة، ويداي ترتجفان بشدة تمنعني من القيادة. خرج ليام الليلة الماضية. ومن الواضح أنه أخذ سيارتي. وقاد إلى هنا. إلى منزل الفتاة المفقودة الآن. وربما الميتة.

مددت يدي إلى حقيبتي وأخرجت هاتفي، لكن يداي كانتا تهتزان لدرجة أنني كدت أسقطه. بالكاد تمكنت من ضغط زر الاتصال برقم جيسون. الحمد لله، لقد أجاب. جيسون ينغمس جدًا في عمله، ولدينا اتفاق بألا أزعجه إلا في حالات الطوارئ من المستوى الثاني أو أسوأ. أعتقد أن هذا الموقف يندرج تحت ذلك.

– «إيريكا؟»

– «مرحبًا.»

تهدج صوتي وتنحنحت.

– «جيسون، علينا أن نتحدث.»

– «يا إلهي، ما الخطب؟ هل أنتِ بخير؟»

كبتُ شهقة بكاء:

– «هناك فتاة من المدرسة الثانوية مفقودة. لم تكن في سريرها هذا الصباح حين دخل والداها الغرفة. وليام... أعتقد أنه حين خرج الليلة الماضية، أخذ سيارتي وذهب لرؤيتها. عنوانها موجود في نظام تحديد المواقع بالسيارة. والآن هي مفقودة. لقد رحلت يا جيسون. اختفت!»

صمت جيسون للحظة:

– «انتظري... هل تقولين إنه أخذ السيارة بنفسه — بدوني؟»

ارتفع صوته درجة:

– «هذا غير مقبول! لديه تصريح تعلم فقط.»

– «هل هذا ما استنتجته من كل هذا؟ جيسون، هل تفهم ما أقوله؟»

– «أنا... أظن لا...؟»

أخذتُ نفسًا عميقًا:

– «هذه الفتاة مفقودة. شخص ما أخذها، وليام قد يكون آخر شخص رآها حية.»

– «إذن عليه الاتصال بالشرطة وإخبارهم بما يعرفه لكي يكتشفوا من فعل هذا.»

ما زالت يداي ترتجفان، لكنه الآن ارتعاش غضب. كيف يمكن لجيسون أن يكون بهذا الغباء؟ ربما هو غير متواجد كثيرًا، لكنه يعرف القصص عن ليام مثلي تمامًا. ولا، هو لا يصدق أن هناك شيئًا خاطئًا بابننا. لكن عليه أن يدرك كيف يبدو هذا الأمر.

قطع صوت جيسون أفكاري:

– «لحظة. هل تقولين إنكِ تعتقدين أن ليام له علاقة باختفائها؟»

– «نعم، هذا ما أقوله بوضوح!»

– «يا إلهي يا إيريكا. هل أنتِ جادة؟ هل تعتقدين حقًا أن ليام سيفعل...؟»

– «أنت تعرف ما أفكر فيه.»

– «لن يفعل. هذا ابننا الذي نتحدث عنه.»

– «صحيح.»

سمعتُ صوت حركة على الخط الآخر.

– «هل تريدين مني العودة للمنزل؟»

تنهدتُ:

– «لا. لا يوجد شيء لتفعله. ليس بعد، على أية حال.»

قال جيسون بيقين يفوق ما أشعر به:

– «ليام لم يفعل هذا. ربما هربت وحسب وستظهر خلال يوم أو يومين.»

يا إلهي، آمل أن يكون محقًا. لأن البديل مرعب لدرجة لا يمكن تخيلها.

الفصل الرابع والعشرون

إيريكا

عند وصولي إلى المنزل، لمحتُ سيارة «لينكولن كونتيننتال» بيضاء رابضة في الممر الخاص بنا. عرفتها على الفور؛ إنها سيارة والدتي. إنها آخر شخص تمنيتُ الحديث معه في هذه اللحظة، لكن يبدو أنها استخدمت مفتاحها للدخول، وعلى الأرجح هي الآن تعد لنفسها كوبًا ساخنًا من القهوة.

رغم أن والدتي تعيش بعيدًا في نيوجيرسي، إلا أنها متقاعدة وتعيش وحدها، لذا لا تتردد في القيادة لزيارتنا متى خطر لها ذلك، دون تكلف عناء الاستئذان. والمثير للدهشة أن جيسون لا يبدو منزعجًا من الأمر. فقد توفيت والدته بسرطان الثدي حين كان في الجامعة، ولحق بها والده بعد عام واحد فقط إثر نوبة قلبية («مات منكسر القلب»، هكذا أخبرني جيسون). لذا، فهو يحب وجود الجدة الوحيدة للأحفاد حولنا. أنا أيضًا أحب وجودها، لكنني أتمنى لو أنها تتصل قبل المجيء.

ومع ذلك، لا مكان آخر أذهب إليه. لذا يبدو أن عليّ التعامل مع ما تريده أياً كان.

بمجرد دخولي المنزل، سمعتُ ضجيج الأواني في المطبخ. أمي تعشق المطبخ، ودائمًا ما تشتري لنا أدوات جديدة لنستخدمها فيه. آخر ما أهدتني إياه كان «قدر ضغط فوري» الشهر الماضي. أمضت عشرين دقيقة تتغزل في الأطعمة

الرائعة التي يمكنني طهيها به. ومنذ ذلك الحين، وهو يجمع الغبار في زاوية مطبخي. أعلم أنه يصنع حساءً رائعًا، لكنني لا أحب الحساء.

— «إيريكا!»

كما توقعت، كانت أمي تعبث بآلة القهوة. هي من اشترتها لنا، مع مخزون عام كامل من كبسولات القهوة. كان شعرها الرمادي مجموعًا في كعكة، ونظارتها ذات الإطار المصدّف تتربع على أنفها.

— «أنا أنتظرك منذ نصف ساعة! هل كل شيء بخير؟»

لا أعرف حتى من أين أبدأ للإجابة عن هذا السؤال. علاقتي بأمي وطيدة —— كانت أول شخص أخبرته حين طلب جيسون يدي —— لكنني لم أشاركها أبدًا مخاوفي بشأن ليام. ماذا عساي أن أقول؟ إنه حفيدها الأول، وحفيدها الذكر الوحيد. لم أستطع أن أخبرها بأنه أي شيء أقل من الملاك الصغير المثالي الذي تظنه. ليام دائمًا ما يقطر سحرًا وتهذيبًا في حضرتها. هي لا تستطيع أن ترى حقيقته كما أفعل أنا.

قلتُ بصوت متهدج:

— «كل شيء بخير.»

حملت أمي كوب قهوتها. لقد اختارت أحد الأكواب التي تحمل صورة وجه ليام وهو في الرابعة. بدا لطيفًا جدًا في تلك الصورة؛ النمش يغطي أنفه وإحدى أسنانه الأمامية مفقودة. لكن كل ما أستطيع التفكير فيه هو أن تلك السنة كانت بداية إدراكي لحقيقته.

قالت:

— «سمعتُ عن تلك الفتاة التي اختفت. كم هذا مرعب. أنا متفاجئة أنك سمحتِ لهانا بالخروج من المنزل.»

تنحنحتُ قائلة:

– «أنا واثقة أنها ستظهر.»

– «هذا هو أسوأ ما في إنجاب البنات. تقلقين دائمًا بشأن أمور كهذه. مع ليام، لا داعي للقلق.»

فكرتُ في الخريطة التي ظهرت في سيارتي. وتلك الفجوة الزمنية حين كان خارج المنزل الليلة الماضية. لا بد أنها مصادفة.

أرجوك يا رب، اجعل هذه الفتاة هاربة. أو أي شيء لا يتورط فيه ابني...

ارتميتُ على الأريكة، كنتُ منزعجة لدرجة تمنعني من فعل أي شيء آخر. انضمت إليّ أمي بكوب قهوتها. هبطت الأريكة قليلًا حين جلست بجانبي.

قالت بصوت هادئ:

– «اسمعي يا إيريكا. عليّ أن أخبرك، هذه ليست زيارة اجتماعية. هناك شيء يجب أن أخبرك به. وهو... إنه... لن يكون أمرًا سهلًا.»

اعتدلتُ في جلستي. ماذا تريد أن تخبرني؟ هل أصيبت أمي بالسرطان؟ هل هكذا ستكتمل فصول هذا اليوم المريع؟ شعرتُ برغبة في التقيؤ.

– «ما الخطب؟»

خفضت عينيها:

– «ستكرهينني.»

نظرتُ إلى وجه أمي. رغم أن التجاعيد جديدة مقارنة بطفولتي، إلا أنها لا تزال تبدو كما هي في نظري. هي المرأة الشجاعة نفسها التي ربتني بمفردها بعد أن توفي والدي في حادث سير. لم تواعد أحدًا طوال طفولتي، لأنها قالت إنها تريد التركيز عليّ. فقط في السنوات العشر الأخيرة بدأت تحظى ببعض العلاقات العابرة وتسافر. لا أستطيع تخيل أي شيء قد تقوله يجعلني أكرهها.

– «ما الأمر يا أمي؟»

— «أنا لم...»

تنهدت بعمق ونظرت عبر النافذة.

— «لم أكن صادقة معك تمامًا يا إيريكا. هناك أشياء لا تعرفينها. أشياء يجب أن أخبرك بها الآن، قبل أن تكتشفيها بنفسك.»

بدأت تخيفني حقًا.

— «حسنًا، ما الأمر؟»

— «إنه... الأمر يتعلق بوالدك.»

— «والدي؟»

استحضرتُ صورة رجل وسيم بشعر داكن وعينين داكنتين من الصورة الوحيدة التي أحتفظ بها في درج منضدتي. ذكرياتي عنه مشوشة في أحسن الأحوال. أتذكر ملمس وجهه الخشن ورائحة دخان السجائر التي كانت تفوح منه. مات حين لم أكن قد تجاوزت الرابعة، لذا لم يعش ليراني أكبر. لم يعش ليرى حفيده الذي يزداد شبهًا به كل يوم.

— «ماذا عن والدي؟»

— «الحقيقة هي...»

ارتجفت يد أمي قليلًا وهي ممسكة بمقبض الكوب. وضعته على الطاولة، متجاهلة قاعدة الأكواب التي تبعد إنشات قليلة عن مكان وضعها للكوب. في أي يوم آخر، كان هذا سيثير جنوني. لكن اليوم، لم أبالِ.

— «الحقيقة هي أن والدك ليس... إنه في الواقع...»

— «ماذا؟»

— «إنه حي.»

– «ماذا؟»

قبل دقيقتين، كنت أفكر أنه لا يوجد شيء قد يجعلني أكره أمي. لكنني الآن بدأت أعتقد أن هناك شيئًا كهذا. والدي حي؟ كيف يعقل ذلك؟ وكيف أمكنها أن تجعلني أظنه ميتًا طوال تلك السنوات؟ أبي مات في حادث سيارة. لقد صدقتُ كلمتها بشكل أعمى لأكثر من أربعين عامًا.

همست قائلة:

– «أنا آسفة جدًا يا حبيبتي. أردتُ إخبارك في وقت سابق، لكن لا توجد طريقة سهلة لقول شيء كهذا.»

جززتُ على أسناني:

– «ماذا عن عدم الكذب في المقام الأول؟ لماذا تخبرينني أنه مات؟ ماذا حدث؟ هل هرب مع امرأة أخرى؟»

افترضتُ أن ذلك قد يكون منطقيًا بطريقة مجنونة ما. ربما هرب والدي مع امرأة رخيصة، وفي غضبها، تظاهرت أمي بأنه مات بدلًا من الاعتراف بأنه تخلى عنا. لا أعلم إن كنت سأستطيع مسامحتها على الكذب لأربعين عامًا، لكن ربما يمكنني المحاولة.

قالت:

– «لا. لم يفعل.»

طويتُ ذراعيّ فوق صدري. هل سأضطر لانتزاع القصة منها انتزاعًا؟

– «إذن ماذا حدث بالضبط؟ أين كان طوال الاثنين وأربعين عامًا الماضية؟»

نظرت أمي إلى يديها المجعدتين في حجرها:

– «لقد كان في السجن. بتهمة القتل من الدرجة الأولى.»

الفصل الخامس والعشرون

إيريكا

كل كلمة تنطق بها أمي كانت بمثابة لكمة أخرى في أحشائي.

والدي حي.

لكمة.

والدي في السجن منذ أكثر من أربعين عامًا.

لكمة.

والدي قاتل.

لكمة. لكمة.

لا أعرف حتى ماذا أقول. أحدق في الجدار أمامي، وقلبي يقفز في صدري. هذا أكثر صباح موتر مررت به في حياتي كلها. عند هذه النقطة، سينتهي يومي في المستشفى مصابة بجلطة.

تحدثت أمي وكلماتها تخرج مسرعة:

– «يمكنكِ أن تفهمي لماذا لم أرغب في إخبارك. ظننتُ أن الأمر سيكون صادمًا لكِ. ولو شاع الخبر، لربما تعرضتِ لمضايقات الأطفال الآخرين.»

بدأتُ جملتي، لكن صوتي خرج مخنوقًا:

— «ماذا...؟»

يا له من اختيار بائس للكلمات.

— «ماذا فعل؟»

— «حسنًا، لقد قتل شخصًا ما.»

— «نعم، استنتجتُ ذلك. من قتل؟»

ولماذا؟

تعمقت التجاعيد على وجه أمي. أستطيع أن أرى أنها لا ترغب في سرد القصة، لكن هذا مؤسف لها. لقد كتمت هذا السر عني بما فيه الكفاية. أستحق أن أعرف.

— «كانت امرأة. امرأة كان يقيم علاقة معها.»

— «لماذا قتلها؟»

— «ادعى أنه حادث. قال إنه لم يقصد قتلها، هذا ما قاله.»

هزت رأسها.

— «لكن قصته لم تكن منطقية. ومن الواضح أن هيئة المحلفين لم تصدقه. اعتقدوا أنه خطط للأمر برمته.»

ربما أراد فقط رؤيتها تتعذب. ربما أراد فقط رؤيتها تصرخ.

تمكنتُ من القول:

— «هل تظنين أنه خطط لذلك؟»

صمتت أمي للحظة.

— «نعم، أعتقد أنه فعل. كانت تهدد بفضح علاقتهما، فقتلها.»

أغمضتُ عيني للحظة، أتخيل والدي يلقي بتلك المرأة الغامضة في حفرة مظلمة كي لا تستطيع الهرب.

– «كيف... كيف فعلها؟»

– «قام بتسميمها.»

شعرتُ بذلك الانقباض في صدري، نفس الشعور الذي انتابني الليلة الماضية حين اكتشفت اختفاء ليام. أنا على حافة نوبة هلع أخرى — الثانية في يومين. أخذتُ نفسًا عميقًا، محاولة تهدئة نفسي.

– «لماذا تخبرينني بهذا الآن؟ بعد كل هذه السنوات، لمَ الآن؟»

ولماذا اليوم بالتحديد؟

عضت شفتها السفلى بقوة:

– «لأنني... اكتشفتُ للتو. حصل والدك على إفراج مشروط. إنه خارج السجن.»

– «إنه...»

– «وظننتُ أنه قد يأتي للبحث عنكِ. لذا... أردتُ أن تكوني مستعدة لذلك. في حال أردتِ رؤيته. أو لا.»

– «فهمت.»

في هذا اليوم بالذات، هذا فوق طاقتي. والدي حي وهو قاتل. سمم امرأة. وأوه نعم، هو خارج السجن وقد يأتي للبحث عني.

أخذتُ نفسًا عميقًا:

– «أعتقد... أعتقد أنني بحاجة لأكون وحدي الآن.»

عقدت أمي حاجبيها:

– «بالطبع. هل تكرهينني؟»

– «لا. أنا لا أكرهك.»

أنتِ فقط تملكين أسوأ توقيت في العالم.

مالت أمي للأمام ولفت ذراعيها حول كتفي. كان هناك وقت في حياتي يعيد فيه عناق أمي الأمور لنصابها. لكن ذلك الزمن ولى منذ أمد بعيد.

رافقتها إلى الباب ووقفت عند النافذة لأتأكد من مغادرتها. لكن حتى بعد رحيلها، لم أتزحزح من مكاني. حدقتُ في الحي، أفكر في كل ما حدث اليوم. فتاة اختفت، ومن المحتمل أن ليام مسؤول بشكل ما. والدي حي وكان مسجونًا بتهمة القتل.

لا يوجد ما يمكنني فعله حيال الأمر الأول، لكن هناك ما يمكنني فعله حيال الثاني. طوال هذه السنوات، كنت أفكر كيف ستكون حياتي لو عاش أبي. فكرت في المحادثات التي كنا سنجريها، ووقوفه فخورًا في حفل تخرجي، وهز رأسه حين لا يوافق على أحد ممن واعدتهم، والذهاب للصيد معًا في البحيرة. وطوال ذلك الوقت، كان حيًا — وإن لم يكن في وضع يسمح له بأخذي للصيد.

وقد يبحث عني.

بالطبع، لست مضطرة لانتظاره ليبحث عني. يمكنني البحث عنه. أراهن أن فرانك يستطيع تعقبه في خمس دقائق فقط. بعد كل هذه السنوات، يمكنني أن أرى والدي. الرجل الذي اعتقدت أنه مات منذ زمن طويل.

ثم استقرت عيناي على سيارتي «تويوتا فور رنر» في الممر. السيارة التي أخذها ليام الليلة الماضية إلى منزل أوليفيا ميرسر. وكذب بشأنها.

سيكون على والدي الانتظار. لدي مشاكل أسوأ بكثير.

الفصل السادس والعشرون

أوليفيا

أستيقظُ وكل شيء متشح بالسواد.

أين أنا؟ ما الذي يحدث؟

أمسكتُ وجهي، أحاول دفع إحساس نابض بالألم في جبهتي، بين عينيّ مباشرة. كيف وصلتُ إلى هنا؟ آخر ما أذكره هو...

اركبي السيارة. لبضع دقائق فقط.

لا. لا، لم يفعل. هو لن يفعل.

يا إلهي. أعتقد أنني سأتقيأ.

تجشأت بقوة لكن معدتي فارغة ولم يخرج شيء. ابتلعتُ ريقي، وأنا منثنية على الأرض. رمشتُ بضع مرات، محاولة التأقلم مع الظلام، آملة أن يتضح العالم أمامي بشكل ما، لكن ذلك لم يحدث.

لا أستطيع حتى رؤية يدي أمام وجهي. لا أستطيع رؤية أين أنا أو ما يوجد أمامي ولو لقدم واحدة.

لماذا لا أستطيع الرؤية؟

يا إلهي، هل أصبتُ بالعمى؟

لكن لا. حين نظرتُ للأعلى، كان هناك خيط رفيع من الضوء في البعيد. لا خطب في عينيّ. ببساطة، لا يوجد ضوء حيث أنا.

رأسي يدور، مما يزيد من صعوبة تحديد موقعي. الأرض رطبة ومحببة. تراب؟ من الصعب التمييز. جلستُ ومددت يدي في الفراغ، أتحسس شيئًا ما — أي شيء. لمست أصابعي أخيرًا شيئًا صلبًا. له نفس ملمس الأرضية. تراب أيضًا.

أعتقد أنني في حفرة.

يا إلهي. يا إلهي. أنا في حفرة. أنا في حفرة في الأرض.

بدأت أصابعي توخزني مع تصاعد ذعري. لست مصابة برهاب الأماكن الضيقة، لكن الشعور... كأنني دُفنت حية. قبل دقيقة كنت أقبّل ليام، في واحدة من أجمل لحظات حياتي، والآن أستيقظ هنا.

لماذا؟

عليّ الخروج من هنا. لا بد من وجود مخرج. يجب أن يكون هناك مخرج.

هناك ذلك الخيط من الضوء فوقي — طريق للخروج. لو تمكنتُ من الوصول إليه، ربما أستطيع التسلق. حاولتُ الوقوف، لكن عندها أدركت إحساسًا آخر. ألم. ألم وحشي ومبرح في كاحلي الأيسر. شديد لدرجة أنني انهرت فورًا عائدة إلى التراب.

ما خطبي؟

سحبتُ ساق بنطالي الجينز لأتحسس كاحلي الأيسر. إنه متورم. متورم جدًا. وساخن. وحتى لمسه برفق يطلق موجة من الألم لا تطاق. تخميني هو أنه حين رماني في هذه الحفرة، كسر السقوط كاحلي. أو على الأقل، آذاه بشدة.

إذن لا أستطيع التحميل على كاحلي. لكن ما زال بإمكاني محاولة الوقوف. هذه المرة استندتُ بوزني على الجدار الترابي، الذي تداعى قليلًا تحت الضغط.

الألم ما زال جحيميًا، لكنني تمكنت من الوقوف. أو على الأقل، الوقوف على قدم واحدة. مددتُ ذراعي، أتحسس شيئًا في الأعلى لأمسك به.

قصرت أصابعي عن الوصول.

لا أستطيع الوصول إليه.

يا إلهي، أنا محاصرة هنا.

حين وضعني هنا، كان يعرف ما يفعله. كان يعرف أنه سيكون من الصعب الهرب. فرصتي الوحيدة هي أن يأتي أحد لإنقاذي.

صرختُ بأعلى رئتي:

— «المساعدة! ساعدوني! النجدة! أنا محبوسة!»

لا شيء.

صرختُ حتى بُحّ صوتي والتهب حلقي. لكنني لم أسمع شيئًا. لا خطوات. لا صوت. الله وحده يعلم أين أنا. في البرية؟ تحت قبو عازل للصوت؟

لكن من الواضح أن لا أحد قادم لأجلي قريبًا. ليس هنا.

انهرتُ مستندة على الجدار الترابي. حلقي جاف. لا أذكر متى كانت آخر مرة شربت أو أكلت فيها. منذ يوم؟ إذا كان يخطط لحبسي هنا، هل سيعطيني على الأقل شيئًا لأشربه؟ سيفعل، أليس كذلك؟ وإلا سأموت، ولن أكون مفيدة له في أيًا كان ما يريده.

آمل أن يحضر لي طعامًا. ماذا سأفعل إن لم يفعل؟

لم يغتصبني. رغم وجود فجوة في ذاكرتي، إلا أنني بطريقة ما متأكدة من ذلك. لو فعل، لكنت عرفت. أليس كذلك؟ ما زلت عذراء، لذا أنا واثقة أنني كنت سأشعر بالألم لو فعل ذلك بي. هذا ما قالته ماديسون على أية حال. بنطالي الجينز ما زال مزررًا ومغلقًا، ولا شيء ممزق. أنا سليمة، باستثناء كاحلي اللعين.

يا إلهي، لماذا لم أستمع لماديسون حين حذرتني من ليام؟

ربما ترك لي بعض الماء. ربما هناك ترمس كامل منه في مكان ما. أحتاج لتحسس هذا المكان وتحديد معالمه. إذا كان هناك أي فرصة لمحاولة الهرب من هنا، عليّ معرفة ما أتعامل معه. في النهاية، النساء يهربن من الاختطاف طوال الوقت. قرأت مقالات عن ذلك. يستخدمن دهائهن أو ذكاءهن أو أيًا كان، ويجدن مخرجًا.

أو أنهن لا يفعلن. وبعد سنوات، يتم اكتشاف جثثهن نصف مدفونة في الغابة بواسطة بعض المتنزهين.

يا إلهي، سأتقيأ مجددًا.

انثنيتُ، أتقيأ على الأرضية الترابية. ومرة أخرى، لم يخرج شيء. تقيأت بقوة لدرجة أن الدموع ملأت عينيّ. وقبل أن أدرك ذلك، كانت الدموع تنهمر على وجنتي.

أنا محاصرة هنا. هو حبسني.

أريد العودة للمنزل. أريد أمي.

أرجوكم...

الفصل السابع والعشرون

إيريكا

كان العشاء كئيبًا للغاية.

تمكن جيسون من العودة للمنزل مبكرًا الليلة، وهو شيء لا يتاح له فعله كثيرًا. عادة حين يعود مبكرًا، أحتفي بالأمر وأطبخ شيئًا مميزًا، لكن ليس الليلة. الليلة، نأكل معكرونة بالجبن من علب «كرافت». وأي شخص ينبس بكلمة اعتراض واحدة سأسحب طبقه وألقيه في القمامة.

ليس وكأن أحدًا سيهتم. هانا وليام بالكاد أكلا شيئًا. كلاهما يكتفي بدفع قطع المعكرونة الصغيرة حول الطبق. ليام لم ينطق بكلمة تقريبًا منذ عودته للمنزل قبل ساعات.

شعرتُ بأنني ملزمة بالقول:

– «أنا آسفة بشأن العشاء.»

قال جيسون:

– «عما تتحدثين؟ أنا أحب المعكرونة بالجبن. طعمها "غودا" (Gouda) جدًا.»

دبت الحياة في هانا لوهلة لتتأوه. لا تستطيع مقاومة التذمر من تلاعب جيسون اللفظي (يقصد جبنة غودا بدلًا من كلمة Good).

– «إنها ليست غودا يا أبي. إنها ذلك المسحوق الذي يخرج من العلبة.»

– «نعم، أدرك ذلك يا هانا. يا إلهي، أنا فقط أحاول تلطيف الجو.»

– «حسنًا، هذا لا يساعد.»

رمقني جيسون بنظرة، ثم مد يده وأمسك بمعصم هانا.

– «هيه. لا هواتف على طاولة العشاء. أنتِ تعرفين ذلك.»

يا للروعة، هانا أكثر مكرًا مما ظننت. لم ألاحظ حتى أن هاتفها كان تحت الطاولة. وضعته بطاعة في يد جيسون الممدودة. مالت بظهرها على الكرسي وهي تعبس.

– «أردتُ فقط أن أرى إن كانوا قد عثروا على أوليفيا.»

قفز قلبي:

– «هل فعلوا؟»

هزت هانا رأسها:

– «لا أظن ذلك.»

نظرتُ نحو ليام، الذي كان يحدق في طبقه. لم أسأله عما وجدته في نظام تحديد المواقع بعد. أنا خائفة من فعل ذلك. لأنه من الصعب التفكير في أي تفسير لا يظهره بمظهر سيء للغاية. كل ما أعرفه هو أنه كذب في وجهي هذا الصباح ولم أستطع حتى تمييز ذلك.

سأل جيسون:

– «كانت في نفس صفك، صحيح يا ليام؟»

– «أظن ذلك. لم أكن أعرفها حقًا.»

إذن لماذا كنت ذاهبًا لمنزلها الليلة الماضية؟ في الثانية صباحًا؟

رن جرس الباب، وكان ذلك مريحًا، لأنني لم أكن أفضل حالًا في تناول المعكرونة من الأولاد. لكن ذلك الارتياح دام فقط حتى نظرتُ من العين السحرية ورأيت ضابطي شرطة بزي رسمي يقفان عند بابنا.

يا إلهي. أعتقد أنني سأصاب بنوبة هلع أخرى.

أخذتُ نفسين عميقين قبل فتح الباب. رسمتُ ابتسامة على وجهي شعرتُ أنها تبدو حقيقية جدًا. ربما بدأتُ أتعلم التمثيل من ليام.

كان هناك شرطيان يقفان عند مدخلنا. أحدهما رجل في أواخر الثلاثينيات بوجنتين متوردتين وكرش يضغط على زيه الرسمي. والضابط الآخر امرأة نحيلة. تبدو من أصل لاتيني، بعينين سوداوين حادتين، ووجنتين بارزتين، وشعر مشدود للخلف في كعكة صارمة.

قال الضابط الرجل بلكنة «لونغ آيلاند» ثقيلة:

— «مرحبًا. هل يسكن ليام كاس هنا؟»

أوه لا. لا لا لا لا...

تمكنتُ من القول:

— «نعم... إنه ابني.»

رسمت الضابطة ابتسامة لم تصل لعينيها:

— «اسمي المحققة ريفيرا وهذا المحقق ميرفي. كنا نأمل في طرح بعض الأسئلة على ليام. هل هو في المنزل؟»

— «نعم؟»

قلتُها، ولست متأكدة لماذا خرجت بصيغة سؤال. تنحنحتُ.

— «إنه يتناول العشاء.»

قالت ريفيرا وقد اختفت الابتسامة المصطنعة من وجهها:

– «هلا قاطعتِه من فضلك؟»

– «أمم...»

نظرتُ باتجاه غرفة الطعام. خرج جيسون ليرى ما يحدث، واتسعت عيناه عند رؤية ضباط الشرطة.

سألتُ:

– «هل يحتاج لمحامٍ؟»

ربما لم يكن يجدر بي سؤال ذلك. هذا يبدو وكأنه اعتراف بالذنب الشديد. ونحن لا نعرف على وجه اليقين أن ليام فعل أي شيء. في النهاية، هو طفل في السادسة عشرة.

قالت ريفيرا، التي بدت المتحدثة باسمهما:

– «لا، لا ينبغي أن يكون ذلك ضروريًا. لدينا فقط بضعة أسئلة سريعة.»

تحدث جيسون وقد عقد حاجبيه:

– «بخصوص ماذا؟»

قالت ريفيرا:

– «نحاول فقط الحصول على بعض المعلومات عن الفتاة التي اختفت هذا الصباح. نحن نتحدث مع بعض زملائها الذين قد يستطيعون مساعدتنا. نريد فقط العثور على أوليفيا.»

طوى جيسون ذراعيه على صدره:

– «حسنًا، ليام يقول إنه لا يعرفها. لذا أعتقد أنكم قد تضيعون وقتكم هنا.»

ابتسم المحقق ميرفي ابتسامة مطمئنة لجيسون:

— «إذن سيكون الأمر سريعًا جدًا. نريد فقط التأكد. حياة فتاة على المحك يا سيد كاس. علينا فعل كل ما بوسعنا لإيجادها.»

قلتُ:

— «سأذهب لإحضاره.»

أسرعتُ لغرفة الطعام، حيث لم يتحرك ليام وهانا، لكن هانا كانت تشرئب لترى ما يحدث. وضعتُ يدي على كتف ليام، فجفل من لمستي.

— «هناك ضابطان في الخارج يريدان طرح بعض الأسئلة عليك.»

اتسعت عينا هانا:

— «ألا يجب أن يكون لديه محامٍ؟ أليس من المفترض وجود محامٍ إذا كانت الشرطة تستجوبك؟»

أزعجتني سرعة وصول هانا —— كاتمة أسرار ليام الوحيدة —— لهذا الاستنتاج. هززتُ رأسي.

— «يقولون إن لديهم بضعة أسئلة سريعة. فقط أخبرهم الحقيقة يا ليام.»

نهض ليام:

— «حسنًا. سأتحدث معهم.»

اتسعت عينا هانا لكنها لم تنبس بكلمة.

حين عدتُ لغرفة المعيشة، كان الضابطان جالسين على أريكتنا الصغيرة، بينما جيسون على الأريكة الكبيرة. كان يتحدث مع الضباط، لكنه لم يبدُ متوترًا أو أي شيء. لا يبدو وكأنه سيتقيأ في أية لحظة، وهو ما أشعر به أنا. هو يصدق حقًا أن ليام ليس لديه ما يخفيه.

جلس ليام بجوار جيسون على الأريكة، جالسًا باستقامة كعادته دائمًا. لم يبدُ متوترًا هو الآخر. لم يعبث بحافة قميصه أو بالثقب في جينزه —— يداه ثابتتان تمامًا وابتسم للضابطين ابتسامة وجيزة ومطمئنة. جعلني ذلك أتساءل إن كنت أقلق بلا سبب. إذا كان بإمكان ليام أن يبدو بهذا الهدوء حول شرطيين، فلا بد أنه بريء.

قالت المحققة ريفيرا:

– «ليام؟»

أومأ ليام:

– «نعم.»

– «هل تمانع الإجابة على بضعة أسئلة لنا بخصوص أوليفيا ميرسر؟»

– «تحدثتُ بالفعل مع ضابط شرطة في المدرسة. أخبرته بكل ما أعرفه.»

– «نعم، لكن لدينا بضعة أسئلة إضافية. مجرد إجراءات روتينية.»

نظر ليام في عينيها مباشرة:

– «بالطبع. سأفعل أي شيء للمساعدة في العثور على أوليفيا. تفضلي.»

شبكت ريفيرا ساقيها ومالت للأمام قليلًا:

– «هل تعرف أوليفيا ميرسر؟»

– «نعم. إنها في مدرستي.»

– «وهل علاقتك بها ودية؟»

أجاب بلا تردد:

– «إنها في صف الرياضيات معي. تحدثتُ معها من قبل.»

إجاباته تبدو متدربًا عليها. وكأنه عرف ما سيسألونه وجهز نفسه ذهنيًا بنفس الطريقة التي يجهز بها لمناظراته. أتساءل إن كانوا يلاحظون ذلك.

– «هل أوليفيا حبيبتك؟»

– «لا.»

رفعت ريفيرا حاجبًا:

– «لا؟»

– «ليس لدي حبيبة.»

أطلقت ريفيرا ضحكة:

– «فتى وسيم مثلك؟ يصعب تصديق ذلك.»

قلتُ:

– «إنه في السادسة عشرة فقط أيتها المحققة.»

قال ميرفي ووجنتاه تزدادان احمرارًا:

– «حين كنتُ في السادسة عشرة، كان لدي حبيبتان!»

لم يبدِ ليام أي رد فعل تجاه هذا. ابتسم ابتسامة خاطفة، لكنه لم يقل شيئًا.

تلاشى الابتسام من وجه ريفيرا مجددًا. عيناها حادتان جدًا، الأمر يخيفني. أردتُ إخبار ليام أن يتوخى الحذر، وأنها لن تنخدع بسحره.

– «إذن يا ليام، متى كانت آخر مرة رأيت فيها أوليفيا؟»

– «كان بعض شباب فريق الجري يتسكعون في "تشارليز". وهي كانت هناك أيضًا.»

– «هل كان موعدًا غراميًا؟»

– «لا.»

أومأت ريفيرا:

– «فهمت. وتلك كانت آخر مرة رأيت فيها أوليفيا؟»

– «نعم.»

– «هل لديك أية فكرة على الإطلاق أين يمكن أن تكون الآن؟»

قال بلا تردد:

– «لا. أنا آسف حقًا. أتمنى لو كنت أعرف.»

ثم أضاف بصوت صادق للغاية:

– «أنا قلق عليها. آمل حقًا أن تكون بخير.»

قالت ريفيرا:

– «ونحن أيضًا.»

ثم بدا وكأنهم على وشك النهوض. وربما انتهى الأمر. ربما لا يملكون أي شيء ضد ليام، وكان يقول الحقيقة حين قال إنه بالكاد يعرف أوليفيا. ربما يتجولون ويستجوبون كل من في المدرسة. ربما هذا مجرد روتين.

لكن تمامًا بينما كانت تهم بالنهوض، جلست ريفيرا مرة أخرى وكأنها تذكرت شيئًا نسيته.

– «شيء آخر يا ليام.»

رفع حاجبيه:

– «نعم؟»

— «إحدى جارات أوليفيا ميرسر رأتها في حديقتها الخلفية حوالي الساعة الثانية صباحًا، تتحدث مع فتى مراهق.»

انقبضت معدتي. الأمر لم ينتهِ بعد.

سألت ريفيرا:

— «هل تعرف من كان ذلك الفتى يا ليام؟»

لم يجب، لكن جسده تصلب بشكل غير ملحوظ تقريبًا.

ابتسمت ريفيرا بصرامة:

— «بعد أن أخبرنا بعض أصدقائك أنك اصطحبت أوليفيا لذلك المطعم أمس، عرضنا على الجارة بضع صور مدرسية لك. وخمن ماذا؟ استطاعت التعرف عليك بشكل صحيح. كما تمكنت من التعرف على سيارة التويوتا الموجودة الآن في ممر منزلك.»

اتسعت عينا ليام للحظة، لكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه.

مالت ريفيرا نحوه ونظرت في عينيه مباشرة:

— «هل تود مراجعة إجابتك على السؤال الذي طرحته عليك بخصوص آخر مرة رأيت فيها أوليفيا ميرسر؟»

فتح ليام فمه وكأنه على وشك الإجابة، لكن قبل أن يفعل، قفز جيسون من الأريكة.

— «لا! لا مزيد من الأسئلة. ليس بدون محامٍ.»

قالت ريفيرا ببرود:

— «نحن نحاول فقط معرفة مكان فتاة في السادسة عشرة يا سيد كاس.»

نظرت إلى ليام:

– «ليام، إذا كنت تستطيع إخبارنا أين هي...»

– «ليام، لا تجبهم.»

حدق جيسون في ريفيرا بغضب، وبرز عرق في عنقه.

– «هذا فتى في السادسة عشرة. إنه طالب ممتاز وطفل رائع. هو لم يفعل هذا.»

– «مع كل الاحترام يا سيد كاس...»

أشار جيسون بإصبعه إليهم:

– «لا، أنتِ استمعي إليّ.»

لست واثقة أنني رأيته بهذا الانفعال من قبل. حتى في الأوقات التي كنت فيها مرعوبة من ليام، كان يبدو هادئًا دائمًا. لو لم أكن مذعورة، لظننتُ أن طريقته في حماية ليام جذابة ومثيرة نوعًا ما.

– «ابني أخبركم بكل ما يعرفه. إذا أردتم التحدث معه مجددًا، سيكون ذلك بوجود محامينا.»

نهضت ريفيرا من الأريكة وتبعها ميرفي:

– «كما تشاء يا سيد كاس.»

لم أشعر أنني أستطيع التنفس بشكل طبيعي إلا بعد رحيل الضباط. بالطبع، الأمر برمته كان كارثة. لقد تأكد الأمر الآن. ليام كان يزور أوليفيا ميرسر الليلة الماضية. وكان على الأرجح آخر شخص يراها حية. وكذب بشأن ذلك على الشرطة.

صرخ جيسون فيه:

– «ما هذا بحق الجحيم يا ليام؟»

كان ليام يحافظ على تواصل بصري ممتاز حين كان الضباط هنا، لكنه أخيرًا خفض عينيه. قناع الوداعة الذي يرتديه عادة اختفى، وبدا بائسًا تمامًا. كدتُ أشعر بالأسف عليه.

قلتُ بهدوء وأنا أجلس بجوار ابني:

– «ليام. هل تعرف أين أوليفيا؟»

هز رأسه. يكذب مجددًا. تمنيتُ لو لم يوقف جيسون الضباط عن استجوابه. تمنيت لو قاموا بعملهم الشرطي وانتزعوا الإجابة منه.

حاول جيسون استنطاقه:

– «لكنك كنت في منزلها الليلة الماضية...؟»

تحركت تفاحة آدم في حلق ليام وهو يبتلع ريقه:

– «نعم. كنت هناك. حسنًا؟»

سألتُ:

– «أخذتَ سيارتي؟»

– «نعم. أنا آسف.»

مرر جيسون يده في شعره الذي غزاه الشيب. أعتقد أنه اكتسب عشر شعرات بيضاء جديدة خلال العشرين دقيقة الماضية. بالطبع، لولا مصفف الشعر الخاص بي، لكنتُ رمادية الشعر بالكامل الآن، بفضل ابني.

سأله جيسون:

– «ماذا كنت تفعل هناك؟»

تململ ليام على الأريكة:

– «أنا فقط... أنا معجب بها، حسنًا؟ أردتُ رؤيتها. وهي نزلت و... كما تعلمون...»

قطب جيسون جبينه:

– «لا. أنا لا أعلم.»

توردت أذنا ليام:

– «تبادلنا القبل قليلًا. هذا كل شيء.»

– «ثم؟»

– «ثم اتصلتْ أمي. فعدت للمنزل. وهذا كل شيء.»

ضيق جيسون عينيه نحو ليام، لكنني أدرك أنه يصدق القصة. كان صادقًا فيما قاله للشرطة. هو لا يصدق أن ابنه المراهق يمكن أن يكون مسؤولًا عن اختفاء فتاة صغيرة. هو يعرف أن ليام قادر على الكذب، لكنه لا يعرف ما الذي يقدر عليه ابننا أيضًا. أنا فقط من يعرف الحقيقة.

قال جيسون لليام:

– «اذهب لغرفتك.»

لم يحتج ليام لأن يقال له ذلك مرتين. قفز عن الأريكة وهرول صاعدًا الدرج. تمنيتُ لو استطعنا مواصلة استجوابه، لكن ذلك لن يغير شيئًا. مهما كان ما يعرفه، فقد أخبرنا بكل ما سيقوله.

أرجع جيسون رأسه للخلف على الأريكة وأطلق زفرة طويلة:

– «علينا إحضار محامٍ له يا إيريكا. وضعه لا يبدو جيدًا.»

عضضتُ شفتي:

– «نعم... إنها مصادفة كبيرة نوعًا ما، ألا تعتقد ذلك؟»

– «ماذا تعنين؟»

– «أعني، تصادف وجوده حول منزل هذه الفتاة في الليلة التي اختفت فيها؟ هل تصدق ذلك حقًا؟»

عبس قائلًا:

– «ما الذي تقولينه؟»

– «أنت تعلم ما أقوله.»

رفع حاجبيه:

– «ماذا؟ تقولين إنكِ تعتقدين أن ابننا قتل هذه الفتاة؟ حقًا يا إيريكا؟»

– «ربما ليس قتلها...»

أتمنى لو كان لدي زوجة، حتى أتمكن من إبقائها عميقة في حفرة. ما زلت أسمع كلمات الآنسة ويليامز في أذني. قال ليام الكثير من الأشياء المزعجة، لكن تلك الجملة كانت في القمة. كانت واحدة من الأشياء التي لن أنساها. أو إجابته حين سألته عن الأمر لاحقًا في تلك الليلة:

أود فقط أن أرى ما سيحدث لها يا أمي. لو وضعتها في حفرة ولم أطعمها، ماذا سيحدث؟ ولو كانت زوجتي، يمكنني فعل ما أريد ولن يبحث عنها أحد.

كان ذلك اليوم الذي حجزت فيه موعدنا الأول مع الدكتورة إيبير.

ذكّرتُ جيسون:

– «أنت تعرف نوع التعليقات التي قالها ليام في الماضي.»

هز رأسه:

– «لطالما ضخمتِ تلك الأمور. إنه طفل سابق لأوانه. إنها مجرد كلمات.»

– «إنها ليست مجرد كلمات.»

رمش جيسون ناظرًا إليّ:

– «لا أستطيع... لا أستطيع خوض هذا النقاش معكِ يا إيريكا. هذا طفلنا الذي نتحدث عنه. هو لم يفعلها. ولن أدعهم يلصقون التهمة به.»

– «حسنًا. أحضر له محاميًا.»

أمضى جيسون بقية الليل يبحث عن محامين جنائيين. إنه مقتنع بأن محاميًا جيدًا يمكنه جعل هذه المشكلة تختفي. لكنني أعلم أنه مخطئ. الوحيد الذي يمكنه جعل هذا يختفي هو ليام.

الفصل الثامن والعشرون

أوليفيا

لا أعلم كم من الوقت بقيتُ جاثمة في كرة صغيرة على الأرض، أبكي حتى جفت عيناي.

حين انتهيت، كانت عيناي ملتهبتين ووجهي متورمًا. هناك مخاط جاف على وجنتيّ ويديّ. لكن هذه أقل مشاكلي شأنًا.

لا يمكنني الجلوس هنا أرثي لحالي. إذا لم أكن أريد الموت هنا، عليّ فعل شيء ما. عليّ اكتشاف طريقة للهرب. أو على الأقل، اكتشاف طريقة للبقاء على قيد الحياة حتى يتم إنقاذي.

يجب أن أكون ذكية. إنها الطريقة الوحيدة.

تحسستُ الأرض، آملة العثور على شيء قد يعطيني دليلًا عن مكاني أو كيفية التحرر. اضطررتُ للزحف، لأن كاحلي يؤلمني بشدة تمنعني من وضع أي وزن عليه. لا بد أنه مكسور بالتأكيد. حتى دون الضغط عليه، إنه ينبض بألم جنوني.

اكتشفتُ جدارًا آخر أمامي. أقدر أن هذه الحفرة حوالي أربعة أقدام في أربعة أقدام. وربما عمقها ستة أو سبعة أقدام. ليست كبيرة جدًا. أتساءل إن كان حفرها بنفسه. كان سيستغرق وقتًا طويلًا لو فعل. تذكرتُ قراءة ذلك الكتاب «حفر»

(Holes) حين كنت في الصف التاسع. كان عن طفل اضطر لحفر الحفر كجزء من عقاب. كان جيدًا جدًا، حسبما أذكر. أظن أنهم حولوه لفيلم.

في الزاوية الثالثة التي تفحصتها، قفز قلبي حين أطبقت أصابعي حول ترمس صغير. التقطته، وأصدر صوتًا حين هززته. هناك سائل في الداخل! عبثتُ بالغطاء، أحاول فتحه بيأس، رغم أنني لا أرى شيئًا. لو سكبت هذا الترمس، سأنتهي. الماء ليس كثيرًا، لكنني أريده أكثر من أي شيء أردته في حياتي. حتى أكثر مما أردتُ أن يقبلني ليام حين كنا في المطعم.

سمعتُ صوت طقة، ولمست أصابعي قشة تبرز من الوعاء. وضعت شفتي على القشة وأخذت رشفة. يا إلهي، إنه مذاق الجنة. رغم وجود طعم معدني خفيف، إلا أنه أفضل شيء تذوقته على الإطلاق. الماء بارد في فمي وفي حلقي الجاف ومعدتي الفارغة. أردتُ تجرعه بالكامل، لكن في الوقت نفسه، لست متأكدة متى سأحصل على المزيد. يجب أن أوفره. أقننه. هذا ما سيفعله الناجي.

أغلقتُ الغطاء على مضض ووضعته بحذر في الزاوية، وقد أصبح نصف فارغ الآن. لن أشرب المزيد حتى أشعر بيأس شديد. أحتاج لمعرفة ما هو الوضع. هل سيعود؟ هل سيعطيني المزيد من الماء؟ الطعام؟

مع تأمين الماء، استكشفتُ الزاوية الأخيرة من الحفرة. هذه الزاوية ليست فارغة أيضًا. شعرت بشيء هناك، شيء طويل وأملس. أطبقت أصابعي حوله. حدقتُ بأقصى ما أستطيع، يائسة لرؤية شيء ما. أي شيء. لكن الظلام حالك.

واصلت التحسس، وأدركتُ وجود المزيد من الأشياء في هذه الزاوية. لها نفس الملمس والقوام. حواف حادة أو مستديرة. معظمها طويل ورفيع.

ثم وقعت يدي على شيء ملمسه مختلف قليلًا. إنه مستدير، بحجم بطيخة تقريبًا. لكنه ليس كرة. بينما تلتف أصابعي حول المنحنى، شعرتُ بثقبين كبيرين. انقبض صدري حين أدركتُ ما ألمسه.

إنها جمجمة.

لم أستطع التوقف عن الصراخ، رغم أن أحدًا لا يسمعني.

الفصل التاسع والعشرون

نص مقابلة الشرطة مع الدكتورة أليس إيبيير:

- «شكرًا جزيلًا لتحدثك معنا اليوم، دكتورة إيبيير.»

- «اعتقدتُ أن هذا واجبي.»

- «هل يمكنك ذكر مهنتك للسجل؟»

- «أنا أخصائية نفسية للأطفال. أعمل في عيادة خاصة منذ ثلاثة وعشرين عامًا.»

- «إذن أفترض أنكِ رأيتِ كل الحالات؟»

- «تقريبًا، نعم.»

- «وما الذي دفعكِ للتقدم والإدلاء بشهادتك؟»

- «حين علمتُ أن حياة فتاة صغيرة في خطر، شعرتُ أنه واجبي الأخلاقي أن أقول شيئًا. لإنقاذ حياتها. حتى لو كان ذلك يعني خرق سرية المريض.»

- «هذا هو السبب في أننا كنا حريصين جدًا على التحدث معكِ اليوم. لا نعرف كم من الوقت تبقى لأوليفيا. نحن يائسون للعثور عليها.»

- «أنا أتفهم. سأفعل ما بوسعي.»

– «بناءً على حقيقة أنكِ مستعدة للتحدث معنا حول قضايا سرية، أفترض أنك تعتقدين أن ليام كاس مسؤول...؟»

– «بوضوح، لا أستطيع الجزم. لقد مرت سنوات عديدة منذ عالجتُ ليام. لكن... نعم، أعتقد أنه قادر على فعل هذا.»

– «متى بدأتِ علاج ليام؟»

– «حين كان في السابعة من عمره. أحضرته والدته إليّ بسبب العديد من التصريحات المزعجة التي أدلى بها في الفصل وفي المنزل.»

– «أي نوع من التصريحات؟»

– «أكثر من مرة، ذكر فكرة رغبته في حبس فتاة ومشاهدتها تتضور جوعًا حتى الموت. وفي الواقع، لقد مثّل هذا الدور مرة حين كان في الروضة. قام بربط فتاة بشريط لاصق وحبسها في خزانة.»

– «تحدثتُ مع مديرة المدرسة، وأخبرتني عن تلك الحادثة في الخزانة.»

– «كان الأمر مزعجًا للغاية، بطبيعة الحال، وكانت والدته منزعجة جدًا من كل شيء.»

– «ماذا عن الأب؟»

– «قابلته مرة واحدة فقط. كان لديه عمل مزدحم جدًا في المدينة، وبدا وكأنه يظن أننا نضخم الأمور بلا داعٍ. لم يستوعب الأمر. لكن الأم كانت شبه هيستيرية. أجرينا جلسة بدون ليام، وسردت لي قائمة بالأشياء التي فعلها وأخافتها.»

– «مثل ماذا؟»

– «كان ليام، من نواحٍ عديدة، ناضجًا بالنسبة لعمره. كان مسؤولًا جدًا. ولهذا السبب، تمكن من إقناع السيدة كاس بشراء هامستر أليف. لسوء الحظ،

الهامستر الأول هرب كما زعم، واضطرت لشراء آخر له. أخبرها ليام أن الهامستر الثاني هرب أيضًا، لكنها ضبطته لاحقًا وهو يدفنه في الفناء الخلفي.»

— «هل كان الهامستر ميتًا؟»

— «نعم، لكن ليام اعترف أخيرًا أنه هو من قتل الهامستر. تركه يتضور جوعًا ببطء حتى الموت.»

— «يا إلهي.»

— «نعم. كان الأمر مزعجًا للغاية. بعد بضعة أشهر، كان من الواضح جدًا أن ليام يعاني من "اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع" (سوسيوباث). هل تعرف ما هو السوسيوباث أيها المحقق؟»

— «إنه اضطراب الشخصية حين لا تشعر بالعواطف. ألم يكن جيفري دامر وتيد بندي سوسيوباثيين؟»

— «على الأرجح. منذ القرن التاسع عشر، لاحظ الأطباء الذين عملوا مع مرضى الصحة العقلية أن بعض المرضى يظهرون سلوكًا خارجيًا طبيعيًا، لكن ليس لديهم حس أخلاقي أو تعاطف. كان يطلق على هؤلاء المرضى اسم "سيكوباثيين" (Psychopaths)، لكن تم تغيير الاسم لاحقًا إلى "سوسيوباثيين" (Sociopaths) بسبب تأثير هؤلاء الأشخاص على المجتمع. الآن يُستخدم كلا المصطلحين، لكن "سوسيوباث" يشير عمومًا إلى شكل أخف من الاضطراب. السيكوباثيون أندر بكثير.»

— «إذن ماذا يعني كل هذا؟»

— «حسنًا، كبداية، السوسيوباثيون لا يملكون مشاعر إنسانية طبيعية مثل التعاطف. لا يهتمون بمشاعر الآخرين. لديهم أيضًا عتبة عالية جدًا للاشمئزاز، والتي تم قياسها من خلال عدم رد فعل هؤلاء المرضى تجاه صور وجوه مشوهة. لكن السوسيوباثيين لا يهتمون بتصنع المشاعر. السيكوباثيون، من ناحية أخرى،

ممثلون بارعون. إنهم أذكياء، وساحرون، ومذهلون في التلاعب بالعواطف. يمكنهم جعلك تصدق أنهم يهتمون، بينما هم في الواقع لا يشعرون بشيء.»

– «إذن هم كاذبون جيدون.»

– «إنهم كاذبون مرضيون. يمكنهم سرد أكثر القصص خيالية دون أن يرمش لهم جفن. والسمة البارزة الأخرى للسوسيوباثيين هي ضعف الضمير. يشعرون بالقليل جدًا من الذنب أو الخجل أو الندم. السيكوباثيون، بالمقابل، لا ضمير لهم. هل يمكنك تخيل كيف يكون ذلك؟ ألا تشعر بأي ندم على الإطلاق تجاه أفعالك المروعة؟»

– «...»

– «وفوق ذلك، السوسيوباثيون لديهم قدرة تحمل منخفضة جدًا للإحباط أو لتفريغ العدوان.»

– «بمعنى...؟»

– «أقل شيء قد يدفعهم للعنف.»

– «فهمت.»

– «وهم لا يخافون. حين يوضع شخص طبيعي في موقف يتوقع فيه محفزًا مؤلمًا، مثل صدمة كهربائية، يزداد نشاط غددهم العرقية. لكن في الحالات السيكوباتية، لم تصدر أي استجابة توصيل جلدي. إنهم لا يشعرون بالخوف كما نشعر به.»

– «صحيح.»

– «إذن لو جمعت كل ذلك معًا أيها المحقق، لديك فرد لا يشعر بالتعاطف، ولا الندم، ولا الخوف، ويميل للعنف. ليس من المستغرب أن يتم تشخيص العديد من القتلة المتسلسلين كسيكوباثيين.»

– «إذن هل تقولين إن ليام كاس سيكوباثي؟»

– «من الصعب القول. كان في التاسعة فقط آخر مرة رأيته فيها، ومعظم اضطرابات الشخصية هذه لا يمكن تشخيصها تقنيًا قبل سن الثامنة عشرة. لكن...»

– «نعم...؟»

– «كان بالتأكيد سوسيوباثيًا، لكن حدسي كان يخبرني أنه سيكوباثي أيضًا. حتى في مثل تلك السن الصغيرة، كان كاذبًا ومتلاعبًا مذهلًا. لكن في الوقت نفسه، حين قابلته لأول مرة، كانت غريزتي تدفعني للإعجاب به. استغرق الأمر عدة جلسات قبل أن أتمكن من رؤية حقيقته. وأنا محترفة.»

– «إذن هو قاتل متسلسل؟»

– «كن حذرًا في القفز لهذا الاستنتاج. تقريبًا كل القتلة المتسلسلين سيكوباثيون محتملون، لكن ليس كل السيكوباثيين يصبحون قتلة.»

– «لكنكِ تعتقدين أن ليام قادر على القتل؟»

– «حسنًا، السيكوباثيون قادرون على القتل. لذا إذا كان ليام سيكوباثيًا، إذن نعم، هو قادر على القتل.»

– «كم من الوقت عملتِ مع ليام؟»

– «عامين.»

– «لا تبدو مدة طويلة جدًا، بالنظر لكل شيء.»

– «ليام لم يرد المساعدة. لم يكن لديه أي اهتمام بالتغيير للأفضل. حين حاولت التحدث معه، كان ببساطة يكذب عليّ بشأن ما يشعر به. إذا كان هناك شيء واحد فعلته جلساتي معه، فهو جعله يدرك ما يجب وما لا يجب عليه قوله بصوت عالٍ. والحقيقة هي...»

– «نعم؟»

– «كنتُ خائفة منه.»

– «خائفة؟»

– «أيها المحقق، كنت أحتفظ بصورة على مكتبي لابنتي، التي كانت تقارب ليام في العمر. خلال إحدى الجلسات، ظل يحدق في الصورة ويبتسم بطريقة مزعجة للغاية. ثم بدأ يطرح أسئلة عنها.»

– «أي نوع من الأسئلة؟»

– «أسئلة بريئة. مثل ما الأطعمة التي تحبها وما هي هواياتها. لم يكن شيئًا فظيعًا، لكن الطريقة التي سأل بها كانت مزعجة جدًا لي. وأعتقد أنه تعمد جعلي أشعر بعدم الارتياح. أخفيتُ الصورة بعد ذلك.»

– «هل تسبب لها بأي أذى؟»

– «لا. لكن بعد ذلك بوقت قصير، أخبرت السيدة كاس أنني لا أعتقد أنني أساعد ابنها، وأنهينا جلساتنا. لم أرغب في العمل معه بعد ذلك.»

– «لأنك كنتِ خائفة.»

– «نعم.»

– «من طفل في التاسعة.»

– «لو كنتَ تعلم ما يدور داخل رأس ذلك الطفل، لكنتَ خفتَ أنتَ أيضًا.»

الفصل الثلاثون

إيريكا

مباشرة بعد أن انتهيتُ أنا وجيسون من ملء غسالة الأطباق، انطلق منبه هاتفي الـ iPhone. أخرجته من جيبي ونظرت إلى التنبيه:

اجتماع مجلس الآباء والمعلمين في الساعة ٧:٣٠. حركة المرور خفيفة. يجب أن تصلي في غضون عشر دقائق.

تبًا. ذلك الاجتماع السخيف لمجلس الآباء والمعلمين موعده الليلة. وكنت قد أخبرتُ جيسيكا أنني سأحضر لأنني المسؤولة عن «ليلة الفيلم»، الحدث الأهم في العام.

سألني جيسون:

— «ما الخطب؟»

— «كان من المفترض أن أذهب لاجتماع مجلس الآباء والمعلمين الليلة.»

قطب جبينه:

— «مجلس الآباء؟ هل هذا حقًا وقت مناسب للانخراط أكثر في أنشطة المجلس؟»

— «جيسون...»

– «ألا يمكنكِ تفويته؟ ألم تقولي إنكِ تكرهين هذه الأشياء؟»

– «نعم، قلتُ ذلك. وأنا أكرهها فعلًا. لكن جيسيكا تعتمد عليّ في تنظيم ليلة الفيلم. وأشعر أنه... ربما لا يجدر بي استعداء أي شخص الآن...»

رمقني جيسون بنظرة ذات مغزى:

– «هل تعتقدين حقًا أن عليكِ القلق بشأن ما تظنه جيسيكا مارتينسون بكِ؟»

لا. لا ينبغي لي ذلك. لكنني ما زلت أقلق. لطالما تقتُ لنيل استحسان تلك المرأة.

– «لن أبقى طويلًا. حسنا؟»

هز كتفيه:

– «افعلي ما يحلو لكِ يا إيريكا. سأذهب للبحث عن محامين لليام بينما تنظمين ليلة الفيلم أو أيًا كان ما ترينه أكثر أهمية من ابننا...»

إنه محق. لا يجدر بي تنظيم ليالٍ سينمائية في وقتٍ كهذا. إذا كنتُ في موقف يحتم عليّ البحث عن محامين لابني ذي الستة عشر ربيعًا، فإن حياتي أعقد من أن تتسع لليلة فيلم. ربما سأتحدث مع جيسيكا حين أصل إلى هناك. سأشرح لها أنني لا أستطيع القيام بالمهمة وأنني آسفة.

ولكن من ناحية أخرى، لا أريدها أن تظن أنني أنسحب لأن ليام مذنب بشيء ما.

قُدتُ سيارتي نحو المدرسة، وبالفعل كانت حركة المرور خفيفة ولم يستغرق الأمر سوى عشر دقائق. رأيتُ سيارات الأمهات الأخريات مصطفة خارج المدرسة. كانت سيارة جيسيكا الـ «ميني فان» رابضة بجوار المدخل مباشرة، في موقع الاصطفاف المتميز الذي يبدو أنها تفوز به دائمًا.

تُعقد اجتماعات المجلس في المكتبة بالطابق الثاني. صعدتُ الدرج مسرعة، ونظرتُ إلى ساعتي لأجد أنني تأخرت خمس دقائق بطريقة ما. ذلك الـ iPhone الغبي لم ينبهني مبكرًا بما يكفي. لا بأس. سأتسلل من الخلف ولن تكون مشكلة كبيرة. عادةً ما تقضي جيسيكا الدقائق العشرين الأولى في مراجعة محاضر الاجتماع السابق على أية حال. هذه الأمور ضرب من ضروب التعذيب.

أصدر باب المكتبة صريرًا عاليًا حين دفعته لفتحه. من الواضح أنني المتأخرة الوحيدة، والجميع قد تحلقوا بالفعل حول طاولة الاجتماعات المنصوبة في منتصف الغرفة. كانت جيسيكا تقف في المقدمة، مرتدية فستانًا أزرق وأبيض يبدو رائعًا عليها. هي تبدو رائعة دائمًا. في أي ظرف آخر، ربما كنت سأشعر بوخزة غيرة، لكن هذا آخر ما أشعر به الآن.

تذكرتُ أول مرة رأيت فيها جيسيكا مارتينسون، حين كان الأولاد في الصف الأول. كنا قد انتقلنا للتو إلى البلدة وبدأنا من جديد بعد تلك الحادثة المريعة في الروضة. اعتقد جيسون أنني أبالغ حين اقترحتُ الانتقال، لكن الكثير من الناس عرفوا ما حدث. كنتُ أشعر بهم يتهامسون حولي حين أذهب للمتجر. كنا قد أصبحنا منبوذين هناك واحتجنا لبداية جديدة.

ظهرتُ في المدرسة عند الثالثة إلا ربعًا ذلك اليوم لأقلّ ليام من الصف الأول. كانت جيسيكا تنتظر أيضًا، وبدت فاتنة بشكل يبعث على اليأس، حتى وهي ترتدي قميصًا عاديًا وبنطال يوجا. كانت محاطة بمجموعة من النساء يتعلقن بكل كلمة تقولها. إنها تعشق أن تكون محط الأنظار — لم يتغير ذلك أبدًا. راقبتُهن يضحكن على دعابة ألقتها جيسيكا، لكنني كنتُ أهاب الاقتراب منهن. لم أكن يومًا من الفتيات المشهورات أيام الدراسة، ولم أتوقع أن يتغير ذلك في سن الرشد.

لم تبدِ جيسيكا اهتمامًا مفاجئًا بي إلا حين خرج تايلر وليام من المدرسة معًا. مشت نحوي بخطوات واثقة، وابتسامة ساحرة تعلو شفتيها الحمراوين. كانت تنظر إليّ، لكن عينيها كانتا على ابني.

– «لا بد أنك والدة ليام. أنا جيسيكا –– والدة تايلر.»

– «إيريكا.»

قالت جيسيكا وكأنها منبهرة:

– «تايلر يتحدث عن ليام بلا توقف.»

قلتُ:

– «هذا رائع.»

رغم أنني في قرارة نفسي كنتُ آمل ألا ينتهي الأمر بليام وهو يربطه بشريط لاصق في خزانة.

– «يبدو أن الولدين أصبحا صديقين حميمين.»

نظرت لأسفل نحو ليام، الذي كان يقف بصبر بجواري وعلى كتفيه حقيبة ظهر «سبونج بوب»، بينما كان الأولاد الآخرون يركضون بجنون.

– «مرحبًا يا ليام. أنا والدة تايلر.»

مد ليام يده اليمنى، فصافحتها جيسيكا.

قال بعبارة محفوظة:

– «تشرفتُ بلقائكِ.»

ضحكت جيسيكا، وقد سحرها ابني تمامًا:

– «يا لها من أخلاق رائعة. لقد أحسنتِ تربيته يا إيريكا!»

والمدهش أنني لم أدربه على الإطلاق. تعلم ليام بمفرده ما يجب قوله للبالغين ليجعلهم يحبونه.

بعد ذلك اليوم، أصبحت جيسيكا أعز صديقاتي. كان ليام وتايلر يلعبان معًا مرة أو مرتين أسبوعيًا، وتعلمنا الاعتماد على بعضنا البعض في حالات الطوارئ لتوصيل الأبناء. لم يتغير ذلك فجأة إلا في نهاية المرحلة الابتدائية. بالكاد عاد الولدان يتحدثان مع بعضهما. بقينا أنا وجيسيكا ودودتين، لكن لم نعد صديقتين. لم أفهم أبدًا السبب وراء ذلك.

ولديّ شعور بأن الأمور ستزداد سوءًا.

حاولتُ التسلل إلى المكتبة بهدوء، لكن بمجرد أن انغلق الباب خلفي، توقفت جيسيكا عن الحديث فجأة. التفت كل من في الغرفة لينظر إليّ.

تمتمتُ:

– «أوه، أمم، مرحبًا.»

هتفت بصوت خالٍ من المشاعر:

– «إيريكا! لم أتوقع رؤيتك هنا.»

– «نعم، أنا... أنا آسفة لتأخري...»

ظلت عينا جيسيكا الزرقاوان الباردتان مثبتتين على وجهي:

– «لا عليكِ...»

انزلقتُ حول بعض الأمهات (وأب وحيد) لأصل للمقعد الفارغ الوحيد. الجميع في الغرفة يحدقون بي. ظننتُ أن أحدًا لن يعرف بصلة ليام بأوليفيا، لكن من الواضح والمؤلم أن الأمر ليس كذلك. الجميع يعرفون. ربما لا يعرفون أن الشرطة كانت في منزلنا الليلة، وربما لا يعرفون أن ليام كان في منزل أوليفيا في الثانية صباحًا. لكنهم يعرفون شيئًا ما.

تنحنحت جيسيكا:

– «حسنًا. لنعد لمراجعة المحاضر.»

لطالما وجدتُ اجتماعات المجلس نوعًا من التعذيب. فرغم حبي لأطفالي، لا أطيق التخطيط لفعالياتهم طوال العام. لا بأس بالتخطيط لحدث واحد، مثل ليلة الفيلم، رغم أنني أفضل أن أكون مجرد مساعدة توزع التذاكر أو البيتزا في الليلة المعنية. لكن علاقتي بجيسيكا قديمة. إذا احتاجت مساعدتي، ليس أمامي خيار سوى تقديمها.

تذمرت ريجينا نولز:

– «ما زلنا بحاجة لمزيد من المتطوعين لمعرض الكتاب. لا أحد يريد القيام بالتنظيف. وهذا هو الوقت الذي نحتاج فيه لأكبر قدر من المساعدة.»

نعم، المشكلة الأزلية. الكل يريد المساعدة أثناء الفعاليات، ولا أحد يريد أن يكون ضمن فريق التنظيف.

قالت جيسيكا:

– «أنا واثقة أننا سنجد من يساعد في التنظيف.»

مسحت عيناها الغرفة، بينما حاولت عدة نساء النظر في اتجاهات أخرى.

– «راشيل؟ ماريا؟ هل ستساعدان؟»

بدت راشيل ريختر وماريا شيلدون غير متحمستين إطلاقًا لفكرة التنظيف بعد معرض الكتاب. لقد قمتُ بذلك من قبل، وهو عمل مجهد أن تعيد حزم كل تلك الكتب. كلنا نعلم ذلك. لكن جيسيكا حدقت فيهما بصرامة، فأومأتا بالموافقة.

– «رائع.»

صفقت جيسيكا بيديها.

– «الآن وقد انتهينا من أمر معرض الكتاب، لنتحدث عن ليلة الفيلم.»

أخيرًا.

نظرت جيسيكا نحو أليسيا ليفين:

– «أليسيا، أريد أن أشكركِ جزيل الشكر لتطوعكِ كرئيسة لليلة الفيلم.»

ماذا؟

قالت أليسيا:

– «سعيدة بالمساعدة يا جيس.»

هل تمزح معي؟ ما الذي يحدث هنا؟

تنحنحتُ وقلتُ بأكبر قدر ممكن من اللباقة:

– «أنا آسفة يا جيسيكا، لكن ألم تطلبي مني تولي مسؤولية ليلة الفيلم؟»

دست جيسيكا خصلة شعر شاردة خلف أذنها:

– «نعم، لكنني أعرف مدى انشغالك يا إيريكا. وكانت أليسيا لطيفة جدًا لتتطوع. لذا... أعفيتكِ من المهمة.»

عمّ الصمت الغرفة مجددًا والكل يحدق بي وبجيسيكا. ما قالته كان كذبة صريحة لا حياء فيها. هي طلبت مني تولي ليلة الفيلم. وغيرت رأيها حين علمت بشأن أوليفيا.

كان بإمكانها على الأقل أن تمنحني لطف إخباري مسبقًا، كي لا أضيع وقتي في القيادة إلى هنا بينما ابني بحاجة إليّ في المنزل.

والآن كُسر الصمت بصوت همسات الناس. لا أعرف ما الذي يقولونه بحق الجحيم، لكن يمكنني التخيل. أود الصراخ في وجوههن قائلة إنه إذا كان لديهن ما يقلنه عن ابني، فليقلنه في وجهي. لكنني لا أريد ذلك في الواقع. أريد فقط العودة للمنزل.

نهضتُ على قدميَّ المرتجفتين:

– «أعتقد أنني سأنصرف إذن.»

قالت جيسيكا:

– «خذي راحتك. لكنني أقدر عرضكِ للمساعدة يا إيريكا. بصدق.»

مرت أوقات خلال صداقتي بجيسيكا وددتُ فيها صفعها، لكن ليس بقدر رغبتي في هذه اللحظة. لكنني قادرة على التحكم في اندفاعاتي. لذا التقطتُ حقيبتي وركضتُ خارج الغرفة قبل أن تراني هؤلاء النسوة وأنا أبكي.

الفصل الحادي والثلاثون

محضر الشرطة لمقابلة ماديسون هارتمان:

— «منذ متى وأنتِ صديقة لأوليفيا ميرسر؟»

— «طوال حياتي تقريبًا. أصبحنا صديقتين منذ اليوم الأول في الروضة. كنا نرتدي نفس الفستان وتوطدت علاقتنا بسبب ذلك.»

— «إذن أنتِ مقربة جدًا منها؟»

— «آه، أجل! نحن أعز صديقتين.»

— «هل أعطتكِ أوليفيا أي إشارة بأنها قد تهرب؟»

— «لا. أبدًا. أوليفيا لن تهرب أبدًا. لن تفعل ذلك بوالديها.»

— «هل كانت تتعاطى المخدرات أو الكحول؟»

— «هل تمزح معي؟ أوليفيا كانت فتاة صالحة. ذات مرة، عرضتُ أنا وإيدان —— هذا حبيبي —— عليها رشفة من بيرة سرقها إيدان من مخزون والده، لكنها رفضت لمسها.»

— «لو كانت تخطط للهرب، هل كانت لتخبر أحدًا بذلك؟»

— «نعم! كانت لتخبرني... لكنها لم تهرب. أنا أقول لك. مستحيل... إنه ليام. ذلك الوغد، ليام كاس.»

— «تعتقدين أن ليام هو المسؤول عن اختفائها؟»

— «لا أعتقد ذلك. بل أنا متأكدة.»

— «لماذا تقولين ذلك؟»

— «أمم، لأن ليام شخص مجنون؟»

— «لماذا تظنين أنه مجنون؟»

— «حسنًا، لم أكن متأكدة تمامًا من قبل. أعني، كانت هناك شائعات عنه. أنا ذهبتُ لمدرسة إعدادية مختلفة عن مدرسته، لكن الناس كانوا يتحدثون أحيانًا عن ذلك المعلم للغة الإنجليزية وما ظنوا أن ليام فعله به. بعض الطلاب يصدقون أنه فعلها، رغم أنني بصراحة لم أصدق ذلك حتى الآن. هل تعلمون بشأن ذلك؟»

— «نعم. نعلم.»

— «أعني، في الغالب كان مجرد شعور انتابني تجاهه. من الواضح أنه جذاب، لكنه بدا مزيفًا للغاية. الكثير من الفتيات ظنن أنه ساحر جدًا، لكنني رأيته مخادعًا.»

— «كيف ذلك؟»

— «إليك مثالًا. ذات يوم، رأيته يلهو مع بعض أصدقائه قبل الحصة الأولى، ثم تأخر عن الفصل. كنت أحضر الحصة الأولى معه، وسألته المعلمة عن سبب تأخره. أخبرها أن أمه كانت توصله وأن إطار السيارة ثُقب، ولهذا تأخر.»

— «الكثير من الأطفال يكذبون.»

— «أجل، أعرف. أعني، أنا أكذب على المعلمين أو والديّ طوال الوقت. لكن دائمًا ما يبدو أنهم يعرفون نوعًا ما أنني أكذب. من الصعب سرد كذبة متقنة لشخص بالغ بطريقة قابلة للتصديق. لكن ليام كان بارعًا جدًا في ذلك. نظر مباشرة في عيني المعلمة وقالها بملامح جامدة، ولم تشك المعلمة للحظة. أنا

أيضًا كنت سأصدقه لو لم أره في الخارج يلهو. أتفهم؟ وكانت هناك أمور أخرى أيضًا.»

— «مثل ماذا؟»

— «مثل حين كنتُ في الملعب الرياضي بعد المدرسة أنتظر إيدان لينهي تدريب كرة القدم، وكان فريق الجري لديه سباق. ليام كان يسابق وخسر، واستطعتُ أن أرى أنه كان غاضبًا جدًا لخسارته. مشى مباشرة نحو السياج وركله بقوة لدرجة أنه كسره. صُدمت نوعًا ما من شدة غضبه.»

— «هل أخبرتِ أوليفيا بذلك؟»

— «لا...»

— «ولمَ لا؟»

— «حسنًا، لأن إيدان في العام الماضي لكم حائطًا وكسر يده، لذا ظننتُ أنني لو أخبرتها بتلك القصة، ستذكر قصة إيدان وتتصرف وكأن الأمر ليس جللًا. أو تقول لي إنه يجب أن أنفصل عن إيدان.»

— «أوليفيا أخبرتك أن تنفصلي عن إيدان؟»

— «نعم... أعني، ليس بجدية تامة. لكنها لم تكن تحبه.»

— «لماذا؟»

— «لا أعرف. كانت تظن أنه "بلطجي كرة قدم"، ولكن... ما علاقة هذا بليام؟»

— «هل كان إيدان عنيفًا تجاهك يومًا؟»

— «لا! أبدًا! إيدان ليس مثاليًا، لكنه فتى طيب. ليس مثل ليام.»

— «هل كان ليام عنيفًا تجاه أوليفيا؟»

– «لا. كان بإمكانه أن يكون لطيفًا جدًا حين يريد ذلك. هذا ما أقوله –– كان مزيفًا جدًا. وهي انخدعت به تمامًا. كانت معجبة به جدًا... وهي ليست كذلك عادة. لا تتعلق بالأولاد لتلك الدرجة. لقد لعب بعقلها تمامًا.»

– «هل تعتقدين أن لديه أي سبب لإيذائها؟»

– «لا. أعني، هي كانت تريد الخروج معه بالفعل، وأراهن أنها كانت ستفعل أي شيء لأجله.»

– «إذن لماذا أنتِ متأكدة جدًا أن ليام مسؤول عن اختفائها؟»

– «لأنه مجنون! المجانين لا يحتاجون لسبب ليفعلوا شيئًا مجنونًا، أليس كذلك؟»

الفصل الثاني والثلاثون

إيريكا

حين عدتُ للمنزل، أخبرني جيسون أن ليام لم يخرج من غرفته منذ غادرت الشرطة، لذا قررتُ الذهاب للاطمئنان عليه. شعرتُ بالارتياح حين طرقتُ الباب وأذن لي بالدخول.

ويا للغرابة، وجدته عند مكتبه، منكبًا على أحد كتبه المدرسية. كان يقرأ ويلخص الكتاب، وكأن هذا يوم عادي آخر. وكأن الشرطة لم تكن هنا، قبل ساعات قليلة، تتهمه ضمنيًا بالقتل.

– «ليام؟»

لم يرفع نظره عن كتابه:

– «نعم؟»

– «ماذا تفعل؟»

– «أدرس. لدي اختبار تاريخ غدًا.»

– «هل يمكنك التوقف لبضع دقائق؟ أود التحدث معك.»

لو كانت هانا، لتذمرت بشأن مقاطعتي لها أثناء محاولتها الدراسة، رغم أنها تتشتت كل خمس دقائق بهاتفها على أية حال. لكن ليام التفت بطاعة بعيدًا عن كتاب التاريخ ونظر إليّ، رامشًا بعينيه البنيتين ببراءة.

– «ما الأمر يا أمي؟»

أخذتُ نفسًا عميقًا. يداي ترتجفان، وأشعر أنني على وشك الانفجار بالبكاء. تذكرتُ حين كان ليام أصغر سنًا وكان يذهب لتلك المعالجة النفسية. استخدمت مصطلحًا فكرتُ فيه كثيرًا لكنني خفتُ من قوله بصوت عالٍ أبدًا:

سوسيوباث.

إنه لا يشعر بالتعاطف مثلكِ. لا يشعر بالحب. إنه يتصنع ذلك وحسب.

كأم، كان ذلك أحد أسوأ الأشياء التي قيلت لي على الإطلاق. ابنك لا يحبك. إنه غير قادر على ذلك. في ذلك الوقت، رفضتُ تصديق الأمر. لكن مع مرور السنوات، أدركتُ مدى صحة كل ما قالته لي الدكتورة إيبير.

قلتُ:

– «أين هي يا ليام؟ أين أوليفيا؟»

نظر في عينيّ مباشرة، بنفس الطريقة التي فعلها مع الضباط حين كذب في وجوههم:

– «لا أعرف.»

– «ليام...»

فرت دمعة من عيني اليمنى ومسحتها قبل أن يراها. إظهار الضعف أمام شخص يفتقر للتعاطف دائمًا ما يكون خطأً.

– «الشرطة تعرف عملها. مهما كان ما فعلته... سيكتشفونه. إذا أخبرتني بمكانها، أستطيع مساعدتك. سأطلق سراحها. يمكنني التظاهر بأنني عثرت عليها صدفة...»

أخذتُ نفسًا مرتجفًا.

– «لكن إن قتلتها...»

قطب حاجبيه، مما جعله يبدو أصغر سنًا:

– «أمي. أقسم لكِ. لم أفعل شيئًا لأوليفيا.»

– «أنا لا أصدقك يا ليام.»

أظلمت عيناه. هناك لحظات أشعر فيها بالخوف من ابني. مثل تلك المرة التي وجدته فيها مع ذلك الهامستر حين كان في السادسة فقط. تركه يتضور جوعًا حتى الموت أمام عينيه مباشرة. الهامستر المسكين كان ذابلًا لدرجة أنك تستطيع رؤية عظامه بارزة. كان من الواضح أنه عانى. ولم يكترث ليام. لا، بل الأسوأ —— لقد استمتع بذلك.

قال بصوت حازم، وشبه غاضب:

– «لم أفعل ذلك يا أمي. لا أعرف أين هي. هل يمكنني العودة للدراسة الآن؟»

أومأتُ بصمت، فدار ليام بكرسيه ليعود لكتاب التاريخ. بدأ التلخيص مجددًا، وكأن أمه لم تكن في الغرفة للتو، تتهمه بالخطف والقتل. هذا هو ليام. لا يدع شيئًا يزعجه.

بعد أن توصلت الدكتورة إيبير لتشخيصها، سألتها كيف أمكن حدوث ذلك. ليام نشأ في أسرة سعيدة من الطبقة المتوسطة العليا. وفرنا له انضباطًا حازمًا لكن عادلًا جدًا. حظي بطفولة رائعة. كيف انتهى به المطاف هكذا؟

قالت يومها:

– «غالبًا ما يكون هناك مكون وراثي.»

لكن ذلك لم يفسر الأمر بشكل أفضل. أنا وجيسون كنا عاديين ومملين لأقصى درجة. لم يكن للأمر معنى. كيف لزوجين لطيفين وطبيعيين مثلنا أن ينجبا طفلًا مثل ليام؟ لم أفهم ذلك قط.

ليس حتى هذا الصباح. حين اكتشفتُ أن والدي كان في السجن بتهمة القتل لأكثر من أربعين عامًا.

الفصل الثالث والثلاثون

أوليفيا

ليس لدي أدنى فكرة عن المدة التي قضيتها هنا في الأسفل.

توقفتُ أخيرًا عن الصراخ. استمر الأمر لفترة طويلة. وحتى بعد أن توقفت، كنتُ لا أزال أرتجف. جلستُ في زاوية الحفرة، قبالة الهيكل العظمي، واكتفيتُ بمعانقة نفسي. لساعات، ربما. لا أعرف لمن يعود هذا الهيكل، لكنني لا أستطيع خداع نفسي بأن وجوده هنا علامة جيدة. شخص آخر كان في هذه الحفرة. وذلك الشخص مات هنا.

أو على الأرجح، قُتل.

بدأت ذكريات كيفية وصولي إلى هنا تعود بوضوح أكبر. المنديل الذي حُشر في وجهي وكان له رائحة غريبة. عدم القدرة على التنفس. ثم... لا شيء.

سيقتلني. لهذا السبب أنا هنا. والسبب الوحيد الذي يمكنني تخيله لوضعي هنا بدلًا من قتلي فورًا هو أن لديه خططًا أخرى لي قبل أن يقتلني.

لكن لا بد أن الجميع يبحثون عني. أمي... أريدها بشدة لدرجة الألم. لا أستطيع تخيل مدى رعبها حين دخلت غرفتي ووجدتني مفقودة. لا بد أنها اتصلت بالشرطة فورًا. لن تتوقف أبدًا عن البحث عني. ستجعل كل شرطي في الولاية يخرج للبحث.

وحين تجدني الشرطة، سيلقون بمؤخرته في السجن. وسأعود لسريري الدافئ والمريح. وستعد لي أمي فطائر رقائق الشوكولاتة. ولن أغادر سريري لمدة أسبوع. حسنًا، ربما سأذهب للطبيب ليفحص كاحلي، الذي لا يزال ينبض بالألم.

سأخرج من هنا. أنا أعرف ذلك. والداي سيجدانني.

أطلقت معدتي قرقرة منخفضة. أنا أتضور جوعًا. وعطشى. عطشى جدًا. أنهيتُ الماء قبل ساعة. كنت أعرف أنه يجب عليّ تقنينه أكثر، لكنني لم أستطع منع نفسي. التقطتُ الترمس وأفرغته في حلقي دون تفكير. والآن، لقد نفد.

أتساءل كم يستغرق الأمر ليموت الشخص من الجفاف. ربما هكذا ماتت فيبي. هذا هو الاسم الذي أطلقته على صاحبة العظام في الزاوية. اعتدتُ أنا وأمي مشاهدة إعادات مسلسل «فريندز»، وكانت فيبي شخصيتي المفضلة. لذا أسميتها فيبي. هي تستحق اسمًا. أتساءل إن كان والداها لا يزالان يبحثان عنها. حين أخرج من هنا سأخبر الناس أنها بالأسفل. ربما يحصل والداها على بعض السكينة.

سأخرج من هنا. سأفعل.

سأجد طريقة. لن أستسلم.

سمعتُ ضجيجًا قادمًا من الأعلى. هل هذه خطوات؟ هل هي الشرطة؟ بدأتُ بالصراخ، لكن حلقي جاف جدًا، فخرجت محاولة فاشلة قبل أن يخرج أي صوت.

— «المساعدة! ساعدوني، أرجوكم!»

إنها خطوات. خطوات بالتأكيد. هناك صوت معدن فوق رأسي مباشرة، ثم صرير مفصلات. وأخيرًا، ملأ وميض ساطع من الضوء مجال رؤيتي.

بعد الجلوس في الظلام لفترة طويلة، كان الضوء مؤلمًا. غطيتُ عيني بيديّ لأحجبه. إنه مصباح يدوي. شخص ما يسلط ضوء مصباح عليّ.

— «أوليفيا؟»

إنه هو. ليست الشرطة. لقد عاد.

صرختُ آملة أن يسمعني جار أو عابر سبيل:

— «المساعدة! أي أحد! ساعدوني! أخرجوني!»

أمال رأسه للجانب:

— «أخشى أنكِ تضيعين أنفاسك يا أوليفيا. نحن في كوخ في منتصف اللا مكان. لن يسمعكِ أحد إن صرختِ.»

توقفتُ عن الصراخ وحدقتُ فيه للأعلى وأنا ألتقط أنفاسي. لست واثقة تمامًا من أنني أصدقه، لكنه لا يبدو قلقًا على الإطلاق من صراخي. لذا فالأمر صحيح على الأرجح.

قال:

— «أنا آسف لأنني تأخرتُ في العودة إليكِ.»

رغم أنه لا يبدو آسفًا. في الواقع، صوته خالٍ من أي تعبير، كأنه روبوت. يبدو مختلفًا جدًا عن المعتاد. الأمر مخيف.

— «الشرطة في كل مكان. اضطررت للانتظار حتى الليل.»

قلتُ بصوت مبحوح:

— «أرجوك دعني أخرج.»

نظرتُ من بين أصابعي إلى وجهه، وأنا أغلق عينيّ نصف إغلاق بسبب الضوء الساطع. لا أصدق أنني ظننته وسيمًا يومًا ما. لا بد أنني كنت فاقدة لعقلي.

— «أخشى أنني لا أستطيع فعل ذلك.»

قفزت الدموع لعينيّ، لكنني حاولت منعها من السقوط. لدي شعور بأن بكائي لن يثير تعاطفه.

– «لماذا؟ لن أخبر أحدًا. أقسم. سأقول فقط أنني هربت. أعدك.»

– «نعم. أنا متأكد.»

– «أقسم!»

ابتسم بطريقة جعلت بدني يقشعر.

– «أنا آسف يا أوليفيا. لا أستطيع السماح لك بالخروج.»

أخذتُ نفسًا عميقًا.

– «أرجوك... إذا أخرجتني، سأ... سأفعل أي شيء تريده. أي شيء.»

أطلق ضحكة، عالية بما يكفي لأعرف أنه لا بد أن يكون صادقًا بشأن كوننا الوحيدين هنا.

– «ستفعلين ما أريد على أية حال. ليس وكأن لديكِ خيارًا.»

هذا صحيح على الأرجح. ليس ضخم الجثة، لكنه أكبر مني بكثير. يمكنه التغلب عليّ بسهولة، حتى لو لم أكن ضعيفة من قلة الطعام والماء وبكاحل مصاب.

سألتُ بصوت ضئيل:

– «ماذا تريد إذن؟»

لم يجبني.

حدقتُ بغضب في وجهه بالأعلى:

– «من الأفضل أن تخرجني الآن. إذا لم تفعل، حين تجدني الشرطة هنا، سأخبرهم بكل شيء.»

أومض بتلك الابتسامة مجددًا:

– «أوه، هل ستفعلين؟»

صرختُ فيه وعضلة في فكي تختلج:

– «تراهن أنني سأفعل! سأخبرهم بما فعلته! ستذهب للسجن لبقية حياتك!»

راقبتُ تعابيره، أنتظر رد فعل. لكن وجهه لم يظهر ولو ومضة خوف.

– «هل تهددينني يا أوليفيا؟ آمل حقًا ألا تكوني بصدد تهديدي.»

هناك شيء في عينيه أكثر رعبًا حتى من الجثة المتعفنة في زاوية الحفرة. فمي جاف جدًا، لست متأكدة أنني أستطيع حتى الرد. لكنني تنحنحتُ.

– «أنا لا أهددك. أنا فقط أخبرك بما سيحدث.»

قال:

– «حسنًا، من الأفضل إذن أن أتأكد من أنهم لن يجدوكِ أبدًا.»

أمسكتُ بركبتي، وقلبي يقرع في صدري. إنه يعني ذلك. لن يدعني أخرج من هنا أبدًا. مطلقًا.

يا إلهي...

رفع كيس تسوق ورقيًا بنيًا كبيرًا في الهواء وأسقطه في الحفرة. سقط بجانبي، محدثًا ارتطامًا قويًا جعلني أجفل وأطلق صرخة.

– «هذا طعام وشراب. لا أعرف متى سأتمكن من العودة هنا، لذا من الأفضل أن تجعليه يكفيكِ.»

ثم انطفأ الضوء.

صرختُ:

— «انتظر! انتظر!»

جاء صوته مجددًا، يخترق الظلام الحالك:

— «ماذا؟»

ابتلعتُ ريقي، آملة أن أتمكن من استجداء تعاطفه لمرة أخيرة لأن التهديدات لم تجدِ نفعًا بوضوح.

— «هل يمكنك ترك المصباح لي؟ أرجوك؟»

صمت للحظة، وكأنه يفكر في الأمر. هل أجرؤ على الأمل بأنه قد يوافق؟ سأعطي أي شيء مقابل ذلك المصباح.

قلتُ بنعومة:

— «الظلام دامس هنا بالأسفل، ومن الصعب جدًا تمييز الأشياء. الأمر يصيبني بالجنون. لو أمكنك ترك المصباح...»

— «لا.»

ثم أغلقت البوابة فوق رأسي بصرير. وسمعتُ صوت القفل يدار، حابسًا إياي في الأسفل مرة أخرى. دفنتُ وجهي في ركبتي وأجهشتُ بالبكاء.

لا أريد أن أموت هنا في الأسفل. لا بد من وجود مخرج.

الفصل الرابع والثلاثون

إيريكا

فكرتُ في إبقاء الأولاد في المنزل وعدم ذهابهم للمدرسة، لكن كلاهما أراد الذهاب، وقال جيسون إنه يجب أن نحاول إبقاء الأمور طبيعية قدر الإمكان.

لكن جيسون بقي في المنزل ولم يذهب للعمل. حبس نفسه في غرفة الضيوف ليعمل من المنزل، رغم علمي بأنه في منتصف مشروع مهم ولديه طن من الاجتماعات. يحاول إجراء كل اجتماعاته عبر الهاتف.

حاولتُ إخباره:

— «يمكنك الذهاب للعمل. ليام سيكون بخير.»

أصر قائلًا:

— «أعتقد أنه من الأفضل أن أبقى في المنزل.»

لم أرد الاعتراف بمدى امتناني لبقائه. لم يحدث شيء آخر بعد زيارة الشرطة الليلة الماضية، لكنني ظللتُ أنتفض مستيقظة طوال الليل من كوابيس. لم أستطع تذكر أي منها حين استيقظت في الصباح، لكن جسدي كان مغطى بالعرق.

حاولتُ إنجاز عملي الخاص، لكن الأمر صعب. من المفترض أن أكتب مقالًا عن أفضل الملاعب المحلية، لكن ذهني ليس صافيًا. بالإضافة إلى ذلك،

هانا وليام تجاوزا سن اللعب في الملاعب منذ سنوات. أود أن أشعر بالحنين لتلك الأوقات الأبسط، لكنني لا أستطيع. منذ كان ليام في الرابعة، كان قنبلة موقوتة.

آمل أن يجدوا أوليفيا. هذا كل ما أستطيع التفكير فيه. آمل أنها هربت. آمل أن يجدوها في فندق رخيص ما، باكية وتريد العودة للمنزل.

قُطع القليل من التركيز الذي كنت أملكه برنين جرس الباب. حين رأيت جيسون ينزل الدرج، أدركت أن الجرس كان يرن لعدة دقائق. لا أعرف ما خطبي لدرجة أنني لا ألاحظ جرس الباب وهو يرن على بعد عشرة أقدام مني.

وصل جيسون للباب قبلي. نظر عبر العين السحرية، وشحب وجهه.

– «تبًا. إنها الشرطة.»

فرد جيسون كتفيه وفتح الباب قليلًا. إنهما ريفيرا وميرفي مجددًا. لكن هناك المزيد من الأشخاص خلفهم. لا تبدو هذه علامة جيدة. حين تأتي الشرطة ومعها فرقة من الأشخاص، فاعلم أنك في ورطة.

لم تكلف ريفيرا نفسها عناء الابتسام هذه المرة:

– «مرحبًا سيد كاس. لدينا مذكرة لتفتيش منزلك وسيارة زوجتك التويوتا.»

تقدمتُ للأمام:

– «ليام في المدرسة.»

قالت:

– «لا نحتاج لليام الآن. لكن لدينا مذكرة للحصول على هاتفه.»

الله وحده يعلم ما يوجد في هاتفه. لا أريد التفكير في ذلك.

– «هل يمكنكم المرور لاحقًا لأخذ الهاتف؟»

كان جيسون مشغولًا بفحص المذكرة، لكنني لست متأكدة لمَ يتعب نفسه. هؤلاء ضباط شرطة. إذا احتاجوا لتفتيش منزلنا، لن نوقفهم. آمل فقط أن ليام كان ذكيًا بما يكفي لئلا يترك شيئًا خلفه.

بدأ هاتفي بالرنين في جيبي. أخرجته ورأيت اسم المدرسة الثانوية. انقبضت معدتي.

– «أيتها المحققة، هل يمكنني الرد على هذه المكالمة؟ إنها المدرسة.»

أومأت باقتضاب وسحبتُ الشاشة للرد:

– «مرحبًا؟»

– «سيدة كاس؟ معك المديرة ماكميلان. أخشى أن لدينا مشكلة.»

لديها مشكلة؟ يجب أن ترى ما يحدث في منزلي.

– «ما الخطب؟»

– «أحتاج منكِ المجيء إلى هنا بأسرع وقت ممكن. تورط ليام وطالب آخر في مشاجرة بالأيدي في الردهة. كلاهما في مكتبي الآن.»

يا إلهي.

– «هل ليام بخير؟»

لان صوتها قليلًا:

– «إنه بخير. لكننا لا نتسامح مع الشجار داخل الحرم المدرسي. سأحتاج لحضورك حالًا.»

لا أعرف كيف سأدبر ذلك، لكن لا يمكنني قول لا للسيدة ماكميلان.

– «سأكون هناك فورًا.»

خفض جيسون مذكرة التفتيش وكان يحدق بي. وكذلك المحققان. تمنيتُ ألا أضطر لإجراء هذه المحادثة أمام المحققين. التوقيت لا يمكن أن يكون أسوأ.

قلتُ، محاولة تجاهل نظرات ريفيرا لي:

— «دخل ليام في شجار بالمدرسة. عليّ الذهاب لإحضاره.»

عبس جيسون:

— «يا إلهي. حسنًا. سأ... سأبقى هنا واذهبي أنتِ لإحضار ليام.»

نظرتُ خلف المحققين إلى فريق الأشخاص الذين سيمزقون منزلي إربًا. تمنيتُ لو كان بإمكاني البقاء. لا أستطيع التعامل مع شجار ليام في المدرسة فوق كل هذا. تلقيتُ الكثير من المكالمات بخصوص ليام على مر السنين، لكن ليس شيئًا كهذا. لم يفعل شيئًا يلوث يديه من قبل.

أمسكتُ حقيبتي، لكن المحققة ريفيرا أوقفتني:

— «لا يمكنكِ أخذ التويوتا. نحتاج لتفتيشها.»

— «ولكنني سأ... سأعود فورًا...»

أخذ جيسون مفاتيحه من العلاقة على الحائط حيث يحفظها ورماها لي:

— «خذي سيارتي البريوس يا إيريكا. أرسلي لي رسالة بعد التحدث مع المديرة، حسنًا؟»

أومأتُ. ربما هذا أفضل على أية حال. لدي شعور بأن هذه المحادثة لن تكون سريعة.

الفصل الخامس والثلاثون

إيريكا

حين دخلتُ المدرسة، كانت ابنتي تنتظرني عند المدخل. أنا واثقة أن مكانها المفترض هو الفصل، لذا أفترض أنها تهربت منه. لكن هذه أقل مشاكلي الآن. كانت عينا هانا محمرتين وشعرها البني المحمر أشعث —— أكثر من المعتاد حتى. بدت وكأن شخصًا ما قد مات للتو.

صاحت:

– «أمي!»

وألقت بذراعيها حولي، وهو شيء لم تفعله في العلن منذ وقت طويل جدًا. رغم أنه للإنصاف، لا أعتقد أن هناك أي شخص آخر في الردهة.

– «رأيتُ كل شيء. لم يكن خطأ ليام.»

ابتعدتُ عنها. يصعب عليّ تصديق أن أي شيء يحدث الآن ليس خطأ ليام.

– «هل أنتِ متأكدة؟»

– «نعم!»

مسحت عينيها بظهر يدها.

– «تايلر قفز عليه من العدم. ماذا كان يفترض بليام أن يفعل؟ يقف هناك وحسب بينما يبرحه تايلر ضربًا؟»

– «لماذا فعل تايلر ذلك؟»

رمشت هانا في وجهي:

– «أليس الأمر واضحًا؟ الجميع يظن أن ليام مسؤول عما حدث لأوليفيا. لكنه ليس كذلك. أنا أعلم ذلك.»

لست متأكدة كيف تعرف هانا ذلك. أنا بالتأكيد لا أعرف.

– «تايلر يخبر الجميع أن ليام نوع من السيكوباثيين. يجب أن يُفصل تايلر. لم يكن خطأ ليام.»

يراودني شعور سيء بأن السيدة ماكميلان لن ترى الأمر بهذه الطريقة. وسواء كان كذلك أم لا، لا يمكن لليام الذهاب للمدرسة الآن. هذا واضح جدًا. ليس حتى تنقشع هذه الغمة.

وعدتها:

– «سأرى ما يمكنني فعله يا هانا.»

لم أخبرها عن ضباط الشرطة في منزلنا، الذين يفتشون حاليًا ممتلكات أخيها. وسيارتي. لا جدوى من جعلها أكثر انزعاجًا.

– «سأذهب للتحدث مع المديرة الآن. لكن عليكِ العودة للفصل.»

لكن من الواضح أن هانا لا تنوي العودة لفصلها. تبعتني لمكتب المديرة ولم أمنعها. الأمر صعب عليها أيضًا.

حين دخلتُ مكتب الإدارة، كانت جيسيكا مارتينسون هناك بالفعل. آخر شيء أريده الآن هو محادثة مع جيسيكا، لكن باب المديرة كان مغلقًا، فلم يكن

لدي خيار سوى الجلوس بجوارها للانتظار. ما زلت أشعر بمرارة تجاهلها لي في اجتماع المجلس. بعد كل تلك السنوات، كيف أمكنها فعل ذلك بي؟

قالت جيسيكا بنبرة لا يمكن قراءتها:

– «مرحبًا إيريكا. يا له من عراك خاضه ولدانا، أليس كذلك؟»

قلتُ بغموض:

– «نعم.»

لم أذكر حقيقة أن ابنتي أخبرتني أن بلطجي كرة القدم خاصتها (ابنها) هو من قفز على ابني. بطريقة ما، أشك أن اللوم سيقع على ليام في كل هذا.

– «كل الأولاد يتشاجرون، على ما أظن.»

ابتسمت جيسيكا بفتور:

– «نعم. أنا واثقة أنهم يضخمون الأمر. نأمل أن يحصلا على تحذير فقط وينتهي الأمر.»

هذا مستحيل. لقد تشاجرا في المدرسة. لا بد من عقاب صارم. لكنني أقدر تفاؤل جيسيكا.

فُتح باب مكتب المديرة ووقفت السيدة كريستين ماكميلان عند المدخل. إنها في مثل عمري تقريبًا، لكنها أطول بكثير، بفك قوي وشعر مصفف على شكل خوذة ثابتة بطول الكتف. آخر مرة تحدثنا فيها كانت في ليلة الآباء والمعلمين، حين صادفتني في الردهة وأخبرتني كم كان ليام عبقريًا في مناظرته الأخيرة، وكيف أنه في طريقه ليصبح طالب التخرج المتفوق.

لم تكن تبتسم هذه المرة وهي تشير لنا بالدخول لمكتبها.

كان الولدان يجلسان على كرسيين أمام مكتبها. تايلر كان متراخيًا في جلسته، يضع كيس ثلج على وجهه، بينما ليام يجلس باستقامة، يحدق في الجدار.

لكنه لم يبدُ بحالة جيدة. سدد له تايلر لكمة قوية على عظم وجنته، التي كانت حمراء داكنة وفي طريقها للتحول للأزرق والأسود. قميصه ممزق وشعره الداكن المرتب عادةً بات أشعث. بدا كطفل تعرض للضرب للتو. رغم كل شيء، وددتُ لو ألقي ذراعيّ حوله.

إنه ابني، في النهاية. مهما حدث.

قالت السيدة ماكميلان:

– «اضطر اثنان من المعلمين للفصل بينهما. إنها واحدة من أسوأ المشاجرات التي رأيتها طوال فترتي كمديرة.»

أبعد تايلر كيس الثلج عن وجهه، كاشفًا عن شفة مشقوقة:

– «كان خطأه. هو من بدأ.»

قال ليام بهدوء:

– «لا، لم أفعل. لم أفعل شيئًا.»

– «بل فعلت أيها الكاذب!»

صاحت السيدة ماكميلان:

– «اهدآ أيها الولدان!»

لكن تايلر لم يكن ليهدأ:

– «أنت بدأت حين قتلتَ أوليفيا ميرسر، أيها السيكوباثي. الجميع يعرف أنك فعلتها!»

لم يرد ليام على ذلك. اكتفى بالتحديق للأمام.

قالت السيدة ماكميلان بحدة:

– «هذا يكفي. تايلر، لا يهمني من بدأ. كلاكما تورط في هذا الشجار.»

كاد تايلر يبصق الكلمات:

– «هو يستحق ذلك. ذلك وأكثر.»

نظرت السيدة ماكميلان بين الولدين، وضيقت عينيها.

– «تايلر، ليام، أود منكما الانتظار في الخارج بينما أتحدث مع والدتيكما.»

أطاع ليام فورًا، بينما حاول تايلر الاعتراض. لكن السيدة ماكميلان جعلت سكرتيرتها ترافقهما للخارج، وعلى ما يبدو لمراقبتهما بينما تتحدث معنا. بمجرد إغلاق الباب، شكلت شفتيها خطًا مستقيمًا ونظرت إلينا من فوق نظارتها.

– «بوضوح، لا عذر لهذا السلوك. الشجار غير مقبول. لا يمكننا السماح بتكرار هذا المشهد.»

قالت جيسيكا:

– «بالطبع لا. أنا آسفة جدًا لسلوك تايلر. لقد أصبح... عاطفيًا وحسب.»

أبقيتُ فمي مغلقًا، تمامًا كما فعل ابني.

قالت السيدة ماكميلان:

– «سيتم فصل تايلر لمدة أسبوع.»

نظرت إليّ وترددت.

– «وليام سيتلقى فصلًا ليوم واحد.»

قبل أسبوع، كنتُ سأقلق بشأن تأثير ذلك على قبول ليام في الجامعة. الآن لا أبالي إطلاقًا. كان بإمكانها فصله لأسبوع أيضًا. لا أستطيع إرساله للمدرسة بعد هذا.

لكن جيسيكا كانت تستشيط غضبًا. ظهرت بقعة وردية على كل من وجنتيها.

– «أسبوع؟ كيف يحصل تايلر على أسبوع وليام على يوم واحد فقط؟»

قالت السيدة ماكميلان:

– «لسبب واحد، هذه هي المخالفة الثانية لتايلر. أخبرتكم بعد شجاره العام الماضي أن هذا لا يمكن أن يتكرر. أيضًا، أكد العديد من الشهود أن ابنك هو من بدأ الشجار. ليام سجله ناصع البياض. إنه طالب متفوق...»

انفجرت جيسيكا:

– «لكنه مجنون! أنا آسفة، لكن هذا هو الفيل في الغرفة (الحقيقة التي يتجاهلها الجميع). ليام مجنون. لقد خطف تلك الفتاة، وعلى الأرجح سيقتلها. تايلر كان منزعجًا وحسب بسبب ذلك.»

نظرتُ لصديقتي السابقة، مصدومة لقولها شيئًا كهذا. حتى حين توقف تايلر وليام عن كونهما صديقين، لم تقل كلمة سلبية واحدة عن ليام.

قالت:

– «أنا آسفة يا إيريكا. لكنكِ تعلمين أن هذا صحيح. ليام لديه مشاكل عقلية خطيرة. السبب في توقف صداقته مع تايلر هو أن تايلر كان يخاف من وجوده في المنزل. أنا كنتُ أخاف من وجوده في المنزل.»

هزت رأسها.

– «يجب أن يخضع للعلاج. أو الأفضل من ذلك، أن يُحبس.»

هتفت السيدة ماكميلان:

– «سيدة مارتينسون! أعلم أنكِ منزعجة، لكن أرجوكِ. هذا كلام غير مبرر.»

حدقتُ في يديّ. لا أعرف ماذا أقول. أريد الدفاع عن ابني، لكن الحقيقة هي أنني أتفق معها. ولكن قبل أن تنبس بكلمة أخرى، سمعنا صراخًا خارج المكتب. نهضت السيدة ماكميلان وتبعناها. ما الأمر الآن؟

كان ليام وتايلر لا يزالان جالسين خارج المكتب، لكن فتاة أخرى انضمت إليهما. شعرها أشقر داكن يحيط بوجهها الممتلئ، والدموع تنهمر على خديها. كانت تشير إليهم ويدها ترتجف.

صرخت في ليام:

– «أين هي أيها الوغد؟ أخبرني ماذا فعلت بأوليفيا!»

صاحت السيدة ماكميلان:

– «ماديسون! اهدئي فورًا!»

تخوفتُ أن تتهجم الفتاة على ليام بعد أن كورت يديها في قبضتين. لكن بدلًا من ذلك، ضربت الأرض بقدمها.

– «هو فعل هذا! ذلك الوغد فعل شيئًا لأعز صديقاتي. وانظروا إليه! إنه لا يكترث حتى!»

نظرتُ إلى ليام، الذي كان يراقب نوبة غضب ماديسون دون أي تعبير على وجهه. لم ينطق بكلمة احتجاج. اكتفى بالتحديق فيها وكأنها حشرة تزحف على الحائط. وكأنه حقًا لا يكترث.

انتهى بهم الأمر باستدعاء حارس أمن المدرسة لأخذ ماديسون بعيدًا، لأنها لم تتوقف عن الصراخ في وجه ليام. أخذتني السيدة ماكميلان جانبًا، ونظرة قلق في عينيها.

– «قد يكون من الأفضل لليام البقاء في المنزل حتى تنجلي هذه الغمة.»

تمتمتُ:

– «نعم. كنتُ أفكر في الشيء نفسه.»

عبست قائلة:

– «ليام فتى طيب. إنه لأمر فظيع أن يتورط في هذه المأساة.»

كما اتضح، نجح ابني في سحر السيدة ماكميلان بنجاح. خلال عاميه ونيف في المدرسة الثانوية، كان حسن السلوك للغاية. لم تكن هناك أي حوادث خلال هذا الوقت. آخر حادثة له، في الواقع، كانت تتعلق بمعلم اللغة الإنجليزية ذاك في الصف الثامن. لا أحب التفكير في ذلك. لكن السيدة ماكميلان بوضوح لا تعرف بشأن السيد يونغ. هي ترى فقط ما يسمح لها ليام برؤيته.

قالت لي:

— «حظًا موفقًا.»

الفصل السادس والثلاثون

نص مقابلة الشرطة مع تايلر مارتينسون:

— «تايلر، منذ متى وأنت تعرف ليام كاس؟»

— «منذ الأزل. تقريبًا منذ الصف الأول.»

— «وكنتما صديقين؟»

— «أعز صديقين، في الواقع. كنتُ أذهب لمنزله دائمًا، أو يأتي هو لمنزلي. كنا مقربين جدًا.»

— «وماذا كان رأيك فيه في ذلك الوقت؟»

— «حسنًا، كان أعز أصدقائي. لذا من الطبيعي أنني أحببته. كان رائعًا. لكن كان لديه جانب مظلم، إن كنت تفهم قصدي.»

— «ماذا تعني؟»

— «أعني، كان بارعًا جدًا في التلاعب بالناس ليحصل على ما يريد. خاصة المعلمين. كان بإمكانه تجاهل واجباته المدرسية ولن يقع في ورطة أبدًا. أما أنا فلم أستطع الإفلات بأي شيء.»

— «وماذا كان رأي الطلاب الآخرين فيه؟»

— «أحبوه أيضًا. خاصة الفتيات. كن جميعًا غارقات في حبه. كان الأمر مزعجًا حقًا. لكن ليام كان يظن الأمر مضحكًا.»

– «هل كنت تغار منه؟»

– «أنا؟ لا. أعني، لم أكن مهتمًا بالفتيات في ذلك الوقت. الآن الأمر أكثر إزعاجًا. جميعهن ما زلن يحببنه. إنه يشبه تيد بندي. ألم يكن ذلك القاتل المتسلسل الذي أحبته النساء كثيرًا؟»

– «ذكرتَ أنه كان يتلاعب بالآخرين. كيف كان يفعل ذلك؟»

– «إليك مثالًا. في الصف الرابع، كان لدينا مزرعة ديدان صغيرة في فصلنا. خطرت لليام فكرة أن يفرغ المزرعة على الأرض ويسحق كل الديدان. كانت تلك فكرته عن التسلية. وأنا جاريته لأن... لا أدري. ظننتُ الأمر ممتعًا أيضًا، على ما أعتقد. على أية حال، كان هناك طفل آخر في الفصل يدعى مايكل. لم يكن أحد يحب مايكل لأنه كان مقرفًا وسمينًا ويعبث بأنفه. لكن ليام دعاه للمجيء معنا، وكان مايكل سعيدًا جدًا. لكنها كانت خدعة، أتعلم؟ لأن السبب الوحيد الذي دفع ليام لدعوته هو لكي يُلام مايكل عما فعلناه. وقد نجح الأمر. أخبر ليام المعلمة أن مايكل فعلها وحده، وصدقته. ومايكل لم يخبر عنا حتى، ربما لأنه كان يأمل أن نبقى أصدقاءه بعد ذلك. لكننا لم نفعل.»

– «هل شعرت بالسوء حيال ذلك؟»

– «لا. أعني، ليس في ذلك الوقت. لكن بالنظر للوراء، نعم، كان تصرفًا قذرًا تجاه مايكل. لكنها كانت فكرة ليام.»

– «في أي مرحلة توقفتَ عن صداقة ليام؟»

– «أمم، كان ذلك على الأرجح في الصف السادس.»

– «هل كان هناك سبب معين؟»

– «بالتأكيد. جاء ليام لمنزلي، وكان معه سنجاب صغير محبوس في علبة بلاستيكية. ثقب فيها بضع فتحات ليتنفس الحيوان. وأخبرني أنه يريد قطع الهواء عنه ومشاهدة السنجاب عبر الزجاج وهو يختنق.»

– «...»

– «نعم، بالضبط. أصبتُ بالذعر، وأخبرته أنني لا أريد فعل ذلك. حاول إقناعي، لكنني رفضت وأخبرته أنه غريب الأطوار. أخيرًا، غضب ورحل.»

– «هل أخبرت أحدًا بذلك؟»

– «أخبرتُ أمي لأنني أردت التأكد من عدم مجيئه مرة أخرى.»

– «ماذا قالت؟»

– «لم تبدُ متفاجئة جدًا. أخبرتني فقط أن أبتعد عنه.»

– «ذكرت سابقًا أنك مررت بتفاعل آخر مع ليام كان مزعجًا للغاية بالنسبة لك.»

– «أجل. كان ذلك العام الماضي.»

– «ماذا حدث؟»

– «حسنًا، أخت ليام —— هانا، تعرفونها —— إنها مزعجة للغاية. غضبت مني لسبب ما، وأظنها أخبرته بذلك. فشعر أنه يجب أن ينتقم لها أو شيئًا من هذا القبيل. رغم أنني لم أفعل شيئًا خاطئًا.»

– «ماذا فعل؟»

– «كان هناك قط ضال يتسكع بجوار منزلنا. كانت أختي تطعمه، لذا استمر في العودة. لم أهتم حقًا. لم أطعم القط أبدًا —— أعني، هذه ليست مسؤوليتي، إطعام قط ضال لعين. وأحيانًا كان يكون أمام الباب مباشرة، فكنت أضطر لركله بعيدًا عن الطريق. المهم. عدتُ من المدرسة يومًا ما ووجدت القط الغبي في سريري. هل تتخيل؟ ظننتُ أن إيما أدخلته. لكن حين حاولت طرده، لم يتحرك. وحين حاولت حمله لإبعاده و...»

– «نعم؟»

– «سقطت أحشاؤه.»

– «...»

– «تبًا، أشعر بالغثيان عند التفكير في الأمر. شخص ما شق بطنه، وحين حملته... بوم، أحشاء القط في كل مكان على سريري!»

– «لا بد أن ذلك كان مزعجًا للغاية.»

– «بالتأكيد، هذا صحيح. أوه، آسف. هل يُسمح لي بقول ذلك؟»

– «قول ماذا؟»

– «اللعنة (Damn). لأنها، كما تعلم، كلمة نابية.»

– «لا بأس. ماذا فعلت بعد ذلك؟»

– «أخبرتُ والديّ بالطبع. وأخبرتهما أنني أعتقد أن ليام فعلها. لكنهما سألا إن كان لدي أي دليل، ولم يكن لدي. لذا لم نفعل شيئًا. ظلت أمي تقول فقط ابتعد عنه وعن عائلته.»

– «وكان ذلك آخر تفاعل جاد لك مع ليام؟»

– «أجل. حسنًا، إذا لم تحتسب ركلي لمؤخرته في ذلك اليوم.»

– «تايلر، كيف تعرف أوليفيا ميرسر؟»

– «أوه، فقط من المدرسة. كانت في نفس سنتي الدراسية. وكانت صديقة لماديسون كونور، التي تواعد صديقي إيدان.»

– «هل علاقتك بها ودية؟»

– «لا أعلم. قليلًا.»

– «هل طلبت مواعدتها يومًا؟»

– «لا...»

– «بعض أصدقائك من فريق كرة القدم قالوا إنك طلبت مواعدتها. وأنها رفضتك.»

– «هذا ليس... هذا ليس ما حدث على الإطلاق. كان بعضنا ذاهبًا لتناول البرغر ودعوتها للمجيء. لا شيء مهم. وكانت مشغولة.»

– «هل أزعجك رؤيتها مع ليام؟»

– «بالتأكيد لا. إنها ليست بتلك الجاذبية حتى. يمكنها الخروج مع من تشاء. ليام... نصف فريق كرة القدم، لا يهمني.»

– «إذن لم تكن غيورًا؟»

– «ماذا... ظننت أننا نتحدث عن ليام. ليام هو المجنون.»

– «تايلر، كم مرة تم فصلك بسبب الشجار؟»

– «يا إلهي، مرتين فقط. هل هذا كثير؟»

– «أكثر من أي من أقرانك.»

– «نعم، ولكن... المرة الأولى لم تكن غلطتي. ذلك الفتى سرق حبيبتي. لا تفعل ذلك بأحد.»

– «لكنك أنت من سدد اللكمة الأولى.»

– «نعم. فعلت. ولكن...»

– «وأنت من لكم ليام في الردهة أولًا. أليس كذلك؟»

– «حسنًا. نعم. انظر، كنت غاضبًا من ليام لأنني ظننت أنه قتل أوليفيا. هذا هو السبب... أنا لست مجنونًا مثله. نعم، كنا صديقين. لكن بعد أن أدركت حقيقته، توقفنا عن الصداقة. أنا لست مثله. وبالتأكيد لم أفعل شيئًا لأوليفيا.»

الفصل السابع والثلاثون

إيريكا

أرسل لي جيسون رسالة نصية تفيد بأن الشرطة لا تزال تفتش المنزل، لذا أخذتُ الأولاد إلى ماكدونالدز لتناول الغداء. أردتُ تحذير ليام بشأن ما يحدث، لكنني لست متأكدة تمامًا كيف أخبره.

تذمرت هانا مطولًا بشأن قائمة الطعام في ماكدونالدز، وشكت من أن الأكل سيفسد حميتها. ثم مضت وطلبت شطيرة برغر مزدوجة مع اللحم المقدد وبطاطس مقلية كبيرة. قال ليام إنه ليس جائعًا، لكنه طلب على مضض «بيج ماك» وكوكاكولا. لم يكن لدي شهية تذكر أيضًا، لكنني اخترتُ شيئًا عشوائيًا من القائمة. علينا أن نأكل.

كانت هانا الوحيدة التي تمكنت من أكل أي شيء. راحت تحشر البطاطس المقلية في فمها بشرود، وبشكل شبه تلقائي. حدق ليام في شطيرته. بدا خده الأيمن أسوأ مما كان عليه في مكتب السيدة ماكميلان. لا أستطيع تخيل مدى سوء مظهره غدًا.

سألته:

– «هل تريد أن أحضر لك بعض الثلج لخدك؟»

– «لا.»

– «سيزداد التورم إن لم تضع عليه ثلجًا.»

– «لا أهتم.»

نظر لشطيرته باشمئزاز.

– «أمي، لست جائعًا. هل يمكنني الجلوس في السيارة؟»

بطريقة ما، شعرتُ أنه لا يجب أن أدع ليام يغيب عن ناظري الآن.

– «لا. سنبقى جميعًا هنا.»

– «لكن يا أمي...»

– «لست مضطرًا للأكل، لكن عليك البقاء هنا.»

– «حسنًا.»

تراخى ليام في مقعده وعبس. واو، يتصرف كمراهق حقيقي الآن. لطالما كانت هانا الخبيرة في التذمر حين نملي عليها ما تفعله، لكن ليام كان يتقبل كل شيء دون جدال دائمًا.

أضفتُ:

– «أيضًا، هناك شيء يجب أن تعرفه.»

رفع ليام عينيه.

– «الشرطة في منزلنا الآن. يفتشون المنزل وسيارتي.»

وضعت هانا شطيرتها، وعيناها تلمعان:

– «ماذا؟ ألا يحتاجون لمذكرة أو شيء من هذا القبيل لفعل ذلك؟»

أومأتُ:

– «بلى. وقد جاؤوا بواحدة.»

نظرتُ لليام مرة أخرى.

— «يريدون هاتفك أيضًا. وليكن في علمك، سيتمكنون من قراءة أي شيء حذفته.»

صمت للحظة، يعبث بغلاف شطيرته.

— «حسنًا.»

— «ما مدى سوء ذلك يا ليام؟»

قبل أن ينبس ليام بكلمة، تحدثت هانا:

— «ليام لم يفعل شيئًا. لذا لن يجدوا شيئًا يدينه.»

لست واثقة تمامًا من ذلك. لكن ليام لم يفضح أي شيء بتعابير وجهه. يراودني شعور بأن ولديّ كانا يناقشان هذا الأمر معًا. أتساءل أحيانًا عن نوع الأشياء التي يقولها ليام لهانا. بوضوح، هو يثق بها بطريقة لا يثق بها بي أو بجيسون. أتمنى لو كنت ذبابة على الحائط لأسمع.

قلتُ:

— «سنذهب لرؤية المحامي الذي وكله والدكما بعد الظهر. سيخبرنا بما يُحتمل حدوثه تاليًا.»

أجبرتُ نفسي على قضم سلطتي. ليس لدي أي شهية، لكنني بحاجة للأكل لأتمكن من اجتياز ما سيحدث تاليًا.

الفصل الثامن والثلاثون

أوليفيا

قمتُ بجرد محتويات الكيس.

ترك لي زجاجتي ماء بلاستيكيتين، وأربع شرائح خبز، وتفاحتين، ولوح جرانولا. إذا عاد خلال يوم، سأكون بخير. لكنه أدلى بتعليق حول عدم تأكده متى سيتمكن من العودة هنا. إذن كم من الوقت يجب أن يكفيني هذا الطعام؟ يومين؟ ثلاثة؟ أسبوعًا؟

كان بإمكانه إحضار المزيد من الطعام. لقد فعل هذا عمدًا. ربما ليتأكد من أنني ضعيفة بما يكفي لئلا أستطيع مقاومته أو الهرب. وكأن الغرق في الظلام أربعًا وعشرين ساعة يوميًا ليس سيئًا بما يكفي.

قسّمتُ زوايا مساحتي الصغيرة حسب أغراضها المختلفة. زاوية لفيبي. يمكنكم الرهان أنني لن ألمسها. وزاوية ثانية لقضاء حاجتي. تمكنتُ من التحمل لعدة ساعات، لكن لا يمكنك إيقاف الوظائف الجسدية. بالطبع، هذا لا يجعل رائحة هذه الحفرة الرطبة أفضل. زاوية ثالثة للطعام. والزاوية الرابعة للجلوس أو النوم. تمكنتُ بأعجوبة من النوم الليلة الماضية، رغم أنه كان نومًا متقطعًا تتخلله الكوابيس.

استيقظتُ وأنا أبكي. كل ما أستطيع التفكير فيه هو منزلي. كم أرغب في العودة هناك. كم أريد أمي.

عليّ إيجاد طريقة للخروج من هنا.

في هذه الأثناء، قسّمتُ الطعام لحصص. أسمح لنفسي بشريحة خبز واحدة إجمالًا في اليوم، ونصف تفاحة، ونصف زجاجة ماء. أكلتُ لوح الجرانولا بالفعل — لم أستطع منع نفسي. لكن البقية يجب أن تكفيني لعدة أيام. لن تكون كافية بأي حال، لكنها ستكون كافية للبقاء على قيد الحياة. حتى أتمكن من الخروج من هنا.

كنتُ أضع خطة.

إذا كان قد حفر هذه الحفرة، فقد فعل ذلك حين كانت التربة أكثر دفئًا وطراوة. ويفترض أنه استخدم مجرفة. لكن يمكنني إحداث أثر في التربة بأصابعي. إذا كشطتها بقوة كافية، تتفتت. خطتي هي حفر ما يكفي لتكوين كومة أقف عليها لأصل للباب الأرضي فوقي. وبمجرد الوصول إليه، ربما أجد طريقة لكسر القفل.

لن يدعني أذهب أبدًا. رأيت النظرة في عينيه الليلة الماضية. إنه مجنون. يريد إبقائي هنا، لأي سبب كان. لذا هذا يعني أنني إن أردتُ الخروج، عليّ فعل ذلك بنفسي. لا أستطيع الاعتماد على الشرطة لإنقاذي.

سأخرج من هنا. حتى لو كان آخر شيء أفعله.

الفصل التاسع والثلاثون

إيريكا

أرسل جيسون رسالة نصية تفيد بأن الشرطة أوشكت على الانتهاء، لكنهم ما زالوا بحاجة لهاتف ليام، لذا سقتُ الأولاد عائدة للمنزل. بدا كلاهما مذعورًا من عدد سيارات الشرطة حول منزلنا. لا أستطيع حتى تخيل ما يفكر فيه الجيران. لكن إذا كانوا يقرؤون الصحف المحلية، فيمكنهم على الأرجح التخمين.

كانت المحققة ريفيرا تتحدث مع جيسون حين فتحت الباب. نظرت إلى وجه ليام المتورم واتسعت عيناها:

– «ماذا حدث؟»

قلتُ:

– «مجرد شجار بسيط في المدرسة.»

أكره أنها مضطرة لرؤيته هكذا. ليام لم يتورط في شجار بالأيدي في حياته من قبل. ليس فتى عنيفًا. على الأقل، ليس بطريقة تايلر.

قالت ريفيرا:

– «ليام، سأحتاج لهاتفك.»

مد ليام يده في جيبه وسلمه لها دون جدال.

— «وغني عن القول، لا تغادر المدينة دون إعلامنا. سنتواصل معكم بشأن أي شيء نجده.»

بهذه الكلمات، انصرفت، تاركة عائلتي وحيدة مرة أخرى. تفحصتُ غرفة المعيشة، التي لم يبدُ أن الكثير قد تغير فيها. أتساءل ماذا كانوا يفعلون هنا طوال هذا الوقت.

قال جيسون وكأنه يقرأ أفكاري:

— «كانوا في غرفة ليام معظم الوقت. والسيارة. أمضوا دهرًا يفتشون سيارتك.»

سألتُ:

— «هل سنذهب لرؤية المحامي؟»

أومأ برأسه:

— «أجل، حجز لنا موعدًا بعد ساعة من الآن.»

نظر لليام من الأعلى للأسفل، لقميصه الممزق ووجهه المتورم.

— «من الأفضل أن تغير ملابسك.»

أومأ ليام وصعد للأعلى. صعدت هانا لغرفتها أيضًا، تاركة إياي وجيسون وحدنا في غرفة المعيشة. نظر جيسون للدرج وخفض صوته.

همس قائلًا:

— «المحامي لديه مصدر داخل قسم الشرطة. قال إنهم قريبون من إجراء اعتقال. يأملون العثور على شيء هنا اليوم يجعل القضية مضمونة.»

دفعتُ شعورًا بالغثيان في معدتي. لا أصدق أن هذا يحدث. لا أصدق أن هناك احتمالًا كبيرًا بأن يتم اعتقال ليام.

أضاف جيسون:

— «لكنهم لن يجدوا.»

تمنيتُ لو كنت أؤمن ببراءة ليام كما يفعل جيسون.

محامينا يدعى جون لاندون. يبدو طويل القامة ومتمكنًا، بشعر رمادي كثيف، وبذلة تبدو باهظة الثمن. لم أسأل جيسون حتى كم سيكلفنا هذا الرجل. لا أريد أن أعرف. لكنني أعرف ما يتقاضاه المحامون، وإذا كان هذا الرجل بارعًا، فعلى الأرجح سيكلفنا ثروة.

جلس ليام بيننا أمام مكتب لاندون المصنوع من خشب الماهوجني. وليس مفاجئًا أن وجنته تبدو أسوأ مما كانت عليه في وقت سابق من اليوم. ستكون كدمة سوداء بشعة. وستكون الأولى له. لم يحتج لقطب جراحية ولم يكسر عظمًا من قبل.

سأله لاندون:

— «ماذا حدث لعينك؟»

قال ليام:

— «اصطدمتُ بقبضة أحد الأولاد.»

قلب جيسون عينيه:

— «بعض الأولاد يضايقونه في المدرسة. يظنون أنه مذنب.»

سأل لاندون:

— «من يظن ذلك؟»

خفض ليام عينيه:

— «الجميع.»

أومأ لاندون، غير متفاجئ:

— «أخشى أن الأمر سيزداد سوءًا قبل أن يتحسن. تحدثتُ للتو مع مصدري في قسم الشرطة، ويبدو أنهم وجدوا شيئًا أثناء تفتيشهم.»

وقفت كل شعيرات ذراعي انتباهًا:

— «ماذا وجدوا؟»

بسط لاندون ذراعيه:

— «لا أعرف بعد. لكنه شيء كبير، على ما يبدو. قالوا إن علينا توقع اعتقال خلال الأربع وعشرين ساعة القادمة.»

شحب وجه ليام:

— «تعني أنهم سيأخذونني للسجن؟»

لطالما فكرت في ليام كطفل يستطيع التعامل مع أي شيء. في الغالب، كل شيء يبدو وكأنه ينزلق عنه بلا أثر. حتى حين طُرد من الروضة قبل كل تلك السنوات، لم يبدُ منزعجًا جدًا. لكن في هذه اللحظة، يبدو مرعوبًا تمامًا. لا ألومه. كنتُ سأرتب مثله لو كنت مكانه. أنا مرعوبة لأجله.

قال لاندون:

— «أخشى ذلك. لكنني آمل، بناءً على عمرك وعدم وجود سوابق، أن تتمكن من الخروج بكفالة. إنهم يأملون في تضخيم شكوى من رجل يدعى ريتشارد يونغ — معلم سابق لليام.»

بدا ليام وكأنه سيتقيأ. بالطبع، كلنا نتذكر ريتشارد يونغ. كانت تلك المرة الأولى التي تظهر فيها الشرطة عند بابنا، وظننت أن هناك فرصة معقولة لأن ينتهي الأمر بليام في السجن. لكن لم ينتج عن ذلك شيء. ما ادعى يونغ أن ليام فعله كان مروعًا يفوق الوصف، لكن الرجل لم يملك دليلًا.

أما أنا، فلم أكن متأكدة أبدًا.

سأل جيسون:

— «هل تعرف ما اتهمه السيد يونغ بفعله؟»

— «نعم. أعرف.»

— «إذن تدرك أن الأمر ضُخّم تمامًا بلا داعٍ.»

طوى جيسون ذراعيه على صدره.

— «ذلك الرجل كان مصابًا بجنون الارتياب حقًا. أعني، ليام كان في الثالثة عشرة فقط حينها. هل تتخيل؟ مستحيل أن يكون قد...»

نظر لاندون لليام لعدة ثوانٍ. كنا قد جعلناه يرتدي قميصًا رسميًا وبنطالًا أنيقًا قبل الزيارة، وباستثناء الكدمة على وجهه، بدا كعادته وسيمًا ومهندمًا.

— «لا، أنا أتفق. يبدو الأمر مستبعدًا.»

زفرتُ بارتياح.

شبك لاندون يديه أمامه وركز نظره على ابني:

— «ليام، سأسألك هذا مرة واحدة فقط. هل تعرف ماذا حدث لأوليفيا ميرسر؟»

نظر ليام إليّ ثم إلى جيسون:

— «لا.»

رفع لاندون حاجبًا:

— «يجب أن تعلم أن أي شيء تقوله لي يبقى في هذه الغرفة. معرفة الحقيقة الكاملة ستساعدني في الدفاع عنك. أنا لا أحب المفاجآت.»

أصر قائلًا:

— «لا أعرف ماذا حدث لها.»

راقبتُ ابني يعلن براءته. ومع خروج الكلمات من فمه، انتابني شعور قوي بأنه يكذب. ولكن مرة أخرى، هو يكذب دائمًا. لا شيء يقوله بعد الآن له أي أساس من الواقع. يجعلني ذلك أرغب في الإمساك بكتفيه وهزه.

فكر لاندون في كلماته. أتساءل إن كان يفكر في نفس ما أفكر فيه.

— «سيد وسيدة كاس، هل لي أن أتحدث مع ليام على انفراد؟»

عبس جيسون:

— «لماذا؟»

— «لأن ليام هو موكلي. أنتما لستما كذلك. وامتياز السرية بين المحامي والموكل لا ينطبق عليكما. إذا تم توجيه تهم إليه، فسيحاكمونه كشخص بالغ على الأرجح. لذا أعتقد أنه يجب أن نعامله كبالغ.»

سألته بلطف:

— «هل هذا مقبول لديك يا ليام؟»

وضعت يدي على كتفه، رغم علمي بأنه لا يحب أن يُلمس. ليس وكأنه يشتكي حين أظهر عاطفتي، لكنه لم يأتِ إليّ أبدًا طلبًا للعناق كما كانت هانا تفعل. لم يكن يهتم وحسب. لم يحتج للعاطفة الجسدية كباقي الأطفال.

قال ليام:

— «لا بأس.»

رغم أن الأمر يكاد يقتلني، تركنا ليام في الغرفة مع لاندون. جيسون كان مستاءً مثلي تمامًا. وبينما كنا نجلس في غرفة الانتظار، ظل يختلس النظر لباب المكتب المغلق.

– «ماذا تظنين أنهم يتحدثون بشأنه في الداخل؟»

– «لا أعرف.»

نظرت حولي في غرفة انتظار لاندون الصغيرة ـــ إلى موظفة الاستقبال الشقراء الجذابة والأشخاص القلائل الجالسين قبالتنا. لاندون محامٍ جنائي، لذا يفترض أن كل من هنا متهم بارتكاب جريمة ما. المرأة الجالسة أمامي في مثل عمري تقريبًا، بنظارات تشبه نظارات المدرسات وشعر مجموع في كعكة. راقبتها وهي تقلب صفحات نسخة من مجلة «جود هاوسكيبينج».

أي جريمة يمكن أن تكون هذه المرأة قد ارتكبتها؟ تبدو كشخص قد أصادفه في اجتماع لمجلس الآباء.

ولكن مرة أخرى، إذا كان هناك شيء واحد تعلمته في السنوات الست عشرة الماضية، فهو أن المظاهر خداعة.

هز جيسون قدمه اليمنى بتوتر على السجاد، ونظر مرة أخرى لباب مكتب لاندون المغلق.

تمتم قائلًا:

– «لا أصدق أنهم يثيرون تلك القذارة المتعلقة بمعلم الإنجليزية. إذا كان هذا كل ما لديهم، فهم يتشبثون بقشة.»

– «كان ذلك سيئًا حقًا يا جيسون. ليام محظوظ جدًا لعدم توجيه تهم إليه.»

– «تهم؟ هو لم يفعل شيئًا!»

لم أعرف ماذا أقول. ربما كان عليّ الموافقة، لكنني لم أستطع إجبار نفسي على قول الكلمات.

قطب جيسون جبينه:

– «إذا كان قد فعل ذلك حقًا... إيريكا، ابننا ليس وحشًا.»

أستطيع أن أرى في عيني زوجي أنه يعني ذلك. أتساءل ما الذي وجدوه في منزلنا وكان مهمًا لتلك الدرجة، وهل سيكون كافيًا لتغيير رأي جيسون.

الفصل الأربعون

نص مقابلة الشرطة مع ريتشارد يونغ:

– «تقول إنك كنت معلم اللغة الإنجليزية لليام كاس؟»

– «هذا صحيح.»

– «ومتى كان ذلك؟»

– «منذ حوالي ثلاث سنوات. كان في الصف الثامن.»

– «وماذا كان رأيك فيه؟»

– «بصراحة؟»

– «بالطبع.»

– «كرهته. أشعر بشعور فظيع لقولي هذا، لأنه أي نوع من المعلمين يكره أحد طلابه؟ لكن كان هناك شيء في ليام جعلني أكرهه فورًا. وعليّ القول، كنت وحيدًا في رأيي. كل المعلمين أحبوه بإجماع. طلاب الإعدادية ليسوا سهلين، لكن ليام بدا كفتى صالح —— النوع الذي يتمناه المعلمون في فصولهم. كان بوضوح ذكيًا جدًا، مهذبًا في الفصل، ويسلم واجباته دائمًا في الوقت المحدد.»

– «لكنك لم تحبه؟»

– «لقد أثار استيائي وحسب —— لا أستطيع حتى تحديد السبب. كان هناك شيء زائف جدًا بشأنه. وأيضًا...»

– «نعم؟»

– «لدي ابنة. في مثل عمر ليام، وكان لديها بعض الحصص معه. وفي بضع مرات، رأيتهما يتحدثان في الردهة وكان ذلك يثير جنوني. أخبرتني زوجتي أنني أبالغ، لكن بالنظر للظروف الحالية، يبدو أن ردة فعلي كانت في محلها تمامًا.»

– «إذن هل فعلت شيئًا؟»

– «...»

– «سيد يونغ؟»

– «لست فخورًا بهذا...»

– «من المهم أن تكون صادقًا الآن. حياة فتاة قد تكون على المحك.»

– «حسنًا. أخذت ليام جانبًا بعد الحصة ذات يوم وأخبرته أن يبتعد تمامًا عن ابنتي.»

– «وهل فعل؟»

– «لا. لم يفعل. في الواقع، بدأ يظهر اهتمامًا أكبر بها بعد أن قلت له ذلك. تحديدًا حين عرف أنني أنتبه. وكأنه كان يستفزني.»

– «حسنًا، هذه ليست استجابة غير معتادة من مراهق تجاه السلطة.»

– «لست فخورًا أيضًا بالقول إنني صببت إحباطي على درجاته. اللغة الإنجليزية مادة ذاتية التقييم جدًا، وبدأت أصحح مقالاته بقسوة شديدة. تراجع مستواه من "امتياز" (A) إلى "جيد" (C).»

– «هل فعل شيئًا حيال ذلك؟»

– «اشتكى. لكنني رفضت تغيير درجاته. أخبرت ليلي أيضًا، ابنتي، أنني سأعاقبها بالمنع من الخروج إذا تحدثت معه مرة أخرى.»

— «وكيف سار ذلك؟»

— «مبدئيًا، ظننت أن الأمر نجح. توقفت ليلي عن التحدث مع ليام، وهو تقبل الدرجات السيئة بصمت. ظننت أن الأمر انتهى.»

— «لكنه لم ينتهِ؟»

— «بوضوح، لا أستطيع إثبات أن ليام فعل أي شيء لي.»

— «ماذا تعتقد أنه فعل؟»

— «كانت ليلة سبت حوالي الساعة الثانية صباحًا. كنت أنا وزوجتي غارقين في النوم حتى جاءت كلبتنا إلى سريرنا. تقيأت في كل مكان على السرير وأيقظتنا. لكن بمجرد استيقاظي، وجدت صعوبة بالغة في التفكير بوضوح، ولاحظت أنا وزوجتي أن لدينا صداعًا نصفيًا مبرحًا. اتصلت بالطوارئ وذهبت لغرفة ليلي للاطمئنان عليها. لم أستطع إيقاظها على الإطلاق. ثم فقدتُ الوعي في غرفتها.»

— «ماذا حدث؟»

— «تسمم بأول أكسيد الكربون.»

— «لكنكم تعافيتم؟»

— «نعم. الحمد لله على كلبتي. قضينا عدة أيام في المستشفى، لكننا كنا بخير. لكن لو لم توقظنا "ديزي"، لكنا في عداد الموتى بحلول الصباح. ثلاثتنا.»

— «هل اكتشفوا كيف حدث ذلك؟»

— «كان هناك كسر في المدفأة (الرادياتير). يفترض أن هذا النوع من الأشياء قد يحدث، لكن منزلنا جديد نسبيًا. كان الأمر مريبًا، على أقل تقدير.»

— «ألم يكن لديكم كاشف لأول أكسيد الكربون؟»

— «نعم. هذا هو الشيء الآخر. كاشفنا كان مفصولًا.»

– «هذا مريب قليلًا.»

– «بالضبط.»

– «هل اشتبهت بليام كاس؟»

– «لا. ليس في البداية. أعني، لم أكن أحب الفتى، لكنه كان في الثالثة عشرة فقط. لم أظن حتى أنه يعرف ما هو أول أكسيد الكربون.»

– «إذن ما الذي جعلك تشتبه به؟»

– «أخبرني أحد جيراني والشرطة أنهم رأوا فتى يتسكع خلسة حول منزلي قبل وقت قصير من الحادثة. عثرت على صورة لليام من سجلاته المدرسية، وأكدوا أنه هو.»

– «هل حققت الشرطة أكثر في الأمر؟»

– «استجوبوا ليام، لكن اتضح أن لديه صديقًا يعيش في حيي، فكان ذلك عذره للتواجد هناك. لم يكن هناك دليل آخر على أنه فعل شيئًا. إذا كان قد دخل منزلي أبدًا، فلم يترك أي أثر.»

– «لكنك تعتقد أنه هو؟»

– «أنا متأكد تمامًا.»

– «إذن أفلت بفعلته؟»

– «بالتأكيد فعل.»

– «هل فعلت أي شيء آخر؟»

– «سأخبرك أيها المحقق، هناك شيء واحد فعلته.»

– «ما هو؟»

– «منحت الفتى "امتياز" (A) في اللغة الإنجليزية. بعض الأشياء لا تستحق الموت لأجلها.»

الفصل الحادي والأربعون

إيريكا

بالكاد نطق ليام بكلمة طوال طريق العودة إلى المنزل. قمتُ بعدة محاولات لجعله يتحدث، لكنه اكتفى بإجابات مقتضبة. أردتُ أن أعرف ما قاله لاندون له حين اختليا ببعضهما. أو الأهم من ذلك، ما قاله هو للاندون. هل أخبر المحامي بالحقيقة؟

كان من المريح أن نجد هانا في غرفتها حيث تركناها عند وصولنا. بعد الطريقة التي اختفت بها أوليفيا ميرسر، كدتُ أخشى أن تكون هانا قد اختفت أيضًا. بالطبع، لم يكن هناك داعٍ للخوف؛ فالوحش كان معنا في السيارة.

بمجرد دخولي غرفة النوم، شرعتُ أنبش في خزانة الأدوية بحثًا عن دواء «زاناكس». إن كان هناك وقت احتجتُ فيه إليه، فهو الآن. هذا فوق طاقتي. ابني يُعتقل؟ لا تجد ذلك في الكثير من كتب التربية.

تبًا، أين الزاناكس؟

ليس في خزانة الأدوية. عبثتُ بزجاجات «تايلينول»، و«موترين»، و«بينادريل»، وكريم المضاد الحيوي الثلاثي، وكريم مضاد للفطريات، وغسول الوجه، وغسول اليدين، ومضادات حيوية منتهية الصلاحية — يا إلهي، لمَ لدينا كل هذا الهراء في خزانة الأدوية؟ لكن لا أثر للزاناكس.

ثم تذكرت. لقد حشرتُ الزجاجة في درج المنضدة الجانبية آخر مرة تناولتها فيها. أردتها بجوار سريري ليسهل الوصول إليها في المرة القادمة التي أستيقظ فيها غارقة في عرق بارد.

توجهتُ مباشرة للمنضدة وفتحت الدرج. تدحرجت زجاجة الحبوب للأمام، وشعرتُ بوخزة ارتياح. التقطت الزجاجة، انتزعتُ غطاءها بقوة، ووضعت حبة في فمي. ابتلعتها جافة.

لفت نظري شيء آخر داخل درج المنضدة. في البداية، ظننتها صورة لليام. لكنني أدركتُ بعدها أنها صورة والدي. تلك التي أحتفظ بها دائمًا في منضدتي، كي لا أنساه أبدًا.

بالطبع، وضعتها هناك قبل أن أدرك حقيقته. وماذا فعل.

سحبتُ الصورة لألقي نظرة أفضل عليها. يبدو والدي في أواخر العشرينيات، أكبر من ليام بحوالي عشر سنوات، لكن يا إلهي، الشبه بينهما مذهل. النظر للصورة يشبه النظر في آلة زمن تُظهر ابني في المستقبل. نفس الشعر، نفس العينين، نفس الابتسامة المائلة، نفس البنية. أمرٌ يبعث على الرهبة.

لا يسعني إلا تخيل ما ورثه ليام أيضًا من هذا الرجل.

لا أتذكر الكثير عن والدي. لدي ذكرى غامضة عن إمساكي بيده الكبيرة وهو يمشي معي في الشارع. أتذكر أيضًا حين كان هناك فأر في منزلنا ونصب والدي فخًا للإمساك به. أراني الفخ، وذيل الفأر محتجز بالقضيب المعدني، بينما الحيوان الضئيل يصرخ فزعًا وألمًا. ضحك والدي حين انكمشتُ رعبًا خلف ساقي والدتي. إنها واحدة من أوائل ذكرياتي.

لطالما نظرتُ لتلك الذكرى كمثال على رعاية والدي لأسرتنا وتخليصنا من مشكلة القوارض. لكنني أتساءل الآن إن كان هناك ما هو أكثر من ذلك. هل استمتع بتعذيب ذلك الفأر الصغير بنفس الطريقة التي استمتع بها ليام بتجويع الهامستر حتى الموت؟

في الماضي، حين كنت أنظر لهذه الصورة، كنتُ أشعر بدفق من العاطفة تجاه هذا الرجل الذي لم يتسنَّ له رؤية ابنته تكبر. لكن الآن، أشعر بشيء مختلف تمامًا. حاولتُ أنا وجيسون فعل كل شيء بشكل صحيح كوالدين، لكننا لم نستطع تغيير ابننا. كان هناك شيء خاطئ فيه فطريًا. شيء في جيناته.

ليام، في نهاية المطاف، هو حفيد قاتل.

التقطتُ هاتفي وطلبتُ رقم والدتي. أجابت بعد الرنة الثانية.

قالت:

– «أوه، إيريكا، الحمد لله. خشيتُ ألا تتحدثي معي مرة أخرى أبدًا.»

ليس لديها أدنى فكرة عما مررنا به مع ليام في الأربع والعشرين ساعة الماضية. أي استياء ربما شعرتُ به تجاه إخفائها السر عني تراجع أمام كل شيء آخر.

قلتُ:

– «لقد فعلتِ ما شعرتِ أنه صواب. لا يمكنني الغضب منكِ لأجل ذلك.»

– «فعلتُ ذلك لحمايتكِ فقط. لأنني أحبكِ.»

كانت تحميني لأنها تحبني. بنفس الطريقة التي أريد بها حماية ليام، حتى لو لم يكن يستحق ذلك. حتى لو لم يكن يحبني. حتى لو كان غير قادر على الحب.

– «أمي، هل يمكنني أن أسألكِ سؤالًا؟»

– «بالطبع يا عزيزتي. ما هو؟»

– «كيف كان والدي؟»

– «ماذا... ماذا تعنين؟»

— «شخصيته. كيف كانت طباعه؟»

ترددت قليلًا:

— «أوه. حسنًا، كان... ساحرًا للغاية. كما يمكنكِ التخيل. كل النساء أحببنه. أعتقد أن ليام يشبهه في الشكل. ألا تظنين ذلك؟»

أعتقد أنه يشبهه في أكثر من الشكل. هذا ما أخشاه، على أية حال.

— «هل تصفينه بأنه كان... متلاعبًا؟»

بدا ضحك والدتي أجوفًا:

— «لقد تلاعب بي لأتزوجه، هذا مؤكد. كان ذلك... حسنًا، لا أريد القول إنه كان خطأً لأنني رُزقتُ بكِ. لكنه لم يكن زوجًا جيدًا، حتى قبل ما حدث.»

— «لماذا؟»

— «كان أنانيًا جدًا ومنغمسًا في ذاته. لم يكن مستعدًا حقًا للاستقرار. لم يكن من نوع الرجال الذين يرغبون في البقاء بالمنزل ليلة السبت ومشاهدة التلفاز. أراد دائمًا الخروج والقيام بشيء ما. وحين رُزقنا بطفلة، زاد ذلك الأمر سوءًا.»

أخذتُ نفسًا عميقًا:

— «هل كان قاسيًا معكِ؟»

صمتت للحظة:

— «نعم، كان يمكنه بالتأكيد أن يكون كذلك. قاسيًا جدًا.»

تنهدت.

— «لم يكن شخصًا جيدًا يا إيريكا. ربما كان خروجه من حياتنا أفضل شيء حدث لنا على الإطلاق. لم يكن ليكون أبًا جيدًا.»

نظرتُ للأسفل إلى الصورة في يدي. أجابت أمي عن بعض أسئلتي، لكن لدي المزيد. يراودني شعور بأن الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها فهم ابني هي فهم والدي.

وهناك طريقة واحدة فقط لفعل ذلك.

– «شكرًا يا أمي. عليّ الذهاب الآن.»

– «هل أنتِ بخير يا إيريكا؟ صوتكِ يبدو غريبًا.»

– «أنا بخير.»

– «هل وجدوا تلك الفتاة المفقودة بعد؟ يا لها من مأساة.»

قلتُ بصوت مخنوق:

– «عليّ الذهاب يا أمي.»

أنهيتُ المكالمة قبل أن تسأل أمي مجددًا إن كنت بخير. أنا لست بخير. ولا أدري إن كانت الأمور ستصبح بخير مرة أخرى.

حدقتُ في هاتفي للحظة. أشعر بهدوء طفيف. لا بد أنه مفعول الزاناكس.

راجعتُ قائمة مكالماتي في الأيام القليلة الماضية. اخترتُ رقم فرانك مارينو من القائمة قبل أن أجبن وأتراجع. لدي مهمة جديدة لفرانك.

بعد خمس رنات، وحين كنت على وشك الاستسلام، أجاب فرانك الهاتف:

– «إيريكا! ما الذي يحدث؟ بلدتك الصغيرة تملأ الأخبار.»

ابتلعتُ ريقي بصعوبة:

– «أجل.»

لم يذكر فرانك اسم ليام، مما يعني أن اسمه ليس في الأخبار. بالطبع، بما أنه قاصر، لا يمكن لوسائل الإعلام ذكر اسمه. لكن لدي شعور بأنه إذا تم

اعتقاله، فسينكشف الأمر بطريقة ما. لا يمكن للإعلام ذكر اسم ليام، لكن يمكن لاسم "ليام" أن يتصدر تويتر أو يُشارك على فيسبوك. أو أيًا كان ما يفعله الناس على إنستغرام.

– «فرانك، أحتاج منك أن تعثر لي على شخص ما.»

– «أعثر على شخص؟»

– «نعم، أريد أن أعرف أين يعيش. عنوانه.»

أخذتُ نفسًا عميقًا.

– «اسمه مارفين هوليك.»

– «حسنًا...»

– «للعلم فقط،» قلتُ: «إنه والدي.»

الفصل الثاني والأربعون

أوليفيا

لا أعتقد أنه سيعود الليلة.

جزء مني خائف من احتمالية ألا يعود أبدًا. ليس لأنني أريد رؤيته — فمجرد التفكير في رؤيته يشعرني بغثيان جسدي — لكن لم يتبقَ لدي سوى ثلاث شرائح من الخبز، وتفاحة واحدة، وزجاجة مياه واحدة. أبذل قصارى جهدي للامتناع عن الأكل أو الشرب، لكن حلقي جاف ومؤلم. كل ما أريده هو تجرع الزجاجة بأكملها، لكنني أعلم أن ذلك سيكون غباءً.

ماذا لو لم يعد ليومين أو ثلاثة أيام أخرى؟ ماذا سيحدث حينها؟

إذا لم يعد قريبًا، سأموت.

لا يمكنني السماح بحدوث ذلك.

أحرزتُ بعض التقدم مع الكومة التي أبنيها. من الصعب تحديد الحجم الذي أحتاجه، لأنني لا أستطيع رؤية مكان الباب الأرضي باستثناء ذلك الخيط الضوئي الباهت الذي يختفي تمامًا في الليل. من الصعب جدًا تقدير ارتفاعه. كما أنني أقوم بذلك وأنا عمياء تمامًا. الحفرة حالكة السواد — لا فرق إن كانت عيناي مفتوحتين أو مغلقتين.

وأنا ضعيفة جدًا. كل ما أريد فعله هو الاستلقاء على الأرض والنوم. سيكون ذلك سهلًا. أن أدع الجوع والعطش يأخذان مجراهما.

كلما راودتني تلك الفكرة، أفكر في والديّ. أصدقائي. غرفتي.

لكن لا يجب أن أفكر فيهم كثيرًا، وإلا سأبدأ بالبكاء.

كنتُ أقوم بكل الحفر بأصابعي، والآن أصبحت مؤلمة ومتقرحة. لا أستطيع رؤية شكلها، لغياب الضوء، لكنني أتخيل أنها حمراء للغاية. أتخيل نقاط دم صغيرة تنز منها.

ربتُّ على الكومة بكفيّ. ليست كبيرة بما يكفي —— أستطيع تمييز ذلك. تحتاج لأن تكون أعلى ببضع بوصات على الأقل. كشطتُ الأرض بأصابعي وجفلتُ ألمًا. يا إلهي، أصابعي تؤلمني. لا أعرف أيهما أسوأ —— أصابعي أم كاحلي.

لو كان لدي أداة فقط لتساعدني في الحفر.

لدي زجاجة الماء الفارغة. هذا أفضل من لا شيء، لكن من الصعب الإمساك بها للحفر. وعدا عن ذلك، الشيء الوحيد هنا الذي يشبه الأداة هو...

أوه لا، لن أفعل ذلك.

نعم، إحدى تلك العظام الملقاة في الزاوية ستكون مثالية للحفر. ليست بجودة المجرفة، لكنها أفضل بكثير من زجاجة ماء، وأفضل بسنين ضوئية من أصابعي المسكينة. لكن لا يمكنني فعل ذلك.

أليس كذلك؟

مددتُ يدي إلى زاوية فيبي حتى لمست أصابعي السطح الأملس لإحدى عظامها. سرت قشعريرة في جسدي. ملتُ للأمام قليلًا حتى أطبقت أصابعي حول العظم.

ستكون مثالية جدًا.

لكنني لا أستطيع. يكفي أنني عالقة هنا. يكفي أنني أتضور جوعًا حتى الموت. لكنني لن أفعل ذلك.

بالطبع، قد تكون هذه هي الطريقة الوحيدة للخروج من هنا. الطريقة الوحيدة لرؤية عائلتي مرة أخرى.

التقطتُ العظم، متحسسة وزنه في يدي.

ليس لدي خيار.

سأخرج من هنا من أجل كلتينا يا فيبي.

سأدع عائلتكِ تعرف أنكِ هنا بالأسفل. سأمنحهم السكينة. وأمنحكِ دفنًا حقيقيًا.

وسأحرص على أن يذهب ذلك الوغد إلى السجن لبقية حياته.

الفصل الثالث والأربعون

إيريكا

في الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي، سمعتُ صوت تحطمٍ قادمٍ من المطبخ.

كنتُ في غرفة المعيشة، أحاول جاهدةً التركيز على كتابة مقالٍ للعدد القادم من صحيفة «ناساو نتشيل»، حين سرق صوت الزجاج المكسور ما تبقى لي من تركيز ضئيل. أزحتُ الحاسوب المحمول عن ساقي ونهضتُ لاستطلاع الأمر.

كانت هناك صخرة ملقاة على الأرض في وسط مطبخنا. النافذة التي تعلو الحوض مهشمة، والزجاج يغطي كل مكان. خطوتُ خطوةً فشعرتُ بشظية تخترق قدمي. جفلتُ من الألم وانحنيتُ لالتقاط الصخرة. كانت هناك ورقة ملصقة عليها، كُتبت عليها كلمة واحدة بقلم تخطيط أحمر عريض:

قـاتـل

لقد بدأ الأمر.

سأل جيسون وهو يقف عند مدخل المطبخ، لا يزال بسرواله القصير وقميصه القطني:

— «ماذا كان ذلك الصوت يا إيريكا؟»

أصرّ على البقاء في المنزل اليوم أيضًا، وأنا ممتنة لذلك بشدة. إذا اعتُقل ليام اليوم، لا أريد أن أكون وحيدة هنا. بالطبع، لو ظهرت الشرطة، أشعر أن جيسون قد لا يرغب في أن يكون بملابسه الداخلية. لكنني لا أريد التضييق عليه؛ فملابس جيسون الداخلية هي آخر همومي الآن.

رفعتُ الصخرة ليرى:

– «أحدهم كان لديه رسالة لنا.»

همس قائلًا:

– «تبًا. هل يجب أن نتصل بالشرطة؟»

– «ما الفائدة؟»

الحقيقة هي أن ليام ربما يستحق ذلك. وآخر ما أريده هو دعوة الشرطة إلى منزلنا.

– «فقط انتبه لخطواتك حتى أنظف المكان. الزجاج في كل مكان.»

نظر جيسون إلى ساعته:

– «الوقت تأخر. لم تأتِ الشرطة بعد. ربما لن يعتقلوه في نهاية المطاف.»

سخرتُ بمرارة:

– «أنت تمزح.»

– «اسمعي، أعلم أنهم يظنون أنه الفاعل. أنا لست أحمق. لكن يجب أن يكون لديهم دليل لاعتقاله. لا يمكنهم فعل ذلك بناءً على مجرد حدس.»

أغمضتُ عيني. أتساءل أين أوليفيا ميرسر الآن. أدعو الله أن تكون بخير.

رنّ جرس الباب، فانفجرت عيناي مفتوحتين. في كل مرة أسمع فيها ذلك الرنين، أشعر وكأنني سأصاب بنوبة قلبية. تبادلتُ النظرات مع جيسون.

اقترح قائلًا:

– «ربما يكون الشخص الذي رمى الصخرة، جاء ليعتذر؟»

لم أكلف نفسي عناء الرد على هذه السذاجة.

وصلتُ للباب أولًا. نظرتُ من خلال العين السحرية ورأيت وجه المحققة ريفيرا. أوه لا.

كانت يداي ترتجفان بشدة تمنعني من فتح الباب. اضطر جيسون لفتح القفل بدلًا مني. وحين فتحه، وقعت عيناي فورًا على الأصفاد في يدي ريفيرا. شعرتُ أنني سأفقد وعيي.

سألتني:

– «هل ليام في المنزل يا سيدة كاس؟»

قلتُ بصوتٍ متخدر:

– «أنتم ستعتقلونه.»

أومأت ببطء:

– «أنا آسفة.»

نظر جيسون إلى الأصفاد، وشحب وجهه، لكنه لم يعترض هذه المرة. مشى إلى أسفل الدرج ونادى:

– «ليام؟ ارتدِ ملابسك الآن وانزل إلى هنا.»

راقبتُ ابني وهو يخرج من غرفته، مرتديًا قميصًا بسيطًا وبنطال جينز أزرق نظيفًا. رغم الكدمة على وجنته، بدا يافعًا ووسيمًا للغاية الآن. حين لمح المحققين عند الباب، توقف عن المشي. راقبته وهو يأخذ نفسًا عميقًا، ثم يجبر نفسه على التقدم.

اجتاحتني رغبة يائسة في أن ألقي بذراعي حوله وأخبره أن كل شيء سيكون بخير. لكنها ستكون كذبة.

حين وصل ليام لأسفل الدرج، تقدمت ريفيرا للأمام. رفعت الأصفاد، فاتسعت عينا ليام وتراجع خطوة للخلف.

– «ليام كاس، أنت رهن الاعتقال بتهمة اختطاف وقتل أوليفيا ميرسر.»

قرأت عليه حقوقه بينما كان يستمع بصمت، وعلى وجهه تعبير مذهول يعكس على الأرجح تعبير وجهي. لا أصدق أن هذا يحدث. ساقاي تحولتا إلى هلام —— أشعر أنهما ستنهاران بي.

أتساءل ما الذي وجدوه في تفتيشهم. لا بد أنه شيء كبير حقًا.

حين انتهت ريفيرا من قراءة حقوقه، رفعت الأصفاد. الآن بدا ليام مرعوبًا حقًا. بدا وكأنه على وشك الانفجار بالبكاء، لكنه كان يتماسك. لم أرَ ليام يبكي منذ كان في الثالثة من عمره. كان نادرًا ما يبكي وهو طفل رضيع. كان طفلًا هادئًا جدًا. أذكر أنني فكرتُ في نفسي أنه من غير العدل أن تكون أي امرأة محظوظة لهذه الدرجة.

سأل، عاجزًا عن إخفاء نبرة اليأس في صوته:

– «هل يجب عليكِ وضع تلك الأصفاد عليّ؟»

قالت دون أي تعاطف في صوتها:

– «أخشى ذلك.»

على الأقل قيدت يديه من الأمام وليس خلف ظهره. جفلتُ حين أُغلقت الأصفاد بصوت طقة. ها قد حدث. إنهم يعتقلونه حقًا. يأخذونه بعيدًا إلى السجن. طفلي الصغير. في السجن. كيف يمكن لهذا أن يحدث؟

اندفعتُ قائلة دون وعي:

– «ليام، أرجوك فقط أخبرهم أين هي!»

للحظة، عمّ الصمت المكان.

حدق بي جيسون فاغرًا فاه:

– «إيريكا...»

كان الضباط يحدقون بي أيضًا. تحول وجه ليام إلى اللون الوردي القاني.

– «أمي، أنا لم...»

لكن قبل أن يتمكن من إنهاء جملته أيًا كانت، وضعت ريفيرا يدها على ظهره واقتادته خارج الباب الأمامي. كانت الشمس لا تزال مشرقة، وكان من الواضح أن العديد من جيراننا يراقبونه وهو يُقاد لسيارة الشرطة مكبل اليدين. الجميع يعرف ما يجري. أتوقع المزيد من الصخور عبر نافذتنا الليلة.

ثم قادوا السيارة مبتعدين. تبعتهم للخارج وراقبت سيارة الشرطة حتى تحولت لنقطة غبار في الأفق. خرج جيسون لينضم إليّ. توقعتُ منه أن يصرخ في وجهي بسبب انفجاري الصغير داخل المنزل، لكنه لم ينبس بكلمة.

حين عدنا إلى المنزل، كانت هانا تقف في منتصف غرفة المعيشة. عيناها محتقنتان بالدم، وتبدو وكأنها لم تستحم اليوم. أنا واثقة تقريبًا أن هذه هي نفس الملابس التي كانت ترتديها أمس.

– «هل أخذوه؟ هل اعتقلوه؟»

تنهد جيسون بعمق:

– «نعم.»

فرت دمعة من عينها اليسرى:

– «أبي! كيف سمحت لهم بذلك؟»

عبس قائلًا:

– «لم يكن لدي خيار. كان لديهم مذكرة لاعتقاله.»

ضربت الأرض بقدمها:

– «هذا هراء! هو لم يفعلها. أنتما تعلمان أنه لم يفعل!»

قلتُ:

– «هانا...»

صرخت في وجهي:

– «لا تحاولي حتى يا أمي! أعرف ما تظنينه به. أرى الطريقة التي تنظرين بها إليه. على الأقل أبي يعتقد أنه بريء.»

نظر كلاهما إليّ، بانتظار رد. لم أعرف ماذا أقول. هانا محقة تمامًا.

قلتُ أخيرًا:

– «حتى لو كان مذنبًا، ما زلتُ أحبه.»

وتلك هي الحقيقة. قد تظن هانا وجيسون أن ليام بريء، لكنهما مخطئان. أنا الوحيدة التي تستطيع رؤية حقيقته. كل ما أستطيع أن آمله الآن هو أن تكون أوليفيا ميرسر لا تزال حية. ربما لو أخبرهم بمكانها، سيتساهلون معه.

قالت هانا:

– «ليس لديكِ أي فكرة يا أمي. ليام لم يكن ليفعل هذا أبدًا. كان معجبًا بأوليفيا حقًا.»

أتمنى لو كان لدي زوجة، حتى أتمكن من وضعها عميقًا في حفرة.

لسوء الحظ، هانا هي من ليس لديها أدنى فكرة عما تتحدث عنه. أنا أعرف ابني. وأعرف أن هذا لن ينتهي على خير.

حين رأيتُ لأول مرة ذينك الخطين الأزرقين على اختبار الحمل قبل سبعة عشر عامًا، لم أكن لأصدق أبدًا أن الطفل الذي ينمو بداخلي سينتهي به المطاف خلف القضبان.

كان كل شيء في حياة ليام المبكرة سهلًا، بدءًا من حملي به. حملتُ من المحاولة الأولى — وعلى عكس حملي بهانا، حيث كنتُ مريضة طوال الوقت، شعرتُ بروعة أثناء حملي بليام. اعتاد الناس إخباري أنني أتوهج إشراقًا. وكانت الولادة سهلة بالمثل. خمس دفعات جيدة وخرج. يصرخ ووردي ومثالي.

كان ليام طفلًا دمث الخلق حقًا. نادرًا ما كان يضج أو يبكي. يأكل كلما أرضعته، وينام الليل بطوله تقريبًا بمجرد أن أحضرناه للمنزل. كان طفلًا جميلًا أيضًا. بدا كأحد أطفال المجلات بوجنتيه الممتلئتين وابتسامته العذبة. كانت النساء يوقفنني في الشارع ليتأملنه بإعجاب.

وكان ليام بارعًا في لعب الدور. حين يسأله الناس عن عمره، كان يرفع إصبعًا واحدًا ويصيح: «واحد!». كان يحب الاستعراض. أحيانًا كنتُ أنظر في مهده ليلًا لوجهه النائم وأتساءل كيف كنت محظوظة لهذه الدرجة.

حين بلغ الرابعة بالكاد، لاحظتُ شيئًا مختلفًا بشأنه لأول مرة.

كنا في الحديقة. كانت هانا في عربتها تبكي كعادتها. كنت محظوظة لأنه يمكن الوثوق بليام ليلعب بمفرده، لأن هانا كانت تتطلب كل انتباهي. لذا لم ألحظ ما كان يفعله حتى وجدته جاثيًا في زاوية الحديقة. دفعتُ عربة هانا لأرى ما يجري.

كان ليام يلعب مع نملة كبيرة. بنى لها نوعًا من السور، وكان يسمح للنملة بالمغادرة، ثم يحاصرها مرة أخرى. راقبته يفعل ذلك لدقيقة، أحاول فهم قواعد لعبته. أخيرًا، قلتُ:

— «ماذا تفعل يا ليام؟»

رفع عينيه البنيتين الكبيرتين وابتسم لي — تلك الابتسامة التي جعلت كل النساء يقعن في حبه.

– «النملة تظن أنها ستهرب، لكنها لا تستطيع! هي لا تعرف أنني سأسحقها.»

تلك الكلمات التي قيلت بصوت ليام الطفولي ذي الأربع سنوات جعلتني أشعر بعدم ارتياح شديد.

قلتُ بصوت مخنوق:

– «ليام، أنت تتصرف بقسوة مع النملة.»

قطب وجهه الصغير:

– «لكنها مجرد نملة يا أمي. من يهتم؟»

– «إنها كائن حي يا ليام.»

لكنه نظر إليّ ببرود حتى أخبرته أن يذهب للعب في الألعاب مرة أخرى. عاد بطاعة لملعب التسلق، لكنني لم أستطع إخراج الحادثة من رأسي. في تلك الليلة، أخبرتُ جيسون بما قاله، لكن جيسون لم يكن قلقًا على الإطلاق. قال: «الأولاد يحبون اللعب بالحشرات».

لكنه لم يكن يلعب بالحشرة. كان يعذبها.

ازداد الأمر سوءًا بعد ذلك. المزيد من التصريحات المزعجة التي أصبح تجاهلها أصعب فأصعب. ثم تلك الفتاة التي وجدوها مربوطة بشريط لاصق في الخزانة حين كان في الروضة. طُرد من المدرسة بسبب تلك الحادثة. أخبرته أنه لا يمكنه فعل شيء كهذا مرة أخرى أبدًا، وتقنيًا، لم يفعل. أخذته أخيرًا لتلك الطبيبة النفسية للأطفال، الدكتورة إيبير، لكنني لا أعتقد أنها ساعدته بشيء. لقد أصبح فقط أكثر ذكاءً في إبقاء فمه مغلقًا.

وعدم معرفة ما يفكر فيه كان الجزء الأصعب على الإطلاق.

بعد أن أخذت الشرطة ليام، اتصل جيسون فورًا بريتشارد لاندون. جلسنا على الأريكة ووضع محامينا على مكبر الصوت، لنتمكن من الاستماع معًا. اضطررنا للطلب من هانا بالذهاب للطابق العلوي، لأنه لا ينبغي لها سماع هذا، ولأنها كانت شبه هيستيرية أيضًا.

قال جيسون:

— «جون. لقد أخذوه للتو. الشرطة. كبلوه ووضعوه في السيارة. إنهم يأخذونه للسجن.»

جاء صوت لاندون عبر هاتف جيسون:

— «نعم. كان لدي شعور بأن ذلك سيحدث اليوم.»

سألتُ:

— «ماذا سيفعلون الآن؟»

— «سيأخذونه لقسم الشرطة ويقومون بإجراءات الحجز. سيصورونه ويأخذون بصماته، ثم يضعونه في إحدى زنزانات الحجز.»

ابني خلف القضبان. قفزت الدموع لعينيّ. لا أستطيع تحمل ذلك.

قال لاندون:

— «سنحصل له على جلسة استماع للكفالة صباح الغد. نأمل أن يحددوا كفالة ويتمكن من العودة للمنزل حتى موعد المحاكمة.»

نظر جيسون إليّ، وقد عقد حاجبيه:

— «أتظن أنهم لن يحددوا كفالة؟»

— «هذا وارد. إنهم يتهمونه بالقتل.»

صاح جيسون:

– «لكنهم لا يعرفون حتى ما إذا كانت أوليفيا ميرسر ميتة!»

– «صحيح. عليهم إثبات أن جريمة قد وقعت بالفعل، لذا هذا في صالحه.»

صمت لاندون قليلًا.

– «أيضًا، هو في السادسة عشرة فقط. سأحتج بكل ذلك في جلسة الكفالة.»

سألتُ بأمل:

– «إذن هناك فرصة ألا يتمكنوا من توجيه الاتهام له؟»

صمت لاندون لعدة ثوانٍ.

– «لن أكذب عليكِ يا إيريكا. قد لا يملكون جثة، لكن لديهم قضية قوية ضده.»

هبط قلبي بين قدمي.

– «ماذا لديهم؟»

– «حسنًا، كبداية، كان معروفًا أنهما يتواعدان على الأقل، إن لم يكونا حبيبين. لدينا الجارة التي تشهد ليس فقط بأن أوليفيا وليام كانا معًا تلك الليلة، بل وأنها ركبت سيارته.»

تنحنح قائلًا:

– «لكن ما وجدوه في سيارتكِ كان المسمار الأخير في نعش دفاعه. وجدوا آثار دماء تطابق فصيلة دم أوليفيا وثلاث شعرات منها. في صندوق سيارتكِ الخلفي.»

قلتُ بذهول:

– «في صندوق سيارتي؟»

– «نعم. لو كانت الآثار على المقعد فقط، كان بإمكاننا القول إنها كانت في السيارة، لكن الصندوق الخلفي يدين موقفه أكثر.»

أشار جيسون:

– «لكنها سيارة هاتشباك (مفتوحة الصندوق). إذا كانت في المقعد الخلفي، يمكن لشعرها أن يصل للصندوق. ليس وكأن الصندوق مساحة معزولة.»

– «يمكنني الدفع بذلك. لكنه لا يفسر الدم، أليس كذلك؟»

مال جيسون برأسه للخلف على الأريكة، وهز رأسه. أعتقد أنه انسحب للتو من هذه المحادثة.

سأل لاندون:

– «هل ما زلتِ معي؟»

– «أنا هنا.»

– «سأذهب لرؤية ليام الآن. على الأرجح هو خائف جدًا لذا سأخبره بما سيحدث تاليًا. أيضًا...»

– «ماذا؟»

تنهد لاندون:

– «سأحاول إقناعه بإخباري بمكان أوليفيا ميرسر. سواء كانت حية أم لا. يمكننا استخدام ذلك كورقة مساومة.»

ابتلعتُ غصة في حلقي. هذا آخر ما أردتُ سماعه.

– «هل أخبرك ليام أنه فعلها؟»

– «تعلمين أنني لا أستطيع إخبارك بذلك يا إيريكا. سرية المهنة.»

– «أرجوك يا جون! إنه في السادسة عشرة فقط وهو في السجن و...»

كنتُ أنتحب الآن في الهاتف. أنا على بعد ثانيتين من الانهيار التام، إن لم أكن قد انهرت بالفعل. لا أعرف كيف يمكن لهذا أن يحدث. كنتُ حذرة جدًا. كيف أخطأتُ في تحديد الأوليفيا المعنية؟

اخترق صوت لاندون نحيبي:

— «إيريكا، إيريكا... اسمعي، اهدئي. هو... هو لم يخبرني بشيء. حسنًا؟»

شهقتُ محاولة التقاط أنفاسي:

— «لكنك تعتقد أنه فعلها.»

لم يكن ذلك سؤالًا.

صمت محامينا للحظة.

— «نعم، أعتقد ذلك. كوني واقعية يا إيريكا. من الواضح أنه فعلها. الأدلة دامغة.»

منحني ثانية لاستيعاب ذلك.

— «لكن انظري، حتى لو كانت ميتة وهو دفنها، يمكنه العرض بأن يرشد الشرطة لجثتها مقابل التساهل في الحكم. السجن المؤبد بدلًا من الإعدام.»

سألتُ بصوت بالكاد يُسمع:

— «هل تظن أنها ميتة؟»

صمت لاندون لما بدا وكأنه دهر.

— «بصراحة؟ نعم. أعتقد أنها ميتة بالفعل. إذا لم تكن كذلك في البداية، فعلى الأرجح أدرك أنه يجب عليه التخلص منها لطمس الأدلة.»

همستُ:

— «يا إلهي.»

مسحتُ عينيّ بظهر أصابعي.

قال لاندون:

— «لكنني سأبذل قصارى جهدي لأجله. مهما كان ما فعله، سأقاتل من أجله. هذه وظيفتي.»

لماذا؟ هذا هو السؤال الذي أود طرحه. لأنه إذا كان ليام قد قتل تلك الفتاة حقًا، فيجب أن يُحبس في السجن. يجب أن يكون في مكان لا يستطيع فيه إيذاء أحد مرة أخرى أبدًا.

قضيتُ طفولته بأكملها أحاول حمايته من نفسه. ولقد فشلت.

الفصل الرابع والأربعون

إيريكا

حين نزلتُ إلى الطابق السفلي في وقتٍ لاحق من المساء لأجبر نفسي على تناول بعض العشاء، وجدتُ هانا تجلس على الأريكة في غرفة المعيشة، متراخية الجسد وهي تشاهد التلفاز. اقتربتُ بما يكفي لأرى ما يُعرض على الشاشة. إنه فيلم «الأميرة العروس» (The Princess Bride).

كان «الأميرة العروس» فيلمي المفضل حين كنتُ طفلة. وعندما بلغت هانا الرابعة، عرضته عليها وعلى ليام للمرة الأولى. لم يكترث ليام به كثيرًا، لكن هانا عشقته. أصبح فيلمها المفضل، وأعتقد أنه لا يزال كذلك. إنه فيلم المواساة بالنسبة لها. إنه بمثابة حساء الدجاج لروحها.

وقفتُ هناك للحظة، أراقب هانا وهي تشاهد الفيلم. عيناها مثبتتان على الشاشة، وتحرك شفتيها مع الحوار الذي تنطقه الشخصيات. على الأرجح يمكنها تسميع كل سطر في هذا الفيلم عن ظهر قلب. في الواقع، أنا أيضًا أستطيع ذلك.

سألتُ:

– «هل يمكنني الانضمام إليكِ؟»

رفعت هانا نظرها إليّ بعينيها الزرقاوين المحاطتين بهالة من الاحمرار. آخر مرة رأيتها فيها، كانت تصرخ في وجهي. لكنها الآن رفعت كتفًا واحدًا بلامبالاة.

– «كما تشائين.»

إنها جملة شهيرة من الفيلم. هل هذا غصن زيتون؟ (أي محاولة للتهدئة وإصلاح العلاقة)

جلستُ على الأريكة بجوار هانا، لكنني تركتُ مسافة محترمة بيننا. لو جلستُ قريبة جدًا، ستشكو من أنني أخنقها. لكن الجلوس بعيدًا جدًا سيجعلها غير سعيدة أيضًا. لا أستطيع معرفة كيفية إسعاد هانا —— لم أستطع يومًا. حتى حين كانت رضيعة، كانت تصرخ بأعلى صوتها بينما أتوسل إليها لتخبرني ما الخطب. حتى ليام، وهو في الثانية من عمره، علق ذات مرة قائلًا: «أختي الصغيرة حزينة دائمًا».

بعد أربعة عشر عامًا، لم يتغير شيء.

قلتُ لهانا:

– «أنا آسفة لأنك اضطررتِ لرؤية ما حدث في وقت سابق.»

لم ترفع عينيها عن الشاشة:

– «لم يكن خطأكِ.»

– «أعرف، ولكن...»

التفتت لتنظر إليّ:

– «أنتِ تعتقدين حقًا أنه فعلها، أليس كذلك؟»

تنحنحتُ:

– «حسنًا، لست متأكدة تمامًا. أعني...»

– «لهذا السبب استأجرتِ ذلك الرجل لإخافة كل الفتيات اللواتي يعجبن بليام.»

انفتح فمي بذهول. هانا تعرف بشأن ذلك؟ لم يخطر ببالي حتى أنها قد تعرف. ظننتُ أن ذلك كان سري الدفين والقاتم.

عادت عيناها لتستقر على شاشة التلفاز:

– «إحداهن أخبرتني. افترضتُ أنكِ تقفين وراء الأمر. بالنظر لكونكِ من أرسله للطبيب النفسي.»

– «أنتِ تعرفين بشأن ذلك؟»

– «ليام أخبرني.»

شهقتُ بعمق:

– «أنا آسفة حقًا يا هانا. آسفة لأنكِ تورطتِ في كل هذا. أعدكِ أنني سأبذل قصارى جهدي لإبعادكِ عن الأمر من الآن فصاعدًا.»

التقطت هانا جهاز التحكم وأطفأت التلفاز. واجهتني الآن، وعيناها تمتلئان بالدموع.

– «لا أريد أن أكون بعيدة عن الأمر. أريد فقط عودة أخي للمنزل.»

ولاء هانا لليام مفهوم. فمهما قيل عن ليام، هو أخ كبير جيد. حذرني الناس حين حملتُ بأن إحضار مولود جديد للمنزل بوجود طفل في الثانية هو وصفة للغيرة. إحدى صديقاتي أخبرتني أنها اضطرت باستمرار لحماية رضيعها من طفلها الصغير.

لكن الأمر لم يكن هكذا أبدًا مع ليام وهانا. في المرة الأولى التي أحضرتُ فيها هانا للمنزل، لم يستطع التوقف عن التحديق بها. وحين سمحنا له أخيرًا بحملها تحت إشراف دقيق، كان رقيقًا للغاية. ظل يمسد وجهها الصغير بذهول وفم مفتوح.

حين كانت في الشهر الرابع تقريبًا، أخذناها للحديقة وركض كلب كبير نحو عربتها، ينبح بصوت عالٍ جعل هانا تنفجر بالبكاء. قفز ليام أمام الكلب، رافعًا يده بشجاعة. صاح: «لا يا كلب! لا تؤذِ أختي! لا!»

لا أعرف ما فعله ليام أو لم يفعله بأوليفيا، لكنه لطالما حمى أخته.

قلتُ لهانا:

– «سيكون كل شيء على ما يرام. سنعيده للمنزل.»

مسحت هانا عينيها بظهر يدها:

– «هل تصدقين ذلك حقًا يا أمي؟»

تمنيتُ لو أستطيع القول إنني أصدق. تمنيتُ لو أستطيع إخبار ابنتي أن الحقيقة ستظهر وسيخرج ليام حرًا. لكن الحقيقة المرة هي، سواء ظهرت الحقيقة أم لا، أعتقد أن ليام سيقضي بقية حياته في السجن.

الفصل الخامس والأربعون

إيريكا

استعددنا أنا وجيسون للنوم في صمت مطبق.

الشيء الوحيد الذي يمكننا التحدث عنه في هذه المرحلة هو حقيقة أن ابننا في السجن، وهو كل ما تحدثنا عنه في الأيام القليلة الماضية. وهذا آخر ما أريد التحدث عنه الآن. أعلم أن جيسون لا يزال منزعجًا مني بسبب ما قلته حين جاءت الشرطة لاعتقال ليام. لكن ليس وكأنني تعمدتُ إظهار ابني بمظهر المذنب. لو استطعتُ سحب كلماتي، لفعلت.

انضممتُ لزوجي في الحمام بينما يغسل أسنانه. فرشاة أسنانه الكهربائية تصدر أزيزًا في فمه. قبل خمس سنوات، أجرى جيسون علاجًا لعصب السن، وبعد أن أقسم أنه لن يمر بتجربة كهذه مرة أخرى، اشترى فرشاة أسنان كهربائية وحوالي صندوق كامل من خيط الأسنان. استخدمهما بانتظام وانضباط، وكانت زياراته لطبيب الأسنان ممتازة منذ ذلك الحين، لدرجة أنني انتقلتُ لاستخدام الفرشاة الكهربائية العام الماضي. أشعر أنها تنظف أسناني بشكل أفضل، لكن الجزء المزعج هو أننا لم نعد نستطيع تنظيف أسناننا في الوقت نفسه. عليّ انتظاره حتى ينتهي، ثم أستبدل رؤوس الفرشاة.

بينما أنتظر، شطفتُ وجهي، رغم أنه لا يوجد الكثير لأغسله بما أنني لم أضع مساحيق تجميل هذا الصباح. تركتُ الماء الساخن يغمر بشرتي، محاولةً ألا

أفكر فيما سيحدث غدًا. جلسة الكفالة لليام. كلما تخيلتُ الأمر، شعرتُ بغثيان في معدتي.

ماذا لو لم يخرج بكفالة؟ لا أستطيع استيعاب فكرة عدم إعادته للمنزل غدًا. لكن لاندون يقول إن عليّ تقبل احتمالية أن يبقى ليام في السجن طوال فترة المحاكمة.

ليام في السجن. ولدي الصغير في السجن. محاط بالقتلة واللصوص.

قال جيسون وهو يناولني مقبض الفرشاة الكهربائية:

— «انتهيتُ.»

— «شكرًا.»

نحن مهذبان للغاية.

كانت يداي ترتجفان وأنا أحاول تثبيت رأس الفرشاة في مكانه. راقبني جيسون للحظة قبل أن يأخذها مني ويثبت الفرشاة.

قال وقد عقد حاجبيه:

— «سيكون كل شيء بخير. إنه مجرد سوء تفاهم. في غضون أسبوع، ستنجلي هذه الغمة تمامًا.»

سخرتُ قائلة:

— «هل تصدق ذلك بصدق؟»

حدق بي، ونظرة حزن تكسو عينيه الزرقاوين:

— «إيريكا، هل تصدقين بصدق أن ابننا قتل تلك الفتاة؟»

بدا الحمام ضيقًا وخانقًا. عليّ الخروج من هنا. وضعتُ الفرشاة، رغم أنني لم أغسل أسناني بعد، وهرعتُ عائدة لغرفة نومنا. تبعني جيسون، ولا يزال

بانتظار إجابة لسؤاله على ما يبدو. تمنيتُ لو أمتلك إيمانه بليام. لكنني أعرف أشياء لا يعرفها. وبقدر ما يريد ويحتاج لسماع ذلك، لا أستطيع إخباره بأنني أومن ببراءة ليام.

قال بنبرة تشبه التوسل:

— «أعلم أن الوضع لا يبدو جيدًا بالنسبة له. لكن ليام لن يفعل هذا. إنه فتى صالح. وينحدر من عائلة صالحة.»

من الممكن القول إنني وجيسون والدان جيدان —— كلانا طبيعي جدًا لدرجة الملل. لكن جيسون لا يعرف تاريخي. لا يعرف السر المتعلق بي والذي اكتشفته أنا نفسي مؤخرًا. وربما أنا مدينة له بالحقيقة. ربما تلك هي الطريقة الوحيدة لجعله يفهم. حتى لو جعله ذلك ينظر إليّ بشكل مختلف.

قلتُ:

— «جيسون. هناك شيء أحتاج لإخبارك به.»

اتسعت عيناه وتراجع خطوة للخلف. بعد كمية الحقائق الصادمة التي اضطر للتعامل معها في الأيام القليلة الماضية، أشعر بالسوء لإلقاء هذه القنبلة عليه. لكنني أدين له بالصدق.

— «أنتِ تخيفينني يا إيريكا. هل... هل يجب أن أجلس؟»

مددتُ يدي وأمسكت بيده، التي كانت رطبة بشكل غير مفاجئ. قدته نحو السرير، وجلسنا جنبًا إلى جنب. كان جيسون يحدق بي بتركيز، وحاجباه معقودان.

— «اكتشفتُ مؤخرًا شيئًا... مفاجئًا نوعًا ما.»

هز رأسه:

— «أكثر مفاجأة من اعتقال الشرطة لابننا؟»

أخذتُ نفسًا عميقًا:

— «الأمر يتعلق بوالدي. إنه... إنه حي.»

انفرجت شفتاه بذهول. بدا وجهه كما بدا وجهي على الأرجح حين ألقت أمي بتلك القنبلة عليّ.

— «هل أنتِ جادة؟ كيف؟»

قول الحقيقة أصعب مما تصورت. لأنني أعرف ماذا تعني. لطالما اعتقدتُ أنه رغم مشاكل ليام، لم يكن ذلك خطئي. لكنني الآن أعرف الحقيقة. ليام هو حفيد قاتل. هذا يجري في جيناته. ولا يساعد في الأمر أنه يشبه والدي تمامًا. صورة طبق الأصل.

شرحتُ الأمر لجيسون بأفضل ما أستطيع، مع الأخذ في الاعتبار أن كل ما أعرفه مصدره أمي. استمع إليّ، ووجهه يزداد شحوبًا مع كل ثانية. حين أنهيتُ حديثي، تمتم قائلًا:

— «يا إلهي.»

— «أعرف.»

— «كيف أمكن لوالدتك إخفاء هذا عنكِ؟»

— «أظن أنها اعتقدت أنه من الأسهل أن أظنه ميتًا. وأن معرفة كونه في السجن قد تصيبني بصدمة نفسية.»

عبس قائلًا:

— «هل ستذهبين لرؤيته؟»

— «هل تعتقد أنه يجدر بي ذلك؟»

— «إنه قرارك يا إيريكا.»

– «نعم، لكن ما رأيك أنت؟»

تردد لثانية واحدة فقط:

– «لو كنتُ مكانك، لما فعلت.»

– «لكنه والدي...»

– «وماذا في ذلك؟ الرجل قاتل. هل تريدين حقًا أن يكون لكِ أي علاقة به بعد ذلك؟»

أقلقني اليقين في صوته. ففي النهاية، قد يأتي وقت قريب نضطر فيه لزيارة ابننا نحن في السجن. إذا ثبت أن ليام قتل أوليفيا حقًا، هل سيتبرأ منه جيسون؟

الحقيقة هي أنني أعلم في أعماقي، سواء فعلها ليام أم لا، أنني سأدعمه. سأزوره كل أسبوع في السجن إذا لزم الأمر. آمل ألا يكون ذلك صحيحًا، وأدعو الله أن تكون أوليفيا بخير، لكن مهما حدث، ليام هو ابني. ومهما فعل، لن يغير ذلك شيئًا. لست متأكدة أن جيسون يشعر بالطريقة نفسها.

عضضتُ شفتي:

– «لم أقرر بعد. بوضوح، هذا ليس أفضل توقيت. لكن... أنا فضولية. ماذا لو كان ليام على هذه الشاكلة بسبب...؟»

أمال جيسون رأسه للجانب:

– «بسبب ماذا؟»

– «بسببي. لأنه ورث ذلك مني؟»

رمش بضع مرات:

– «أنتِ لستِ قاتلة يا إيريكا.»

– «لكن والدي قاتل.»

حدق زوجي في يديه للحظة. امتلأت معدتي بالفراشات المتوترة وأنا أحاول تخمين ما يفكر فيه. وحين لم أستطع التحمل لثانية أخرى، رفع نظره إليّ.

– «ليام لم يقتل تلك الفتاة.»

– «لكن ماذا لو فعل؟»

فرد كتفيه:

– «لا. أنا آسف يا إيريكا. لكن لمجرد أن والدك كان قاتلًا مجنونًا، لا يعني أن ليام كذلك.»

لكنني أستطيع رؤية خيط من الشك في عينيه. للمرة الأولى، لا يبدو واثقًا جدًا من براءة ابننا. لم يكن لديه أدنى فكرة حين تزوجني أنني ابنة قاتل مدان. سيكوباثي. الآن وقد عرف ما يجري في دمي وما قد أكون مررته لابننا، بدأ أخيرًا يصدق أن ابننا ليس الطفل المثالي الذي كان يظنه.

وكل ذلك خطئي.

الفصل السادس والأربعون

أوليفيا

حلّ الليل الآن. أعرف ذلك لأن شريط الضوء قد تلاشى، مغرقًا إياي مرة أخرى في أسوأ أنواع الظلام الدامس.

لم يتبقَ لدي طعام أو شراب تقريبًا. شريحة خبز واحدة. وبقايا في الزجاجة الأخيرة من الماء. أنا عطشى لدرجة أنني قد أشرب بولي. لم أفهم أبدًا كيف يفعل الناس ذلك في قصص النجاة تلك. لكنني أفهم تمامًا الآن. أشعر بالدوار من الجوع والعطش.

بما تبقى لي من قوة، كنتُ أعمل على تعلية الكومة باستخدام عظم فيبي. يبلغ ارتفاع برجي الصغير حوالي قدم واحد حسبما أستطيع التحسس. ربما يكون مرتفعًا بما يكفي للوصول للباب الأرضي.

عليّ أن أجرب. قبل أن يعود.

خطوتُ بقدمي اليمنى على الكومة. حاولتُ رفع نفسي للأعلى، مستندةً على جانب الحفرة، لكنني حمّلتُ وزني بالخطأ على كاحلي الأيسر.

يا إلهي.

عويتُ وانثنيتُ من الألم. كاحلي الأيسر يزداد سوءًا كل يوم. إنه مكسور بالتأكيد. متورم جدًا وساخن، وأجد صعوبة في تحريك أصابع قدمي. ولكن مرة

أخرى، إنه مجرد ألم. الناس يصابون بالرصاص ويواصلون التحرك. عليّ تجاوزه. تلك هي فرصتي الوحيدة للنجاة.

فكري في أشياء سعيدة يا أوليفيا.

والداي. أمي.

غرفتي.

ماديسون.

لا يسعني إلا تخيل ما تفكر فيه ماديسون الآن. لقد حذرتني. حذرتني ولم أستمع.

يجب أن أخرج من هنا. يجب أن أرى عائلتي مرة أخرى.

أخذتُ نفسًا عميقًا وعدتُ للصعود على الكومة. لامس كاحلي الأيسر الأرض وكان الألم جحيمًا، لكنني لم أسمح لنفسي بالانهيار مجددًا. وقفتُ باستقامة، ورفعتُ العظم الطويل في يدي فوق رأسي. احتك بسقف سجني.

لقد فعلتها! أستطيع الوصول للقمة!

طرقتُ عليه بالعظم، فسمعتُ صوت معدن. الباب الأرضي مقفل.

بالطبع.

لا ينبغي أن أتفاجأ، لأنني سمعتُ القفل يدار في المرة الأخيرة التي جاء فيها، لكن جسدي كله تهاوى خيبةً. ظننتُ أنني سأخرج من هنا. ظننتُ أن هذه هي النهاية. سأهرب وأكون في المنزل خلال ساعة.

هذه مجرد كبوة. لا تستسلمي.

أخذتُ نفسًا عميقًا، دافعةً موجة من الدوار. الأمر ليس ميئوسًا منه. في النهاية، هو مجرد خشب فوقي. إذا استطعتُ تحطيم الخشب، سأخرج من هنا. لدي كل الوقت في العالم لأضرب الخشب حتى ينكسر.

فلأحاول، وليكن ما يكون...

الفصل السابع والأربعون

إيريكا

بحلول الصباح، كانت جميع الصحف تنقل خبر اعتقال شخص ما على ذمة قضية اختفاء أوليفيا ميرسر. لم يقتصر الأمر على الأخبار المحلية، بل التقطت الصحف الوطنية القصة أيضًا. لا يمكنهم نشر اسم ليام لأنه لا يزال في السادسة عشرة، لكن هذا لم يهم. لم يتمكنوا من منع الناس من ذكر اسمه في التعليقات عبر الإنترنت.

جلستُ في السرير، مترددة في النهوض ومواجهة العالم، أقرأ التعليقات حتى لم أعد أطيق ذلك. الأغلبية الساحقة من الجمهور ترى أن ليام مذنب.

- لا يهمني إن كان هذا الطفل في السادسة عشرة. إنه يستحق الكرسي الكهربائي. بعض الناس مرضى جدًا ولا يستحقون الحياة.
- سمعتُ أن لديه تاريخًا طويلًا من المشاكل العقلية. الوالدان يستحقان السجن أيضًا لعدم التأكد من حصوله على المساعدة التي يستحقها.
- احبسوا هذا الطفل وارموا المفتاح!
- مأساوي ومروع! لهذا السبب اخترعوا الحقن المميتة!

لكن الأسوأ كانت التعليقات من أشخاص يعرفون ليام بوضوح في الحياة الواقعية. يبدو أن غالبية البلدة قررت أنه مذنب. أو على الأقل، أولئك الذين يكتبون على الإنترنت.

- أعرف ليام كاس منذ المدرسة الابتدائية. إنه مجنون! أستطيع تخيله يقتل شخصًا ما تمامًا. إنه مذنب بالتأكيد!
- اعتاد ليام اللعب مع ابني، لكنني أخبرته أن ليام غير مرحب به بعد الآن. كنت أعرف أن ذلك الطفل سيجلب المشاكل.
- كانت أوليفيا فتاة جميلة. كانت غبية لمواعدة ليام كاس، فقط لأنها ظنت أنه وسيم. الآن تدفع الثمن.
- العائلة تخفي مشاكل ليام العقلية منذ سنوات. إنه سيكوباثي لكنهم سيفعلون أي شيء لحمايته!
- الطفل طُرد من الروضة لاغتصابه فتاة. هذا يقول كل شيء!

عظيم. الآن أدانه الإنترنت بالاغتصاب حين كان في الخامسة من عمره. من الصعب قراءة كل هذه التعليقات، لكن بطريقة ما لا أستطيع إشاحة نظري. هناك القليل من التعليقات الإيجابية على الأقل، متداخلة مع تلك الفظيعة.

- يا إلهي، ليام معي في حصة الإسبانية وهو لطيييييف جدًا. لن يفعل هذا أبدًا! لا أصدق أن هذا صحيح!
- ليام من أفضل الطلاب الذين مروا عليّ طوال سنواتي كمعلم. قد لا أعرف كل الأدلة، لكن من الصعب تخيل أن شابًا خلوقًا مثله قادر على هذا.
- ليام زميل فريق رائع وفتى رائع! هذا هراء! لا بد أن شخصًا يلفق له التهمة!

وضعتُ هاتفي أخيرًا وتوقفتُ عن القراءة حين ظهر جيسون عند مدخل غرفة النوم. لم نتحدث منذ محادثتنا الليلة الماضية، وأتساءل إن كان لا يزال غاضبًا مني. لكنه لا يبدو غاضبًا. يبدو شاحبًا.

— «لا أريدك أن تفزعي يا إيريكا...»

— «إذن لا تبدأ جملة بتلك الكلمات.»

جلستُ مستقيمة في السرير، أقبض على الأغطية بأصابعي.

— «ما الذي يجري؟ ماذا حدث؟»

— «شخص ما رشّ شيئًا بطلاء الرذاذ على بابنا الأمامي.»

لا يسعني إلا تخيل ما كتبه أحدهم على منزلنا. أمام مرأى جميع جيراننا، الذين أنا واثقة أنهم لم يروا شيئًا. كنتُ أبذل قصارى جهدي لكبح الدموع، لكنها الآن تهدد بالفيضان.

— «إيريكا...»

جلس بجانبي على حافة السرير.

— «لا بأس. لا تبكي. أنا أهتم بالأمر. فقط ابقي داخل المنزل.»

لكن الأمر يتعلق بما هو أكثر بكثير من مجرد كلمات مرشوشة على بابنا. يمكن طلاؤها. المشكلة الأكبر لا يمكن إصلاحها بهذه السهولة. مسحتُ عينيّ، أحاول السيطرة على دموعي لكنني لم أستطع.

لانت نظرات جيسون. لف ذراعيه حولي بينما انتحبتُ من أجل ابننا. من الصعب التوقف. أستمر في التفكير في طفلي الصغير. تلك الرزمة الصغيرة العاجزة التي أحضرتها من المستشفى قبل ستة عشر عامًا. في السجن. لا بد أنه مرعوب. أنا أمه، ومن المفترض أن أكون هناك لأعتني به، وقد فشلت.

تمتمتُ في قميص جيسون المبلل بدموعي:

— «كله خطئي.»

مسحت يده الدافئة على مؤخرة رأسي:

— «لا، ليس كذلك. توقفي عن قول ذلك. أنتِ أم عظيمة. هذا ليس خطأكِ.»

كيف يمكنه قول ذلك؟ خاصة الآن وقد عرف بشأن والدي؟

ضغط عليّ بقوة أكبر:

— «ليام سيكون بخير. هذا كله خطأ. سيعود للمنزل قبل أن تدركي ذلك.»

قبلني أعلى رأسي.

— «اسمعي، لمَ لا تأخذين حمامًا لنكون جاهزين لجلسة الاستماع؟ سأهتم أنا بالكتابة على الباب.»

صحيح —— جلسة الكفالة لليام في الحادية عشرة. عليّ الخروج من السرير والاستحمام قبل ذلك. لا أدري إن كنت أستطيع استجماع الطاقة لذلك. أستمر في التفكير في ليام وهو يقضي الليلة في السجن. أو الأسوأ، أن يقضي ليالي الثلاثين سنة القادمة في السجن.

تمتمتُ:

— «حسنًا.»

ابتعد جيسون عني. حين نظرتُ إليه، كان عاقدًا حاجبيه:

— «هل ستكونين بخير؟»

أومأتُ بصمت.

— «متأكدة؟»

ابتلعتُ غصة في حلقي:

— «اذهب وافعل ما عليك فعله.»

بدا جيسون وكأنه سيصر على البقاء، لكن هاتفي رنّ على المنضدة، فاستغل الفرصة للنزول للطابق السفلي. نظرتُ للشاشة ورأيت اسم مديري يضيء.

يا إلهي —— لدي مقال يجب تسليمه اليوم. كان آخر ما يشغل بالي مؤخرًا، لكن برايان سيجن جنونه لأنني لم أجهزه. لا أريد خسارة وظيفتي فوق كل شيء. خاصة وأنه من الواضح أن فواتير ليام القانونية ستكون ضخمة.

قلتُ:

– «مرحبًا برايان.»

حاولتُ ألا أبدو بالبؤس الذي أشعر به. إذا كان ليام يستطيع أن يكون ساحرًا حين لا يعني ذلك، فأنا أستطيع أيضًا.

– «أنا آسفة جدًا لتأخر المقال. لو أمكنك فقط إمهالي حتى الغد...»

صمت برايان للحظة قبل أن يقول:

– «هذا هو الأمر يا إيريكا. أحتاج للتحدث معكِ بشأن مقالك.»

– «ربما أستطيع تجهيزه بحلول الليلة إن كنت تحتاجه حقًا... الأمور كانت جنونية هنا.»

تنهد قائلًا:

– «نعم. سمعت.»

أوه لا.

– «أوه. لم أدرك أنك تعرف.»

– «أنا صحفي يا إيريكا. الخبر يملأ الأرجاء.»

– «ليس اسمه.»

قلتُها بصوت حاد وضعيف. وكأن ذلك يهم.

خفض صوته درجة:

– «أعتقد... أعتقد أنه سيكون من الأفضل لو أخذتِ إجازة من الصحيفة. حتى تنجلي هذه الغمة. تحتاجين لأن تكوني بجانب عائلتكِ الآن.»

– «لا بأس. ما زال بإمكاني القيام بعملي.»

– «هذا ليس اختياريًا.»

أوه، فهمت. لا أحد يريد قراءة نصائح تربوية من أم قاتل. أعتقد أن ذلك منطقي.

- «لكم من الوقت؟»

- «لنترك الأمور للظروف.»

إذن... للأبد. بشكل أساسي، أنا مطرودة. ربما هناك قانون ضد هذا، لكنني لا أملك الطاقة لخوض هذه المعركة. أنا واثقة أن برايان يعرف ذلك.

- «حسنًا.»

وعد قائلًا:

- «سأكون على اتصال.»

لا، لن يفعل.

وضعتُ الهاتف. لم أتخيل أن ذلك ممكن، لكنني أشعر بأسوأ مما كنت عليه قبل خمس دقائق. فوق كل شيء، خسرتُ وظيفتي. على الأقل جيسون لا يمكن طرده، بما أنه مدير نفسه. عزاء بسيط.

سحبتُ نفسي أخيرًا من السرير وإلى الحمام. تركتُ الماء الساخن يغمرني، لا أريد الخروج أبدًا. أريد العيش في الحمام. ماذا سيقول جيسون لو رفضت الخروج من الحمام؟

لكن لا. عليّ أن أكون حاضرة من أجل عائلتي. سيكون من الأنانية أن أصاب بانهيار عصبي الآن.

بينما كنت أجفف نفسي بالمنشفة، بدأ هاتفي الخلوي بالرنين في غرفة النوم. ركضتُ خارج الحمام، والماء يقطر مني، ووصلت للهاتف قبل أن يتحول للبريد الصوتي.

همسّ صوتٌ في أذني من الطرف الآخر:

– «سيكون من المؤسف لو قتل شخص ما ابنتك الصغيرة الجميلة كما قتل ابنك تلك الفتاة.»

كاد قلبي يتوقف في صدري. حدقتُ في الهاتف:

– «من هذا؟»

وكما هو متوقع، أغلق الخط.

أغمضتُ عيني، متمنية لو أستطيع النوم ويكون كل هذا مجرد حلم مريع. لكن لا. عليّ ارتداء ملابسي والذهاب لجلسة الاستماع. عليّ أن أكون هناك من أجل ليام، بغض النظر عن الشيء المريع الذي فعله.

الفصل الثامن والأربعون

إيريكا

هناك مراسلون خارج المحكمة، لذا اتبعنا تعليمات لاندون ودخلنا من الخلف. الحمد لله أنهم لا يستطيعون استخدام اسم ليام، لكنني لست متأكدة أين تنتهي القيود. بالتأكيد إذا كان الإنترنت بأكمله يعرف من هو، فالمراسلون يعرفون أيضًا. ليسوا بجوار منزلنا، لكن ربما سيكونون قريبًا. وإذا حوكم ليام كبالغ، وهو احتمال قوي حسب لاندون، فأنا قلقة من أن كل تلك الحماية ستتلاشى.

آخر مرة كنتُ فيها في قاعة محكمة كانت حين خدمتُ في هيئة محلفين قبل عقد من الزمان تقريبًا. هناك صفوف من المقاعد في الخلف ليجلس الناس. طاولة خشبية للدفاع وأخرى للادعاء، ثم منصة في المقدمة حيث يجلس القاضي. بينما انزلقتُ أنا وجيسون وهانا إلى المقعد الخلفي، تذكرتُ بشكل غامض الذهاب للكنيسة. لقد مر وقت أطول منذ كنت في كنيسة مقارنة بالمحكمة.

ربما كان علينا أن نكون أكثر تدينًا. ربما كان ذلك لينقذ ليام.

كان القاضي جالسًا بالفعل في مقدمة القاعة. القاضي المبجل جورج مايكومب. إنه مسن —— كبير بما يكفي ليكون والدي، بشعر أبيض كثيف ولحية مشذبة بعناية تطابقه. قال لاندون إن القاضي مايكومب يميل للتساهل، رغم أنه حين يتعلق الأمر بقتل فتاة صغيرة، فكل الاحتمالات واردة.

بعد حوالي عشر دقائق، قاد حاجب المحكمة ليام إلى القاعة، وحظيتُ بأول نظرة لابني منذ أخذته الشرطة. كان يرتدي بدلة سجن برتقالية مجعدة أكبر من مقاسه بنمرة، وبدا مريعًا. وجنته لا تزال أرجوانية من لكمة تايلر، وهناك هالات سوداء تحت عينيه. يبدو وكأنه لم ينم على الإطلاق الليلة الماضية. بدا سيئًا لدرجة أن هانا شهقت حين رأته.

للحظة، لم يبدُ كمراهق في السادسة عشرة، على أعتاب البلوغ — بدا كطفل صغير خائف. طفلي الصغير. نفس الصبي الذي تباهى بابتسامة ذات أسنان مفقودة لعام كامل وكان يرفع أصابعه ليخبر عن عمره. أردتُ أكثر من أي شيء أن أركض إليه وأضمه بين ذراعي. أردتُ حمايته من هذا.

لكنني لا أستطيع. فعلتُ ما بوسعي، وفشلت.

لم نحظَ حتى بفرصة للتحدث معه. قيد ليام مباشرة لمقعده، لكنه رآنا. لم يلوح، لكنه أومأ برأسه — أفترض أن الترحيب الحماسي لن يليق بمتهم بالقتل. انكمشتُ وأنا أتذكر أن آخر ما قلته له كان توسلي ليخبرنا بمكان أوليفيا. كيف أمكنني قول ذلك أمام الشرطة؟ نعم، عنيتُ ذلك، لكنه كان الشيء الخطأ لقوله. أتساءل إن كان يكرهني.

شرح لنا لاندون ما سيحدث اليوم. لن تكون هناك هيئة محلفين، لكن التهم ستُتلى، وسيقدم ليام إقراره بالبراءة، ثم يحدد القاضي مايكومب الكفالة. إن كان هناك كفالة. بالنظر لكونه متهمًا بالقتل، فلا ضمان لذلك.

المدعية العامة امرأة تدعى سينثيا فاينشتاين، في الأربعين تقريبًا، بعينين سوداوين وعبوس غاضب محفور بصفة دائمة على شفتيها. تبدو وكأنها تود ربط ابني بالكرسي الكهربائي بنفسها. حين وقفت لتتحدث، كان صوتها عميقًا بالنسبة لامرأة — ومخيفًا.

— «سيدي القاضي.»

خاطبت القاضي وعيناها السوداوان تزدادان ظلمة.

— «هناك أدلة وافرة على أن ليام كاس مسؤول عن اختفاء أوليفيا ميرسر. تم التأكيد من قبل عدة طلاب آخرين أنه كان يواعدها. شوهد في منزلها في الثانية صباحًا، وشوهدت هي تركب سيارته. عُثر على شعرها ودمها في صندوق السيارة حين تم تفتيشها لاحقًا. لا يوجد مشتبه بهم آخرون أو أشخاص مثيرون للاهتمام في القضية. أوليفيا ميرسر مفقودة منذ ثلاثة أيام الآن، وبالنظر للدم في سيارته، هناك سبب وجيه للاعتقاد بأنه قتلها وأخفى الجثة.»

توقفت فاينشتاين للحظة.

— «بالنظر لخطورة هذه التهم والأدلة الدامغة، لدى المدعى عليه سبب وجيه لمغادرة المدينة لتجنب الإدانة.»

حين تقول المدعية ذلك بتلك الطريقة، يبدو الأمر مقنعًا جدًا. لو كنت القاضي، لما منحتُ ليام كفالة. نظرتُ لابني، الجالس بهدوء على طاولة الدفاع، كتفاه متصلبان، يحدق للأمام مباشرة.

أتمنى لو أعرف فيما يفكر.

نهض لاندون واقفًا:

— «سيدي القاضي، كل دليل لدى الادعاء هو دليل ظرفي. لا نعرف حتى في هذه اللحظة إن كانت أوليفيا قد هربت. نعم، كانا معًا تلك الليلة وكان هناك دليل على وجودها في سيارته. لكن هل هذا مفاجئ إن كانت حبيبته؟ علاوة على ذلك، المدعى عليه طفل في السادسة عشرة. إنه مجرد صبي.»

عند كلمات لاندون، اتجهت كل العيون في القاعة نحو ليام. أنا سعيدة لأنه ببدلة السجن المجعدة وليس ببدلة رسمية. بالبدلة الرسمية، كان سيبدو أكبر سنًا. أما الآن، فبالكاد يبدو في السادسة عشرة. يبدو كطفل صغير خائف.

تابع لاندون بصوت ألطف:

— «لم يبتعد عن والديه لأكثر من ليلة واحدة قط. ولا حتى في رحلة مدرسية. والدته تعمل من المنزل ويمكنها أن تكون معه في كل الأوقات. ويسعدنا تسليم جواز سفره أو أي شيء آخر تطلبونه. لكن هذه جلسة استماع للكفالة لتحديد خطر الهروب، وأعتقد أنه من الواضح أن موكلي لا يشكل أي خطر للهروب.»

مسد القاضي مايكومب لحيته البيضاء. نظر إلى ليام وحدد الكفالة بمئتي ألف دولار.

هذا سبب للاحتفال — كان بإمكان القاضي بسهولة رفض الكفالة تمامًا وكان ليام ليحبس مجددًا حتى المحاكمة. بدلًا من ذلك، بعد أن ندفع عشرة بالمائة من المئتي ألف لشركة سندات الكفالة، يمكننا إعادة ليام للمنزل بحلول هذا المساء. هذا يعني أيضًا أن مايكومب لا يرى أدلة المدعية ضد ليام قوية جدًا.

لكن لا أحد منا في مزاج احتفالي أثناء العودة للمنزل. السيارة صامتة لدرجة تشعرك أننا عائدون من جنازة. جيسون يقود وأنا بجانبه، أحدق من النافذة. هانا وليام في الخلف، هادئان لدرجة أنني كدت أنسى وجودهما.

سأل جيسون في محاولة بائسة لكسر الصمت:

— «كيف كانت الليلة الماضية؟»

شد ليام ياقته وتململ في مقعده. عاد لارتداء نفس القميص والجينز اللذين كان يرتديهما عند اعتقاله.

— «جيدة.»

— «هل تمكنت من النوم قليلًا؟»

— «قليلًا.»

— «هل أطعموك؟»

– «أجل. كان الأكل مقبولًا.»

– «ماذا كان العشاء؟»

– «لا أعرف. لا أتذكر.»

نكزتُ جيسون ليحاول التوقف. من الواضح أن ليام لا يريد التحدث عن ليلته في السجن. لا يسعني إلا تخيل كم كانت مروعة بالنسبة له. لكن أليس هذا ما يستحقه؟

حين وصلنا لبابنا الأمامي، استشعرتُ شيئًا بينما كان جيسون يفتح القفل. لا أعرف ما هو بالضبط، لكن انتابني شعور بأنه لا يجب علينا الدخول. كأن يدًا تدفع صدري للوراء. بشكل غريزي، وقفتُ أمام ليام. حتى بعد كل ما حدث، غريزتي هي أن أضع حياتي أمام حياته.

خاصة حين دخلنا ورأينا وميض سكين.

الفصل التاسع والأربعون

إيريكا

ظهرت من الظلال، شعرها أشعث، ووجهها ملطخ بمسارات الدموع. تحمل سكين تقطيع اللحم —— أحد سكاكيننا. عرفتُ المقبض. إنه سكين أهداه لنا أحدهم كهدية بمناسبة انتقالنا لهذا المنزل أول مرة. يقطع جيسون الديك الرومي بنفس السكين في كل عيد شكر. استخدمته بما يكفي لأعرف أن نصله قد تبلد عبر السنوات، لكنه بعيد كل البعد عن كونه غير مؤذٍ.

اندفعت نحونا بالسكين. تراجعتُ خطوة للخلف، ذراعاي مفرودتان لحماية ليام وهانا. رغم أن لدي شعورًا بأن ليام هو الهدف الحقيقي هنا. توجهت نحوه مباشرة، غير عابئة بوجودي بينهما، ولوحت بالسكين في وجهه.

صرخت المرأة فيه:

— «أين هي؟ أين ابنتي؟»

اتسعت عينا ليام. انفتح فمه وتمكن من القول:

— «أنا... لا أعرف.»

هزت المرأة، التي يبدو أنها والدة أوليفيا، السيدة ميرسر، السكين في وجهه:

— «أنت كاذب! أعرف كل شيء عنك يا ليام كاس. كانت ابنتي تتحدث عنك طوال الوقت. لكن ماديسون أخبرتني بحقيقتك.»

إنها وحدها ونحن أربعة، لكنها هي من تحمل السكين. من ناحية أخرى، يدها اليمنى ترتجف كورقة شجر. لا أظن أنها تستطيع طعنه حتى لو حاولت. لكنني أفضل ألا تحاول.

قال جيسون بأفضل محاولة لابتسامة:

– «سيدة ميرسر. أرجوك ضعي السكين جانبًا وسنتحدث.»

لم تبدِ أي محاولة لخفض السكين.

– «سأضع السكين حين يخبرني أين هي.»

أخرج جيسون هاتفه من جيبه:

– «إذا لم تضعي السكين، سأتصل بالشرطة حالًا.»

سالت دموع جديدة في عيني السيدة ميرسر:

– «اتصل بهم. لا أهتم. لقد أخذ بالفعل الشيء الوحيد المهم لي في العالم بأسره.»

نظرتُ لوجه ليام. حاجباه معقودان. بقدر ما أكره رؤية هذه المرأة تهدد ابني بسكين، هناك جزء مني يأمل أن ينجح هذا.

أخبرنا أين هي يا ليام! أرجوك!

لكنه لم ينبس بكلمة، وانهارت السيدة ميرسر باكية. أسقطت السكين على الأرض ودفنت وجهها بين يديها، تنتحب.

– «أتمنى لو لم تقابلك أبدًا. أتمنى...»

لم أعرف ماذا أفعل، فحاولت وضع يدي على كتف السيدة ميرسر، لكنها نفضتها بعنف. رفعت وجهها الملطخ بالدموع ونظرت لليام مرة أخيرة.

– «أرجوك أخبرني أين هي. إذا كان لديك ذرة إنسانية متبقية بداخلك، أرجوك...»

التقت عينا ليام بعينيّ. واكتفى بهز رأسه.

جيسون هو من قاد السيدة ميرسر بلطف خارج منزلنا. طلب لها سيارة أجرة وتأكد من ركوبها بأمان. بدت وكأنها هدأت، لكنها كانت لا تزال تبكي.

راقب ليام المشهد بأكمله، ووجهه خالٍ من أي تعبير. وحين انطلقت سيارة الأجرة، صعد لغرفته وأغلق الباب خلفه دون كلمة أخرى.

الفصل الخمسون

نص مقابلة الشرطة مع هانا كاس:

– «ما مدى قربك من أخيك يا هانا؟»

– «أود القول إننا مقربان جدًا. إنه أعز أصدقائي.»

– «أعز أصدقائك؟»

– «حسنًا، أجل. إنه أخي الكبير. وهو يعتني بي.»

– «أنتِ تفهمين التهم الموجهة إليه.»

– «نعم، أفهم. لكنكم مخطئون تمامًا. ليام لم يفعل شيئًا.»

– «هل أنتِ على علم بتاريخ سلوكه المعادي للمجتمع؟»

– «تعني ذلك الهامستر الذي قتله؟ نعم، أعرف ذلك. أمي تضخم الأمر كثيرًا. تضخم كل شيء. إنها ملكة الدراما.»

– «كانت هناك حوادث أخرى.»

– «لا شيء كبير.»

– «هل تحدث معكِ عن معلم اللغة الإنجليزية السابق، السيد يونغ؟»

– «سمعتُ عن ذلك. لكن ذلك كان سخيفًا. ليام لم يفعل ذلك. كان في الثالثة عشرة! كيف له أن يعرف كيف يصيب شخصًا بتسمم أول أكسيد الكربون؟ أنا بالكاد أعرف ما هو ذلك.»

– «لكنكِ كنتِ تعلمين أنه يكره ذلك المعلم؟»

– «أجل، ولكن... اسمع، ليام لم يفعل هذا لأوليفيا. لم يخطفها ولم يقتلها. كان معجبًا بها. كان متحمسًا جدًا لأنها وافقت على الخروج معه.»

– «لماذا كان متحمسًا؟»

– «أمم، لأنه في السادسة عشرة وفتاة تعجبه وافقت على الخروج معه؟ هل هذا سؤال جاد؟»

– «حذر العديد من زملائه أوليفيا من الاقتراب منه.»

– «مثل من؟ تايلر مارتينسون؟ إنه، حرفيًا، أسوأ شخص على قيد الحياة.»

– «لماذا تقولين ذلك؟»

– «لأنه كذلك؟ كان معجبًا بأوليفيا أولًا، وغضب لأنها أرادت الخروج مع ليام وليس معه. لأن ليام وسيم وساحر، وتايلر قبيح كالمؤخرة وغبي.»

– «يبدو أنكِ لا تحبين تايلر كثيرًا.»

– «دعني أخبرك شيئًا عن تايلر. إحدى صديقاتي خرجت معه مرة واحدة، وكان وقحًا ولم تخرج معه مرة أخرى. لكنه استمر في إزعاجها، فأخبرته أن يبتعد. ثم بدأ يضايقني أنا.»

– «ماذا فعل؟»

– «أشياء غبية في الغالب. يصرخ بشتائم في وجهي... وكأنني أهتم. لكن مرة حين كنتُ خارجة من المدرسة، أمسك بي ولم يدعني أذهب. تلك المرة أخافتني

نوعًا ما، لأنه ضخم الجثة. لاعب كرة قدم، أتعلم؟ كان يمكنه... حسنًا، لا أريد التفكير في ذلك.»

— «إذن ماذا حدث؟»

— «علم ليام بالأمر وكان غاضبًا جدًا. أعني، غاضبًا حقًا. أخبرني أنه سيتأكد من أن تايلر لن يزعجني مرة أخرى أبدًا.»

— «ماذا فعل؟»

— «لا أعرف. لكن بعد أن قال ذلك، تركني تايلر وشأني. لذا.»

— «ألم تسأليه أبدًا عما فعله؟»

— «أنا واثقة أنه كان أقل مما يستحقه تايلر. بصراحة، أراهن أن تايلر هو من قتل أوليفيا. لن أتفاجأ على الإطلاق. ليام كان هناك، لكن تايلر هو من يملك الدافع. كان ليقتل شخصًا فقط ليوقع ليام في ورطة. أقسم بالله.»

— «أوليفيا كانت في سيارة أخيك. كان هناك شاهد.»

— «صحيح. بالضبط. ليام يذهب في موعد مع أوليفيا، ثم يظهر عند منزلها ليلًا ولا يخفي الأمر على الإطلاق. بعد فعل كل ذلك، ألا تعتقد أنه سيدرك أنه لو اختفت، سيكون أول من يلام؟»

— «الأولاد في السادسة عشرة أغبياء.»

— «أخي ليس غبيًا. مهما قيل عنه، هو ذكي للغاية. إذا كنت تصدق حقًا تلك القصة الغبية عن السيد يونغ، فقد أفلت دون أثر. هل تعتقد حقًا أنه سيفعل شيئًا كهذا حين يكون من الواضح جدًا أنه سيُكشف؟»

— «ربما لم تفعل أوليفيا ما أراد منها فعله حين جاء لرؤيتها.»

— «مستحيل. أوليفيا كانت مأخوذة به تمامًا. كانت لتفعل أي شيء لأجله. لم يكن بحاجة لخطفها. أقول لك، ليام لم يفعل هذا. سترون. ستظهر الحقيقة.»

الفصل الحادي والخمسون

إيريكا

لم يتوقف هاتفي عن الرنين طوال اليوم. تمنيتُ لو أستطيع إغلاقه تمامًا، لكنني خائفة جدًا من تفويت مكالمة مهمة. مع ذلك، لا أجيب على أي أرقام لا أعرفها. ثمانون بالمائة على الأقل من المكالمات تهديدات. أشخاص من المرجح أنهم من بلدتي —— جيراني —— يخبرونني أن ابني يجب أن يُحبس، وأن عائلتي يجب أن تُقتل.

حتى المكالمات الألطف تترك مرارة في حلقي. اتصلت بي أم كنتُ على علاقة ودية معها، نانسي جيفرز، قبل ساعة. أخبرتني أنها لا تعتقد أن ليام مذنب وأنني أحظى بـ «دعمها الكامل»، لكنني تخيلتُ أنها بعد المكالمة عادت لصديقاتها لتنقل لهن كم بدا صوتي متعبًا ومجهدًا. إيريكا تبدو وكأنها تنهار. لا أود أن أكون مكانها.

بينما كنت أستعد للنوم، رن هاتفي مجددًا. التقطته ورأيت اسم جيسيكا مارتينسون على الشاشة.

لا ينبغي أن أجيب. لا خير يرجى من هذه المكالمة.

ولكن مرة أخرى، إذا كان هناك من يعرف القيل والقال، فهي جيسيكا.

قبل أن أتمكن من منع نفسي، ضغطت الزر الأخضر للرد.

— «مرحبًا؟»

- «إيريكا!»

كان صوت جيسيكا حلوًا كالعسل.

- «أنا جيسيكا. جيسيكا مارتينسون.»

وكأنني قد لا أعرف من تكون. وكأن رقمها ليس مخزنًا في هاتفي منذ عقد من الزمان.

ابتلعت ريقي بصعوبة:

- «مرحبًا. ما الأمر يا جيسيكا؟»

- «أردتُ فقط الاطمئنان عليكِ.»

- «بخير.»

لست بخير على الإطلاق، لكنها آخر شخص أود أن أفضفض له.

- «شكرًا لسؤالك.»

- «بالطبع.»

انتظرتُ منها قول مجاملة ما وإنهاء المكالمة. إذا احتجتِ أي شيء، أخبريني. لكنها لم تقل ذلك. انتظرت فقط على الطرف الآخر، وكأن لديها ما تقوله لكنها ليست واثقة كيف تقوله.

قلتُ أخيرًا:

- «هل هناك أي شيء يمكنني مساعدتك به يا جيسيكا؟»

صمتت للحظة.

- «لم أكن سأقول شيئًا، لكنني أشعر أنني يجب أن أفعل. إيريكا، أعتقد أنكِ ارتكبتِ خطأً بإخراج ليام من السجن بكفالة.»

شهقتُ، ورأسي يدور:

– «جيسيكا...»

– «أعرف أنك ستقولين إن هذا ليس من شأني. لكننا كنا صديقتين وعليّ قول ما عندي. كلنا نعلم أن ليام فعلها. إنه يستحق أن يكون في السجن.»

– «نحن لا نعرف ذلك...»

انفجرت قائلة:

– «بحقك! لا تهيني ذكائي. أعرف ليام جيدًا. لقد قتل قطًا في منزلي يا إيريكا. أعرف أنك أخذته لرؤية تلك الطبيبة النفسية. بوضوح، لم يجدِ ذلك نفعًا.»

كان حلقي جافًا جدًا، وحين فتحتُ فمي، لم يخرج شيء.

– «إيريكا، عليكِ ترك الشرطة تحبسه، ثم يجب عليكِ الرحيل. إذا دعمتِ ذلك الوحش، فأنتِ إذن...»

ضغطتُ الزر الأحمر لإنهاء المكالمة. لا أستطيع سماع كلمة أخرى من هذا. خاصة لأنني أعلم أنها محقة. ابني وحش، لكن كيف يمكنني الرحيل؟

غصتُ في السرير ودفنت وجهي بين يدي. لم أعد أعرف ما يجب فعله. غريزتي هي حماية ليام، لكنني لست واثقة إن كان ذلك هو الشيء الصحيح. لم أعد أعرف ما هو الصواب.

رن الهاتف مجددًا، وددتُ لو أرميه عبر الغرفة. فتحت عينيّ لأنظر للشاشة. فرانك مارينو. يعاود الاتصال بي.

هذه مكالمة يجب أن آخذها. لكن يداي كانتا ترتجفان بشدة، وواجهت صعوبة في ضغط الزر الأخضر.

– «مرحبًا؟ فرانك؟»

ضحك بظلامية:

– «تحظين بيوم مثير للاهتمام، أليس كذلك يا إيريكا؟»

إنه يعرف. بالطبع يعرف. إنه محقق.

– «نعم. بالفعل.»

– «حسنًا، فهمتُ أخيرًا لماذا كنتِ تحاولين إخافة كل أولئك الفتيات.»

اختلج فكي. ليس هذا وقت المزاح.

– «هل حصلتَ على عنوان مارفين هوليك؟»

– «أجل. حصلت عليه. رجل لطيف.»

كانت هناك نبرة سخرية في صوته.

– «الولد سر أبيه، أو جده في هذه الحالة.»

أردتُ إغلاق الهاتف في وجه فرانك مارينو وعدم الاتصال به أبدًا. لكن أكثر من ذلك، أردتُ العثور على والدي. يمكن أن يكون الإجابة لكل شيء.

– «ما هو العنوان؟»

تلاه عليّ ودوّنته على ورقة على منضدتي. يعيش في كوينز، ربما على بعد أقل من ساعة بالسيارة من هنا. حقًا، قريب جدًا. يمكنني القفز لرؤيته الليلة، لو أردت.

ربما ينبغي عليّ ذلك.

أتساءل ماذا سيقول مارفين هوليك حين أظهر عند بابه.

الفصل الثاني والخمسون

أوليفيا

أنا منهكة تمامًا. قضيتُ الجزء الأكبر من اليوم أطرق على الباب الأرضي. ذراعاي تؤلمانني، ولست واثقة حتى إن كنت قد أحرزت أي تقدم. في لحظة ما، كنت متأكدة أن الخشب يتشقق، لكن حين تحسسته بأصابعي، كان سليمًا. بالطبع، من الصعب التأكد لأنني لا أرى شيئًا لعينًا.

أنهيتُ أيضًا آخر ما لدي من طعام وشراب اليوم. حاولتُ الصمود، لكنني كنت جائعة وعطشى بشكل يائس بعد كل الجهد الذي بذلته. وقبل أن أدرك، نفد كل شيء.

ليس لدي طعام. لا شراب. لا شيء.

الأسوأ هو أنني التهمت كل كسرة طعام موجودة، لكن معدتي ما زالت تشعر بالفراغ التام. هناك وجع خفيف في وسط صدري. أشعر أنني لا أملك الطاقة للتحرك، ناهيك عن العودة للطرق على الباب الأرضي.

لكنه أملي الوحيد.

حسنًا، هذا ليس صحيحًا. قد تجدني الشرطة. بينما أستلقي في إحدى زوايا زنزانتي، أحاول تجاهل وجع الفراغ في بطني، وأتخيل كيف سيكون الأمر حين تقتحم الشرطة المكان. سيجدونني ويعيدونني لعائلتي. والأفضل من كل ذلك،

سيعاقبونه. والداي لن يتخليا عني أبدًا. سيستمران في البحث حتى يجداني. أنا أعلم ذلك.

لا أعرف كم الوقت حين سمعت الخطوات. فقدتُ كل إحساس بالوقت، لكن شريط الضوء اختفى، مما يعني أن الظلام حل في الخارج. أعلم في قلبي أنه هو على الأرجح، لكن تحسبًا لكونه ليس هو، صرخت:

– «المساعدة! ساعدوني أرجوكم! أنا هنا بالأسفل!»

حدث الأمر تمامًا كما في المرة السابقة. سمعت الأقفال تدار والمصباح يعميني. خطر لي أنه لو كنت قد أمضيت وقتي في تعلية الكومة بدلًا من الطرق على القفل، ربما كنتُ سأكون مستعدة للقفز عليه حين يفتح الباب الأرضي.

تبًا. فات الأوان الآن.

قال:

– «أوليفيا. كيف حالك؟»

بصقتُ عليه:

– «مريع. أنا أتضور جوعًا. أحتاج لطعام. وماء.»

قال بصبر:

– «نعم. الناس يحتاجون للماء ليعيشوا. هل تعلمين أن الإنسان يمكنه البقاء على قيد الحياة لثلاثة إلى خمسة أيام فقط بدون ماء؟ بدون ماء، ستبدأ أعضاؤك بالفشل في النهاية وسيتضخم دماغك. لكن الناس يمكنهم البقاء لفترة أطول بدون طعام. أسابيع. سيحلل جسدك الدهون الزائدة، وحين تنفد، سيحلل العضلات. جسدك سيستهلك نفسه فعليًا.»

رمشتُ ناظرةً إليه، أحاول تجاهل الصداع النابض الناتج عن ضوء المصباح في عينيّ. هناك نظرة انبهار على وجهه وهو يسرد هذه الحقائق. وكأنني فأر في تجربة علمية.

- «بم تشعرين يا أوليفيا؟»

تحول جوعي وعطشي إلى غضب. أنا لست تجربة علمية. أنا إنسان. ولن ألعب لعبته المنحرفة.

- «اذهب للجحيم.»

لكن غضبي بدا وكأنه يسليه فقط، تمامًا كتهديداتي.

- «فقط أخبريني. كيف هو شعور التضور جوعًا حتى الموت؟»

- «اغرب عن وجهي.»

مد يده في كيس ورقي بجانبه. سمعتُ خشخشة الورق، ثم خرجت يده من الكيس. في البداية ظننتُ أنه سيصوب مسدسًا نحوي. لكنه ليس مسدسًا. إنها قطعة خبز.

ابتسم لي:

- «أخبريني بما تشعرين وسأعطيكِ هذا الخبز.»

أردتُ ذلك الخبز بشدة. وكأنه قطعة فاخرة من كعك الشوكولاتة. حدقت فيه، أريد أن أخبره أن يذهب للجحيم مرة أخرى، لكنني أريد ذلك الخبز أكثر. فالخبز يعني البقاء. إذا مت، لن يستطيع أحد إخبار الشرطة بما فعله.

قلتُ:

- «أشعر وكأن شيئًا ينهش أحشائي. وأشعر بالدوار. وغثيان طفيف.»

هل هذا يكفي؟ هل هذا يكفيك أيها الوغد؟

أفترض أنه كافٍ، لأنه رمى الخبز في الحفرة. قمت بمحاولة فاترة لالتقاطه، لكنه سقط من بين أصابعي إلى التراب. لا أهتم. أنا قريبة من أكل التراب حرفيًا. رمى أيضًا زجاجة ماء بلاستيكية أخرى، لكن هذه كانت بنصف حجم الأخريات فقط. وواحدة فقط.

قال:

– «إذا تعاونتِ، ستعيشين لفترة أطول.»

أومأ برأسه نحو العظام في الزاوية. تحت ضوء مصباحه، استطعت رؤيتها بوضوح للمرة الأولى. محيط الأضلاع والحوض. ما كان يومًا ذراعين وساقين.

– «هي لم تتعاون.»

أتساءل عما يحدث في الخارج. لقد اختفيت منذ أيام —— لا بد أن الناس بدأوا يفترضون أنني ميتة. إلى متى سيدعني أعيش هنا بالأسفل؟ يبدو الأمر كالأبدية، لكنني أعلم أنه لا يمكن أن يستمر للأبد. إذا استمر في إطعامي بهذا القدر الضئيل، سأموت خلال شهر أو اثنين. لكن لدي شعور بأنه لن يطيل الأمر لتلك الدرجة. كما قال، الناس يعيشون من ثلاثة لخمسة أيام فقط بدون ماء.

وإذا تم اعتقاله بطريقة ما، ولم يخبر الشرطة بمكاني، ستكون تلك النهاية. سأموت من الجفاف في غضون أيام.

قال:

– «سأحاول العودة خلال بضعة أيام.»

– «بضعة أيام؟»

تصاعد ذعري مع إدراكي أن كل ما أملكه هو قطعة خبز واحدة وبالكاد نصف لتر من الماء.

– «لكن...»

– «ولا تضيعي طاقتك في محاولة الهرب. الخشب متين وكذلك القفل. لن تخرجي من هنا.»

مع تلك الكلمات، أغلق الباب الأرضي مرة أخرى، مغرقًا إياي في السواد مجددًا. لففت ذراعي حول ركبتي وأطلقت نشيجًا، لكن الدموع لم تأتِ. أنا مصابة بالجفاف لدرجة تمنعني حتى من البكاء.

إنه يقتلني.

الفصل الثالث والخمسون

إيريكا

بعد كل ما حدث بالأمس، لم أستطع استجماع الطاقة لزيارة والدي. قضيتُ نصف الليل أتقلب في الفراش، ولكن في حوالي الثانية صباحًا حين ركلتُ جيسون فأيقظته، اقترح بنعاس أن آخذ حبة زاناكس أخرى. لدي قواعد بشأن الكمية التي يمكنني تناولها في يوم واحد، ولقد تجاوزتُ حدي، لكنني لم أرغب في قضاء الليلة بأكملها مستيقظة. لذا تناولتُ واحدة، وأتت مفعولها.

لم أحاول حتى إعداد الإفطار للعائلة. حين دخلتُ المطبخ، كان ليام جالسًا على الطاولة مع وعاء من الحبوب. لكنه لم يكن يأكل. كان فقط يحركها بالملعقة.

سألته:

– «هل تريد بسكويت الوفل المجمد؟»

– «لا.»

– «بالكاد أكلت شيئًا في الأيام القليلة الماضية.»

– «لست جائعًا.»

– «عليك أن تأكل. ستمرض إن لم تفعل.»

رفع ليام عينيه البنيتين بتلك الرموش الطويلة التي تثير غيرة أخته:

– «لماذا تهتمين؟ أنتِ تظنين أنني قاتل.»

فتحتُ فمي، لكن لم يخرج شيء. ماذا عساي أن أقول لذلك؟ إنه محق. منذ وجدتُ عنوان أوليفيا في نظام تحديد المواقع بسيارتنا، لم تمر لحظة لم أعتقد فيها أن ليام مذنب.

كل ما استطعت قوله هو:

– «ما زلتُ أحبك.»

سخر ليام:

– «لماذا؟»

– «لأنك ابني.»

هز رأسه فقط. لكنني لا أتوقع منه أن يفهم. كان ذلك شيئًا أخبرتني به الدكتورة إيبير مرارًا. ليام غير قادر على الحب. هو يخبركِ أنه يحبك، لكنه يقول ذلك فقط لأنه يعلم أنه متوقع منه. ويعلم أنه يسعدك. ومن مصلحته أن يجعلكِ سعيدة.

أتساءل إن كان والدي قد أحبني يومًا.

عليّ رؤيته. بطريقة ما أشعر أن إعادة التواصل معه ستكون الإجابة لكل شيء.

تركتُ ليام في المطبخ، وتوجهت للطابق العلوي للاستحمام. كان جيسون خارجًا من الحمام، شعره رطب، ومنشفة ملفوفة حول خصره. بعد كل الجري الذي يمارسه، يبدو رشيقًا جدًا. لا يزال جذابًا للغاية، ربما أكثر مما كان عليه في شبابه. في ظروف مختلفة، ربما كنت سأغريه ببعض المرح الصباحي. لكن في ظل هذه الظروف، يبدو الأمر مستحيلاً.

قلتُ:

– «مرحبًا.»

فرك عينيه. يبدو متعبًا، وشعرتُ بالذنب لإبقائه مستيقظًا نصف الليل بسبب نومي المضطرب.

– «مرحبًا.»

– «كنت أتساءل إن كان بإمكانك البقاء في المنزل مع ليام. أنا... أنا بحاجة للخروج.»

– «إلى أين؟»

– «أحتاج لإنهاء بعض الأمور في الصحيفة.»

خرجت الكذبة من لساني بسهولة. لم أخبر جيسون أبدًا أن برايان طردني.

– «لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا.»

– «حسنًا.»

ارتدى جيسون قميصًا فوق رأسه.

– «خذي وقتك. سأهتم بالأمور هنا.»

قبل كذبتي بسهولة لدرجة شعرتُ معها بالذنب. جيسون يثق بالآخرين جدًا. يصدقني، ويصدق ليام. لماذا أنا الوحيدة المتشككة؟

تجاوزته إلى الحمام. قبل أن أدخل الدش، حدقتُ في نفسي في المرآة. قبل أسبوع، كنت سأقول إنني تقدمتُ في العمر برشاقة، لكنني الآن أبدو أكبر بعشر سنوات من عمري. كانت هذه أسوأ أيام حياتي. حين طُرد ليام من الروضة، بدا الأمر كأسوأ مأساة على الإطلاق. ماذا سأعطي لأعود لذلك الوقت.

حدقت في المرآة لعينين بنيتين، تحتهما الآن هالات أرجوانية. إنهما نفس العينين البنيتين اللتين يملكهما ليام. أقول إن ليام يشبه والدي، لكنه في الحقيقة، يشبهني. وأنا أشبه والدي.

أحيانًا أتساءل ما الذي نتشاركه نحن الثلاثة أيضًا.

ما الذي أنا قادرة على فعله؟

الفصل الرابع والخمسون

إيريكا

ركبتُ سيارتي بحلول التاسعة صباحًا، متوجهةً لزيارة مارفين هوليك. وبالنظر لأنني لم أتصل به، أدرك أن هناك احتمالًا كبيرًا ألا يكون في المنزل. لكنني ذهبتُ على أية حال. أحتاج لبعض الوقت بمفردي، والقيادة ستصفي ذهني.

أنتِ تظنين أنني قاتل.

لا أستطيع التوقف عن تخيل وجه ليام وهو ينطق بتلك الكلمات. بدا مجروحًا. لطالما آمنتُ أن لا شيء يؤثر في ابني، لكن ربما كنت مخطئة. ومع ذلك، ينتابني شعور بأن تعابيره المجروحة تلك مجرد تمثيلية أخرى. في النهاية، هانا وجيسون يصدقان أنه بريء، وأنا الوحيدة التي لا تزال ترى حقيقته. لذا، عليه كسب صفي.

بينما أقود، رن هاتفي. رأيتُ اسم والدتي يظهر على الشاشة وكدتُ أدع المكالمة تتحول للبريد الصوتي. لكن في اللحظة الأخيرة، حولتُ المكالمة لمكبرات صوت السيارة.

— «مرحبًا أمي.»

— «إيريكا!»

تتحدث أمي بصوت عالٍ جدًا، وهي عادتها دائمًا على الهاتف. لا تبدو قادرة على التحكم في مستوى صوتها حين تستخدم الهاتف الخلوي.

– «لماذا لم تتصلي بي؟ اكتشفتُ للتو من جين أثناء لعبة "البريدج" أن حفيدي قد اعتُقل!»

– «لا بأس. إنه في المنزل الآن.»

– «لا بأس؟ هل تعلمين ما يقولون إنه فعله؟»

– «كلا. ليس لدي أي فكرة عن الجريمة التي اتُهم بها ابني.»

– «إيريكا...»

– «نحن نتعامل مع الأمر يا أمي. لديه محامٍ جيد.»

– «لكن... يا إلهي، إنهم يقولون إنه...»

قلتُ بثقة لا أشعر بها:

– «سيكون كل شيء على ما يرام. الأمر ضخم بلا داعٍ. محامينا يقول إن كل شيء سيكون بخير.»

لكنني أفعل ذلك فقط لأمنع أمي من القلق.

– «هل قال ذلك؟»

– «نعم.»

إذا كنتِ تعنين بـ "بخير" أن المحامي يعتقد أنه مذنب ويجب أن يرشد الشرطة لمكان الجثة. لكنني كذبتُ بالفعل على زوجي اليوم. قد أكذب على والدتي أيضًا.

– «على أية حال، عليّ الذهاب.»

– «هل ستتصلين بي إذا حدث أي شيء آخر؟»

– «نعم.»

واو، كذبة أخرى. أنا في قمة نشاطي الكاذب.

العنوان الذي أعطانيه فرانك هو لمبنى سكني. يبدو أقرب لكونه مسكنًا متهالكًا، فالجدران الطوبية مغطاة برسومات الجرافيتي، والمظلة الصغيرة مليئة بالثقوب. مجرد النظر إليه يجعلني أرغب في ضم حقيبتي إلى صدري بقوة. ولكن مرة أخرى، من المفهوم أن والدي لا يستطيع تحمل تكلفة مكان أفضل للعيش فور خروجه من السجن. ليس من العدل أن أحكم عليه. على الأقل، ليس بناءً على مكان سكنه.

وفقًا للملاحظة المكتوبة على الورقة بجانبي، يسكن والدي في الطابق الثاني. ركنتُ سيارتي في مكان أمام المبنى مباشرة، وجلستُ هناك، أحاول استجماع شجاعتي لمقابلته. عليّ فعل هذا. عليّ فعله اليوم.

أخذتُ نفسًا عميقًا وترجلتُ من السيارة. مشيتُ بخطى غير ثابتة نحو المبنى، ممتنة لأنني ارتديتُ حذاء الباليه المسطح لهذه الرحلة، لأنني كنتُ سأسقط على وجهي لو ارتديتُ كعبًا عاليًا. يوجد جرس اتصال داخلي عند المدخل، لكن صدف وصولي مع خروج رجل، فأمسك لي الباب لأدخل. وبهذه السهولة، أصبحتُ في الداخل.

صعدتُ الطابقين لأصل إلى الطابق الثاني. حين خرجتُ للرواق، كانت رائحة البول تزكم الأنوف، والطلاء يتقشر عن الجدران، والمصباح في الأعلى يومض. شقة والدي رقم ٢٠٣. مشيتُ عبر الرواق حتى وصلتُ للباب. الرقم ٢٠٣ محفور في الطلاء. قبل أن تخونني شجاعتي، مددتُ يدي وضغطتُ الجرس.

ثم انتظرت.

انتظرت دقيقة. دقيقتين. بحلول الدقيقة الثالثة، بدأت الفراشات في معدتي تهدأ. بوضوح، مارفين هوليك ليس هنا الآن. سأعود لمقابلة والدي في يوم آخر.

لكن فجأة، فُتح الباب بعنف.

الفصل الخامس والخمسون

إيريكا

– «أيًا كان ما تبيعينه، لست مهتمًا.»

حدق بي رجل عجوز من خلف سلسلة الباب. بالكاد أستطيع رؤيته، لكن يمكنني تمييز عينيه. عيناي. عينا ليام. إنه هو. والدي.

قلتُ:

– «أنا لا أبيع شيئًا.»

ضيق عينيه نحوي:

– «إذن ماذا تريدين؟»

– «أنا...»

تنحنحتُ.

– «هل يمكنني الدخول والشرح؟»

– «لا. أخبريني بما تريدين ثم سأقرر إن كان يمكنكِ الدخول.»

ليست هذه الطريقة التي أردتُ بها إجراء هذه المحادثة —— عبر سلسلة باب. لكنه لا يترك لي خيارًا.

– «أنا... أنا ابنتك. أنا إيريكا.»

تعمق الشك في عينيه للحظة، لكن شيئًا ما تغير بعدها. أغلق الباب وسمعته يعبث بالسلاسل. حين فتح الباب مجددًا، كانت السلسلة قد أزيلت.

بدا مجرد رجل عجوز الآن. الشعر الداكن الكثيف في الصورة التي أحتفظ بها في درجي اختفى تقريبًا، وما تبقى منه أبيض وخفيف. أسنانه صفراء ولديه ترهلات كبيرة في خديه. يرتدي قميصًا كاروهات وحمالات بنطال. إنه شبح للرجل الوسيم الذي كان عليه يومًا.

ارتجف صوته:

– «إيريكا. لا أصدق أنكِ هنا. تفضلي بالدخول.»

دخلتُ شقته الصغيرة، ذات الأثاث المتناثر؛ أريكة قديمة متهالكة تبدو وكأنها التُقطت من الرصيف، خزانة كتب فارغة، وطاولة قهوة إحدى أرجلها قصيرة. أيضًا، غرفة المعيشة فوضوية للغاية. الغسيل مبعثر في كل مكان وعلب الطعام تملأ طاولة القهوة. كبتُ رغبتي في ترتيب المكان بنفسي. ربما لم يعش هنا لفترة طويلة تكفي ليصبح مهووسًا بالتكتيم (الاحتفاظ بالأشياء وتكديسها)، لكنه يسير في هذا الاتجاه.

قال بقلق وهو يشير لأريكته المتهالكة التي تبدو وكأن الديدان أو البق يزحف عليها:

– «اجلسي! هل يمكنني إحضار شيء لتشربيه؟»

– «لا.»

سأرعب لو شربتُ من أحد الأكواب في هذا المكان.

– «شكرًا لك.»

جلس والدي، مارفين هوليك، بجواري على الأريكة. ارتسمت ابتسامة متوترة على شفتيه جعلته يبدو أصغر سنًا —— يشبه ليام قليلًا حين يبتسم هكذا. إنه ليس ما توقعته على الإطلاق. كنت أتوقع نوعًا يشبه شون كونري، يدخن

سيجارة ويشرح بلامبالاة ولكنة اسكتلندية محتملة عن جريمة القتل التي ارتكبها. لكن هذا الرجل بعيد كل البعد عن شون كونري. إنه أقرب لشخصية «مستر ماجو» الكرتونية.

رمش بعينيه الدامعتين نحوي:

– «أنا سعيد جدًا بوجودك هنا يا إيريكا.»

ابتسمتُ بفتور.

تابع قائلًا:

– «أردتُ بشدة الاتصال بكِ بعد خروجي من السجن. لكنني كنت أعرف ما قالته لكِ والدتك عني. وظننت... حسنًا، ظننت أنكِ ستكونين أفضل حالًا بدوني في حياتك. لكنني سعيد حقًا بوجودك هنا.»

أومأتُ برأسي.

– «أريد سماع كل شيء عن حياتك.»

بدأ يمد يده ليمسك بيدي، لكنني سحبتها قبل أن يلمسني.

– «هل أنتِ متزوجة؟ هل لديك أطفال؟»

قلتُ بتصلب:

– «متزوجة، ولدي طفلان مراهقان.»

أشرق وجهه:

– «لدي أحفاد؟ هل لديك صور؟»

تأملتُ وجهه المجعد. هل هذا كله تمثيل لكسب ودي؟ هل هو متحمس فعلًا لرؤية صور أطفالي؟ لأن الحقيقة هي أن مارفين هوليك لا يبدو

كسوسيوباثي. على الإطلاق. لكنه ارتكب جريمة قتل. ووصف أمي له كان مطابقًا لليام.

أخرجتُ هاتفي ببطء من حقيبتي وفتحتُ بعض الصور الحديثة للأطفال. أخرج والدي نظارة ونظر للصور لفترة أطول من أن تكون مجرد تمثيل. حين وصل لصورة ليام بعد المناظرة مباشرة، شهق.

– «يا إلهي! الفتى يشبهني تمامًا!»

قلتُ باقتضاب:

– «نعم.»

هذا ليس كل ما ورثه منك.

سأل والدي:

– «ماذا يفعل هناك؟ إنه يرتدي ملابس رسمية.»

– «إنه في فريق المناظرة.»

– «فريق المناظرة!»

أشرق وجهه مجددًا.

– «يا له من فتى ذكي. واو. لا بد أن زوجك ذكي. بالتأكيد لم يرث ذلك مني.»

– «الأم ذكية جدًا.»

تلاشى الابتسام عن شفتيه:

– «أنتِ محقة. هي كذلك.»

أعاد إليّ هاتفي، وعلى وجهه تعبير مضطرب.

— «أنا آسف جدًا يا إيريكا. بشأن... حسنًا، بشأن كل شيء. لقد أفسدت الأمور حقًا.»

تمتمتُ:

— «أجل.»

خفض عينيه:

— «على الأرجح تريدين معرفة ما حدث.»

لا أريد أن أعرف. لكن عليّ أن أعرف. أحتاج لمعرفة ما دفعه لقتل امرأة. وما يمكنني فعله لمنع حفيده من مواجهة نفس مصيره — إن لم يكن قد فات الأوان.

اكتفيت بقول:

— «نعم.»

أومأ وتنهد، غائصًا أكثر في أريكته المتهالكة. مرر يده خلال ما تبقى من شعره. من الصعب تخيل أنه كان يومًا داكنًا وكثيفًا كشعر ليام.

قال أخيرًا:

— «كنتُ شابًا وغبيًا. مزيج سيء للغاية. التقيت بتلك الفتاة. نانسي. يا إلهي، أتمنى لو أستطيع محو كل ذلك. كنت أحب والدتك، لكن... كنت صغيرًا جدًا ووسيمًا أكثر مما ينبغي لمصلحتي. ثم أخبرتني الفتاة أنها حامل — وهددت بإخبار والدتك. ظننت أن والدتك ستتركني، وسأخسر كليكما.»

— «لذا قتلتها.»

— «لا!»

انفجرت عيناه البنيتان الدامعتان بالرفض. تلك العيون كانت بنفس لون عيني ليام، لكنها الآن فقدت بريقها، كقميص غُسل مرات كثيرة جدًا.

– «لم أرد قتل نانسي. أقسم. أنا فقط... أعطاني أحد رفاقي بعض الحبوب لأدسها لها لتجهض الطفل. وبعد ذلك، كنت سأنهي الأمر معها وأكون مخلصًا لوالدتك. لم أرد قتلها قط. أقسم بذلك.»

حدقتُ فيه.

هز رأسه:

– «أنتِ لا تصدقينني. لا ألومك. الشرطة لم تصدق ذلك أيضًا. ربما كانوا ليصدقوا لو كانت حاملًا حقًا، لكنها كذبت بشأن ذلك. لم يكن هناك طفل أبدًا.»

أخذ نفسًا مرتجفًا.

– «ثم خسرتكما على أية حال.»

أشحتُ بنظري، عاجزة عن النظر في عينيه. هل أصدقه؟

قال:

– «كان خطأً فادحًا. أتمنى لو أستطيع التراجع عنه. كنت سأواجه العواقب —— مهما كانت. لكن يا إلهي، لقد دفعت الثمن. فاتني عمركِ كله. فاتني الحصول على حفيد يشبهني تمامًا. فاتني حمل أحفادي وهم رضع. وأنجيلا... لم تأتِ لزيارتي أبدًا. أرادت أن تنسى وجودي. وتربيكِ بنفسها.»

– «لقد قامت بعمل جيد.»

– «نعم. بالتأكيد فعلت.»

خلع نظارته وفرك عينيه.

– «أنا لا أستحق ذلك يا إيريكا، لكنني كنت آمل أن أقابل عائلتك يومًا ما. هل تظنين أن هناك فرصة لذلك؟ في يوم ما؟»

– «ربما.»

أعلم أن إخباره بـ «نعم» سيجعله أسعد رجل في العالم، لكنني لا أستطيع فعل ذلك الآن. من الواضح أنه لا يعلم شيئًا عن ورطة ليام. لا أستطيع بناء علاقة مع والدي في ظل هذا الوضع. وما زلت لا أعرف كيف أشعر تجاه اعترافه.

— «سأكون على اتصال.»

— «حسنًا.»

منحني ابتسامة عصبية.

— «أليس لديكِ، بالمصادفة، صورة لكِ وللأولاد يمكنني... الحصول عليها؟»

لدي نسخ بحجم المحفظة لصور هانا وليام المدرسية. دسستُ لوالدي نسخة من كلتيهما. أمضى ثوانٍ إضافية يتأمل صورة ليام، وشفتاه مفترقتان. لقد فاته الكثير حقًا. كان سيحب أن يكون جدًا لهؤلاء الأطفال.

وكيف كانت حياتي لتكون لو كان موجودًا فيها؟ لو لم يرتكب ذلك الشيء الغبي ويحبس نفسه بعيدًا؟

كل شيء كان ليكون مختلفًا.

نظرتُ إلى ساعتي وأدركت أنني هنا منذ ساعة. عليّ العودة للمنزل قبل أن يبدأ جيسون بالتساؤل عن مكاني الحقيقي. آخر ما أحتاجه هو أن يتحدث مع برايان. لذا ودعتُ والدي وأسرعتُ لسيارتي. أصر على مرافقتي للأسفل، ولوح لي حتى قدتُ مبتعدة.

لا أعرف ماذا كنت أتوقع حين ذهبت لزيارة والدي. لم أكن أتوقع رجلًا عجوزًا وحيدًا، هذا مؤكد. ليس لدي أي فكرة إن كان مارفين هوليك أراد حقًا قتل تلك المرأة أم أنه كان يقول الحقيقة وكان الأمر كله حادثًا مروعًا. أريد أن أصدق أنه ليس قاتلًا. أريد تصديق ذلك أكثر من أي شيء.

لكنني أعرف شيئًا واحدًا: إذا كان سوسيوباثيًا، فهو أفضل ممثل في تاريخ العالم.

الفصل السادس والخمسون

إيريكا

توقفتُ عن الرد على هاتفي تمامًا. لا أعرف من أين حصل الناس على رقمي، لكنني أتلقى تهديدات بالقتل طوال اليوم. وتزداد سوءًا شيئًا فشيئًا. يتصل بي أناس، يخبرونني أنهم سيقتلونني، ويقتلون ابنتي، وخاصة ابني. إذا لم أجب، يتركون رسائل. الأمر مريع.

ومع ذلك، إلى حد ما، أعرف كيف يشعرون. يلومونني على ما فعله ليام. وأنا ألوم نفسي. أشعر أن هناك شيئًا كان يمكنني فعله. ربما حين لم ينجح الأمر مع الدكتورة إيبير، كان بإمكاني إيجاد شخص آخر. شخص أفضل. شخص كان بإمكانه إصلاحه.

أو كان بإمكاني فعل ما اقترحته جيسيكا مارتينسون. كان بإمكاني حبسه ثم الرحيل.

لكن ذلك لم يكن ليحل المشكلة. لا يمكنك حبس شخص بسبب أفكاره. كان بإمكاني إرساله لمدرسة داخلية، لكن بمجرد بلوغه الثامنة عشرة، لم يكن هناك شيء لأفعله.

في السادسة والنصف، رن هاتفي فجفلتُ تلقائيًا. أنا مستلقية على السرير، أراقب الساعة حتى يعود جيسون — كان من المفترض أن يعود قبل عشر دقائق. كنت أرفض التحرك من شرنقتي الآمنة على السرير حتى أسمع دخوله في الطابق السفلي. لكنني نظرت للشاشة ورأيت اسم جيسون.

– «جيسون؟»

بدا صوته متعبًا على الطرف الآخر.

– «مرحبًا. اسمعي...»

– «أرجوك لا تخبرني أنك ستتأخر...»

– «أنا آسف حقًا.»

أطلق تنهيدة طويلة.

– «كنت أطفئ الحرائق طوال اليوم — الجميع يعرف بشأن ليام. انسحب اثنان من المستثمرين اليوم.»

انقبضت معدتي. لم أظن أن الأمور قد تزداد سوءًا، لكن ها نحن ذا. لا يمكننا تحمل خسارة دخل جيسون. لدينا رهن عقاري ضخم والآن فواتير ليام القانونية.

ضغطتُ على الهاتف بقوة أكبر:

– «كم من الوقت حتى تعود للمنزل؟»

– «لدي عشاء عمل الآن، ثم عليّ الجلوس مع فريقي لمناقشة الوضع. لن أتمكن من التوجه للمنزل قبل ساعتين على الأقل.»

– «ساعتان؟»

سأنفجر بالبكاء. كنت بالكاد متماسكة، لعلمي أن جيسون سيعود قريبًا. ساعتان حتى ينطلق تعني ثلاث ساعات على الأقل حتى يصل. وهذا إذا خفت الزحمة بحلول ذلك الوقت.

قال مجددًا:

– «أنا آسف حقًا يا إيريكا.»

لا أريد البقاء وحدي الآن. أنا خائفة من أن يلقي شخص آخر صخرة عبر نافذتنا. أو يحرق المكان بأكمله. الآن وقد غربت الشمس، أشعر بقلق خاص.

قال أخيرًا:

– «إذا أردتِ، سألغي الاجتماعات. إذا كنتِ تحتاجينني حقًا...»

أغرتني الفكرة بالموافقة. أنا أحتاجه فعلًا. لكننا لا نستطيع تحمل خسارة دخله أيضًا. عليّ التحمل. في النهاية، هي مجرد ثلاث ساعات. ماذا يمكن أن يحدث في ثلاث ساعات؟

– «لا بأس. سأكون بخير.»

– «هل أنتِ متأكدة؟»

– «أنا متأكدة.»

زفر بارتياح:

– «حسنًا، شكرًا يا إيريكا. سأعود للمنزل بأسرع ما يمكن.»

ابتلعتُ ريقي بصعوبة:

– «أحبك.»

– «أحبكِ أيضًا.»

ثلاث ساعات. سيكون في المنزل خلال ثلاث ساعات. ليست مدة طويلة.

حاولتُ إشغال نفسي بمشاهدة التلفاز. أي شيء عدا الأخبار. شغلتُ فيلمًا على نتفليكس لضمان عدم سماع أي تقارير إخبارية. التقرير الوحيد الذي أريد سماعه هو العثور على أوليفيا ميرسر وأن ابني لا علاقة له بالأمر بطريقة ما. احتمال ضعيف جدًا.

كانت الساعة حوالي الثامنة والنصف حين سمعتُ طرقًا على باب غرفتي.

– «تفضل!»

فُتح الباب وكان ليام يقف عند المدخل. يرتدي نفس القميص والجينز اللذين ارتداهما أمس —— أتساءل إن كان قد نام فيهما. نظر إليّ، وكانت عيناه محمرتين. هذا شيء لم أره من قبل.

– «ليام؟»

– «أمي.»

انكسر صوته وهو يقولها.

ثم بدأ بالنشيج. ابني ذو الستة عشر عامًا —— رجل تقريبًا —— يبكي بحرقة. كتفاه تهتزان، ويدفن وجهه المتورم بين يديه. قفزتُ من السرير وألقيتُ ذراعي حوله، فتشبث بي. لم أره هكذا من قبل. ولا حتى كطفل.

– «ليام. حبيبي، ما الخطب؟»

إنه سؤال غبي. ما الذي ليس خطأً؟ لكن بالتحديد، من الواضح أن هناك شيئًا يزعجه. ربما هو خائف من احتمال قضاء بقية حياته في السجن. لا ألومه على ذلك.

– «هناك شيء...»

شهق محاولًا التقاط أنفاسه.

– «هناك شيء يجب أن أخبركِ به.»

حبستُ أنفاسي:

– «عن أوليفيا؟»

أومأ ومسح عينيه.

– «هل... هل تعرف أين هي؟»

أومأ مرة أخرى.

إنه صحيح. كل ما خشيته صحيح.

— «هل هي حية؟»

صمت للحظة.

— «أنا... لا أعرف.»

من الأفضل لك أن تأمل أنها حية. إنه الفارق بين السجن المؤبد وفرصة للخروج يومًا ما. لكنني لم أقل كل ذلك. إنه يبكي بالفعل. لا داعي لجعله يشعر بأسوأ مما هو عليه.

قلتُ:

— «يجب أن نتصل بالشرطة. الآن. سنخبرهم بمكانها.»

هز رأسه بقوة:

— «لا. هذه... ليست فكرة جيدة.»

— «ليام...»

— «سأريكِ كيف نصل إلى هناك. سنذهب معًا.»

— «نحتاج للاتصال بالشرطة.»

— «أرجوكِ يا أمي.»

انكسر صوته مرة أخرى.

— «سنتصل بالشرطة حين نصل هناك، حسنًا؟ يجب أن نذهب. الآن.»

فاجأتني العجلة في صوته. في النهاية، أينما كانت أوليفيا، فهي هناك منذ أيام. ما المهم جدًا في الذهاب الآن؟ لكنه ينظر إليّ بعينيه المتورمتين، ومن الصعب أن أقول لا. بمجرد وصولنا هناك، سأتصل بالطوارئ.

– «حسنًا. لنذهب.»

لم يتحدث ليام كثيرًا أثناء الرحلة بالسيارة. أبقى عينيه مثبتتين على الطريق أمامنا، متحدثًا فقط ليعطيني الاتجاهات. حين سألته عن العنوان، قال إنه لا يملك عنوانًا. لكنه يعرف كيف يصل إلى هناك.

ركزتُ على الطريق. أينما كان يأخذني، عليّ أن أدعو أن تكون أوليفيا لا تزال حية. إذا كانت حية، يمكننا تصحيح هذا. لديه فرصة.

إذا كانت ميتة، فسيقضي بقية حياته في السجن.

حين توقفنا عند إشارة حمراء، مددتُ يدي لهاتفي.

– «دعني أرسل رسالة لوالدك لأخبره إلى أين نحن ذاهبان.»

قال بحدة:

– «لا. لا تفعلي ذلك.»

قالها بقسوة جعلتني أشعر بعدم الارتياح. خطر لي أن ليام يقودني إلى الغابة وحدنا ولن يخبرني إلى أين نحن ذاهبان أو يدعني أخبر أي شخص آخر. قد يكون ابني قد فعل بعض الأشياء السيئة في حياته، لكنه لم يرفع يده عليّ قط. أبدًا.

لكن الآن، ولأول مرة في حياتي، أنا خائفة على سلامتي الشخصية. ماذا لو لم يكن يقودني لأوليفيا؟ ماذا لو كان يأخذني للغابة ليقتلني؟

لا. لن يفعل. ليس ابني. طفلي. مفضلي.

قال ليام:

– «انعطفي يمينًا هنا.»

حدقتُ حيث يشير. لم أرَ سوى أشجار، وممر ضيق بينها.

— «هذا ليس طريقًا حتى.»

أصر بعناد:

— «انعطفي يمينًا.»

كنتُ على وشك الاحتجاج حين رأيت عجلة تدور مستندةً على شجرة. حدقتُ في الغابة المظلمة.

— «أليست تلك دراجة هانا؟»

نظرتُ إلى ليام. كان يحدق في الدراجة أيضًا، بتعبير لا يمكن قراءته على وجهه.

— «لنذهب.»

قلتُ للمرة المليون:

— «ربما يجب أن نتصل بالشرطة.»

— «أمي...»

لكنني أخرجتُ هاتفي. اكتفيتُ من هذه الألاعيب. لن أقود سيارتي في هذا الطريق الضيق إلى مكان لا يعلمه إلا الله. وحقيقة وجود هانا هنا أيضًا مقلقة للغاية. هذا وقت تدخل الشرطة. أعرف متى تكون الأمور أكبر من قدرتي. وبصراحة، ليام بدأ يخيفني. ظل يحدق للأمام مباشرة، يحدق في الغابة.

سأتصل بالشرطة. سأخبرهم بكل شيء. بمجرد أن...

يا إلهي. لا توجد إشارة.

وضع ليام يدًا واحدة على عجلة القيادة، وبالكاد أستطيع تمييز وجهه في الظلال.

– «لنذهب يا أمي. إذا لم تقودي أنتِ، سأقود أنا.»

الفصل السابع والخمسون

أوليفيا

قطعة الخبز وزجاجة الماء أصبحتا ذكرى بعيدة.

نقص الماء أصعب بكثير من نقص الطعام. فمي جاف لدرجة أنني بالكاد أستطيع فتحه. أشعر وكأن شفتي ملتصقتان بصمغ. وكلما حاولت الوقوف، أشعر بالدوار. رأسي يدور. حين أغفو، أحلم بالماء. أحلم بإيجاد بركة ماء ولعقها كالكلب. لست انتقائية. سأشرب من مرحاض لو استطعت.

بمناسبة الحديث عن المراحيض، لا أذكر آخر مرة تبولت فيها. لا أظن أنني أنتج بولًا بعد الآن.

إنه يقتلني. سيدعني أموت ميتة مروعة من الجفاف. لن يترك الأمر يصل لدرجة الموت جوعًا، رغم أن ذلك سيكون مريعًا أيضًا.

الشيء الإيجابي الوحيد الذي يمكنني قوله هو أن كاحلي الأيسر لم يعد ينبض بالألم كما كان. بالكاد ألاحظه، إلا حين أمرر أصابعي على ربلة ساقي، الجلد مشدود ومتورم. لم أعد أستطيع تحريك أصابع قدمي أو تحريك كاحلي. أنا واثقة أنني لو حاولت وضع ثقلي عليه، سيؤلمني، لكنني لا أملك القوة للوقوف.

حل الليل الآن. اختفى ذلك الشريط الضئيل من الضوء. لقد اعتدتُ على الظلام الدامس في هذه الحفرة. سواء فتحت عيني أو أغلقتهما، فالأمر سيان.

هكذا لا بد أن يكون شعور العمى. هذا يثبت فقط أنك تستطيع الاعتياد على أي شيء. يبدو طبيعيًا الآن أن أتحسس طريقي.

أفزعتني خطوات فوق رأسي وأخرجتني من ذهولي. هل عاد؟ بهذه السرعة؟ لم يمض وقت كافٍ بعد، أليس كذلك؟

ربما أحضر لي طعامًا أو ماءً. أنا مستعدة لفعل أي شيء يريده مقابل ذلك. أي شيء. لم يتبق لدي أي كبرياء. أريد فقط أن أشرب.

— «مرحبًا؟»

انتفض رأسي للأعلى. هذا ليس صوته. هذا صوت أنثوي. صوت فتاة شابة.

هل هناك من جاء للبحث عني؟

استجمعت كل قوتي، وأخذت نفسًا عميقًا وحاولت الصراخ طلبًا للمساعدة. لكن حين فتحت فمي، لم تخرج أي كلمات. حلقي جاف جدًا.

تنحنحتُ بأفضل ما أستطيع:

— «المساعدة! ساعدوني! أنا هنا بالأسفل!»

كان هناك صمت طويل وصوت حركة أقدام.

— «مرحبًا؟ هل أنتِ في الداخل؟»

— «نعم!»

امتلأ صدري بالارتياح.

— «أنا هنا بالأسفل! اسمي أوليفيا ميرسر! الناس يبحثون عني!»

قال الصوت الأنثوي:

— «لحظة. هناك مفتاح على الحائط.»

حاولتُ النهوض، لكن الأمر صعب للغاية. ساقي اليسرى لا تتحمل أي وزن، وساقي اليمنى تبدو كالهلام. لكن عليّ الوقوف. لا أعرف كيف سأخرج من هنا بطريقة أخرى.

سمعتُ صوت مفتاح يدار في قفل. رن صوت معدن يرتطم بمعدن، وسقط شيء ما على الأرض. وقبل أن أدرك، سُلط ذلك المصباح عليّ، ساطعًا لدرجة شعرتُ معها وكأن سكينًا تغرز في عينيّ. أغمضتهما بقوة، لكن الضوء ظل ساطعًا جدًا.

شهقتُ:

– «أبعدي الضوء!»

قالت الفتاة:

– «أنا آسفة.»

والآن وقد توقف الضوء عن إعمائي، أستطيع أن أرى أنها فتاة حقًا —— حتى أصغر مني. تأملتُ شعرها البني المحمر ووجهها المستدير. تبدو مألوفة. في حالتي المشوشة هذه، استغرق الأمر دقيقة لأدرك من تكون.

هانا كاس.

شهقتُ:

– «هانا. هل...»

– «أعرف.»

كان صوتها حزينًا.

– «تبعتُه إلى هنا الليلة الماضية. لم... لم أرد أن أصدق ذلك حقًا.»

بدت وكأنها ستبكي، ولا ألومها. بقدر ما كان هذا مريعًا لي، سيكون سيئًا جدًا لها أيضًا. حياتها لن تعود كما كانت أبدًا بعد هذا.

قالت:

– «أعتقد أنه سيجد طريقة للمجيء الليلة. علينا الخروج من هنا.»

– «هل اتصلتِ بالشرطة؟»

هزت هانا رأسها:

– «لم أرغب في الاتصال حتى أتأكد من أن... على أية حال، لا توجد تغطية هنا. علينا الهروب. لدي دراجتي.»

الهروب ركضًا؟ هذا لن يكون ممكنًا، بالنظر لحالة كاحلي. لكن الأهم أولًا. أحتاج للخروج من هذه الحفرة اللعينة.

قالت هانا:

– «لا أفترض أن بإمكانكِ التسلق للخارج.»

اعترفتُ:

– «كاحلي مصاب. هذا سيجعل الأمر صعبًا.»

عقدت حاجبيها:

– «إذا مددتُ لكِ يدي، هل تظنين أن بإمكانك...؟»

حاولتُ الوقوف مرة أخرى. ساقي اليمنى مطاطية حقًا. كدتُ أصل لوضع الوقوف، ثم وضعت بالخطأ وزنًا ضئيلًا على كاحلي الأيسر. كان الألم كجمرات ملتهبة. صرخت وانهرت على الأرض.

– «أوليفيا؟»

شهقتُ:

– «لا أستطيع الوقوف. لا أستطيع فعلها. سيكون عليكِ... الذهاب لإحضار مساعدة...»

فكرة إرسال هانا بعيدًا كانت مرعبة. مر دهر وأنا أنتظر مجيء أحد إلى هنا، ولا أريدها أن تغادر. لكن لا توجد طريقة لأتسلق خارج هذه الحفرة، حتى بمساعدتها. نحتاج لشخص أكبر وأقوى، وربما سلمًا.

نظرتُ لأعلى نحو هانا، التي كانت عابسة. سألتها:

— «ما الخطب؟»

— «أعتقد أنني أسمع شيئًا.»

صمتنا كلتانا. أسمع دقات قلبي في أذني، ولا شيء آخر. في البداية. لكنني سمعته بعدها.

حفيف أوراق الشجر. متبوعًا بخطوات. صوت صرير مفاصل الباب.

همست هانا:

— «إنه هنا.»

يا إلهي. إنه هنا. وسيقتلنا كلتينا. حسنًا، ربما ليس هانا. ربما يدعها تعيش —— هي من العائلة. لكنني منتهية. في هذه المرحلة، أصبحتُ عبئًا بوضوح. على الأرجح لم يعد الأمر يستحق بالنسبة له مشاهدتي أتضور جوعًا.

ملأ صوته الغرفة فوقي:

— «مرحبًا هانا.»

انكمشتُ لسماع نبرته المألوفة.

— «ظننتُ أنني قد أجدكِ هنا.»

صمتت للحظة. حين تحدثت مرة أخرى، كان صوتها يرتجف:

— «مرحبًا أبي.»

الفصل الثامن والخمسون

جيسون

هل جاء دوري أخيرًا؟ هل انتهت إيريكا من الحديث؟ أم سيستمر الأمر لساعة أو اثنتين أخريين؟

تلك هي إيريكا. لا تصمت أبدًا. تقلق دائمًا بشأن كل صغيرة وكبيرة. مهووسة. خاصة بشأن ليام. كلما فتح فمه، تحلل كلامه حتى الموت. نصف الوقت، أكتفي بالتحديق فيها، أنتظر توقفها عن الكلام. هانا مثلها تمامًا. قد لا تتشابهان في الشكل، لكنهما فولة وانقسمت نصفين. البنت سر أمها.

ليام، من ناحية أخرى. حسنًا، يمكنكم تخمين من يشبه.

ربما تتساءلون لماذا تزوجت إيريكا، بالنظر لكونها بعيدة كل البعد عن كونها شخصي المفضل. لا توجد إجابة بسيطة لذلك، لكنني أفترض أن جزءًا مني أراد حياة طبيعية. حين قابلت إيريكا لأول مرة، كانت جميلة. ذلك الشعر الأسود الطويل والعينان الداكنتان. كانت ترتدي قميصًا أبيض ضيقًا وتنورة تترك ما يكفي للخيال. رغبتُ فيها. وليس لليلة واحدة فقط ثم أتخلص من الجثة. أردتها لليلة ثانية، تحولت لثالثة، ثم لسنة.

وللمرة الأولى، استطعتُ تخيل حياة طبيعية لنفسي. حسنًا، طبيعية بقدر ما أنا قادر عليه. زوجة — عائلة. لم تبدُ فكرة سيئة، وقبل أن أفكر في الأمر مليًا، كنا أنا وإيريكا نتزوج. بالنظر للوراء، كان ذلك خطأً. لكن بحلول الوقت الذي أدركت فيه ذلك، كان الأوان قد فات. كان لدينا طفل في الطريق بالفعل.

كان أسهل شيء فعله هو إخفاء العائلة بعيدًا في «لونغ آيلاند». أنا أعمل لساعات طويلة. لا، ليس حقًا. أنا لا أعمل كثيرًا على الإطلاق. أتوصل لأفكار عظيمة تدر عليّ المال دون حاجة لفعل الكثير. الحقيقة هي أن لدي الكثير من وقت الفراغ، والذي أدبر ملأه بأنشطة متنوعة.

والأفضل من كل ذلك أن إيريكا لم تشك في شيء قط. ولا حتى قليلًا. هذا يثبت فقط كم أنا بارع في تمثيل الدور. ليام، من ناحية أخرى، ينقصه الكثير. أفترض أنني لا أستطيع لومه. كنتُ مستهترًا مثله في عمره. والداي لم يكونا متفهمين كما كنا أنا وإيريكا أيضًا. كانت أمي كاثوليكية متدينة للغاية، وآمنت أنني عقاب لإحدى خطاياها الماضية.

كانت أمي مرعوبة مني. ربما كان للأمر علاقة بقتلي لقطتها حين كنت في الخامسة. كانت تحب ذلك القط، لأسباب لم أفهمها أبدًا. كان مجرد قط في النهاية. لم يملك مشاعر حقيقية، رغم أنه قاوم قليلًا حين ضغطتُ بالوسادة على رأسه حتى توقف عن الحركة. كان ذلك جزءًا من المتعة.

أخذت إيريكا ليام لطبيب نفسي، لكن والديّ كانت لديهما طرق مختلفة للتعامل معي. بعد قتلي للقط، حبستني أمي في الخزانة تحت الدرج. تركتني هناك لست ساعات وتجاهلت طرقي بقبضتي على الباب وصراخي حتى بح صوتي. لم «يعالجني» ذلك. بعد الحادثة التالية، ضربني أبي بحزامه حتى بكيت. في تلك الأيام، لم يكترث أحد في المدرسة للآثار على ظهري. ضرب أطفالك كان مقبولًا أكثر فيما مضى. وقد فعل ذلك مرارًا.

ثم حين كنت في الرابعة عشرة، كانت هناك تلك الفتاة. ميشيل. أول ضحاياي. لا أذكر كل أسمائهن، لكنك تتذكر الأولى دائمًا.

لم تقبض عليّ الشرطة. كنتُ أذكى من ذلك. لكن والديّ عرفا. لم يملكا معلومات تصمد في محكمة، لكنها كانت كافية لهما. لسوء حظهما، كنتُ أكبر من أن أُحبس في الخزانة — كنت بطول والدي حينها. وأقوى.

حينها استأجرت أمي طارد الأرواح.

كان قسيسًا —— أو على الأقل، كان يرتدي الياقة. رجل في منتصف العمر بوجه مستدير أحمر. فاجؤوني حين عدتُ من المدرسة ذات يوم، وعمل والدي والقسيس ومساعده معًا لتثبيتي وربطي لسريري بينما أسدلوا الستائر. لساعات، صرخوا بصلوات في وجهي ورشوا عليّ الماء المقدس. طلب القسيس أن أردد الصلوات، ورفضتُ للساعة الأولى.

بحلول الساعة الثانية، كنت مستعدًا لقول أي شيء يريده ليطلق سراحي.

حين فكوني أخيرًا من ذلك السرير، كنتُ غاضبًا أكثر من أي وقت مضى في حياتي. كانت هناك كدمات على معصمي حيث قُيدت، وكنتُ غارقًا في مزيج من الماء المقدس وعرقي. أردتُ الانقضاض على ذلك القسيس واقتلاع عينيه، لكنهم كانوا أكثر عددًا. كان عليّ الانتظار.

تلك الليلة، أزلتُ البطاريات من أجهزة كشف الدخان في المنزل. فتحتُ موقد الغاز. تلك الليلة، توفي والداي للأسف في حريق مأساوي نجا منه ابنهما الوحيد. أخبرتُ إيريكا أن والدتي ماتت بالسرطان ووالدي بنوبة قلبية، لكن لم يكن هناك طريقة لتعرف أن تلك كذبة.

وذلك القسيس —— حسنًا، تعرض للسرقة بعد بضعة أيام في زقاق مظلم. مسكين —— تقرير الشرطة أشار إلى أنه عانى كثيرًا في الساعة التي سبقت نحر عنقه أخيرًا.

بعد أن دفنت والديّ، ذهبتُ للعيش مع جدتي. كانت نانا في الثمانين، خرفة وشبه عمياء. لم تكترث لما أفعله بنفسي. تفاهمنا جيدًا.

الجميع يقول إن ليام فتى ذكي، لكنه ليس بذكائي. جنيتُ مليوني دولار من بيع أول شركة ناشئة لي حين كنت في الخامسة والعشرين فقط. بلا شهادة جامعية. عقل فقط. وجنيت أكثر بكثير من الثانية. لذا لدي الكثير من المال. مال لا تعرف إيريكا عنه شيئًا. هي تقلق بشأن الدخل من وظيفتها الصحفية التافهة، ويصعب عليّ عدم الضحك.

نعم، كان بإمكاني العيش بدون العائلة. لكن الأمر ليس سيئًا جدًا. أقوم بالكثير من رحلات العمل، حيث أحظى ببعض المرح، ثم أعود للمنزل قبل وصول الشرطة. أنا أكثر حذرًا حين أكون قريبًا من المنزل. تلك الفتاة التي تشارك الحفرة مع أوليفيا كان اسمها هالي بارتون — هذا ما قالته رخصة قيادتها. هربت من المنزل لأن أمها كانت سكيرة وزوج أمها كان يضربها، وكانت تتنقل بالسيارات العابرة حين التقطتها. ألا تعرف هؤلاء الفتيات الصغيرات مدى خطورة الركوب مع الغرباء؟ أعني، انظروا ما حدث لهالي.

على أية حال، لا أحد يبحث عن هالي.

كان بإمكاني أن أكون سعيدًا بهذه الطريقة طوال حياتي. كان بإمكاني الاستمرار في أنشطتي الجانبية، ولن يعلم أحد. لكن كان هناك ليام.

فعل أشياء غبية لجذب الانتباه. فيمَ كان يفكر، بربطه لتلك الفتاة بشريط لاصق في الخزانة؟ أعرف أنه كان في الخامسة فقط، لكنني شعرت بالغثيان حين سمعت بالأمر. طردوه من المدرسة. وانتهى الأمر بإيريكا بأخذه لطبيب نفسي. ومهما أخبرتها أن الأمر ليس جللًا، كانت تعرف أنه كذلك.

كان ليام انعكاسًا لي. وكنت أعلم أنها مسألة وقت فقط قبل أن يكتشف الناس ذلك. قبل أن تدرك إيريكا أن ليام لم يرث شخصيته من والدها الفاشل المسجون.

قبل سنوات، رأيتُ ليام يتلصص حول منزل معلم اللغة الإنجليزية ذاك. كنت قد ذهبت لاجتماع الآباء والمعلمين تلك السنة، واستطعت أن أرى أن الرجل يكره ليام. رأى حقيقته كما رآها والدايّ. وكان ليام على وشك فعل شيء غبي وواضح، وربما يوقع نفسه في ورطة تكفي لتقرر إيريكا أخذه لطبيب نفسي مجددًا.

لذا ساعدتُ ليام قليلًا. كسرتُ المدفأة لأسبب تسرب أول أكسيد الكربون. عطلتُ الكاشف. لم يكن ليام ليملك الدهاء ليفعلها بنفسه. كان من المفترض أن يموتوا بحلول الصباح. كان جار سيلاحظ ليام يتسلل حول المنزل، وكان سيتحمل

اللوم. لكن المعلم لم يمت، والشرطة كانت أعجز من أن تعتقل ابني. ففشلت الخطة.

والآن سنحت هذه الفرصة.

أحيانًا أستمع لهانا حين تثرثر. ذكرت هذه الفتاة التي يحبها ليام، أوليفيا ميرسر. أتساءل إن كان يحب النساء حقًا أم أنه مثلي. أنا أنجذب للنساء، لكن بطريقة سطحية للغاية — كتفريغ جنسي، لا أكثر. أتساءل إن كان ليام كذلك. كنت لأقول إنه كذلك، لكن في الليلة التي عاد فيها من رؤية أوليفيا، كان يبتسم لنفسه كأي مراهق واقع في الحب. إنه يشبهني في نواحٍ كثيرة، لكنه مختلف أيضًا. الطريقة التي هو مقرب بها من هانا، مثلًا. الطريقة التي يحميها بها. لم أكن مقربًا من أحد بتلك الطريقة. حتى إيريكا.

رغم أنه كان هناك وقت أحببتُ فيه إيريكا إلى حد ما. ربما حتى عشقتها. لا أدري.

في الليلة التي تسلل فيها ليام لرؤية أوليفيا، علمتُ أن هذه فرصتي. خاصة حين رأيته يعود للممر بسيارة إيريكا التويوتا. أرسلته للنوم، ثم خرجتُ بنفسي، متبعًا الاتجاهات في نظام تحديد المواقع. كنتُ أتساءل كيف سأجعل أوليفيا تنزل للأسفل، لكن اتضح أنها كانت بالفعل في شرفتها. تنظر للنجوم. ربما تتخيل ابني.

عرفتني حين لوحتُ لها وجاءت للسيارة. ابتسمت لي ابتسامة عريضة. كان يجدر بي خسارة ذلك الوزن الزائد منذ سنوات، لأنه يصنع فارقًا كبيرًا مع النساء. النساء يثقن بك أكثر إن كنت وسيمًا. بالطبع، ليام يشبه والدته وهو أكثر جاذبية مما يمكن أن أكونه أبدًا. وهذا يجعله أكثر خطورة.

لكن للإنصاف، أنا خطير للغاية.

شرحتُ لأوليفيا:

— «أخبرنا ليام أنه عائد للمنزل. لكنه لم يعد بعد. أنا قلق.»

رسمتُ ذلك التعبير القلق على وجهي الذي لاحظتُ أن الآباء يتخذونه حين لا يعود أطفالهم للمنزل في الوقت المحدد.

عبست، وكأنها قلقة أيضًا:

– «يا إلهي، آمل أن يكون بخير.»

– «هل تعتقدين أنه بإمكانك الركوب ومساعدتي في البحث لبضع دقائق؟ من الصعب النظر في الأرجاء وأنا أقود.»

– «بالطبع!»

ركبت أوليفيا السيارة دون تفكير ثانٍ. كان لدي الكلوروفورم جاهزًا. فقدت وعيها فورًا. وقبل أن يدرك أي جار فضولي أنني من أقود هذه المرة وليس ابني، انطلقتُ.

علاقة ليام بأوليفيا. الجارة التي رأته معها في الثانية صباحًا. الشعر والدم الذي زرعته في الصندوق الخلفي. وبعد موت أوليفيا، كنت سأجعل جثتها تظهر للسطح، لأنه من الأصعب الحصول على إدانة دون جثة. كنت أحاول التفكير فيما يمكنني زرعه عليها ليكون المسمار الأخير في نعش ابني.

والآن ها هي هانا، تفسد كل شيء.

حسنًا، هذا ما تحاول فعله. ونعم، هي تفسد الخطة الأصلية. كانت الخطة الأصلية هي الاستمتاع قليلًا مع أوليفيا وحبس ليام للأبد. لم تكن لدي طموحات أخرى غير ذلك. لكن الآن بوجود هانا هنا، أدركت أن هذه الخطة قد تكون أفضل حتى مما اعتقدت.

إليكم ما ستكتشفه الشرطة:

ليام خطف أوليفيا، وحين اكتشفت هانا خطة أخيها، اضطر ليام للأسف لقتلهما معًا. ثم كانت إيريكا منهارة لدرجة أنها تناولت جرعة زائدة من الزاناكس

الذي تحتفظ به في منضدتها. إلا أنها ليست زاناكس، بل شيء أقوى بكثير استبدلته بالزاناكس قبل عدة أشهر.

أو ربما يقتل ليام إيريكا أيضًا. لم أقرر هذا الجزء بعد.

وأنا، بالطبع، سألعب دور الأرمل المفجوع. الذي لم يعد مضطرًا للتعامل مع زوجة نكدية، وابنة كثيرة الشكوى، وابن سوسيوباثي. سيكون الأمر أسهل حتى مما كان عليه حين كنت في الرابعة عشرة ولعبت دور الابن المفجوع.

إنها خطة ممتازة. لا أطيق انتظار رؤية كيف ستتكشف فصولها.

هذا هو الجزء الممتع.

الفصل التاسع والخمسون

أوليفيا

لا أزال غير قادرة على استيعاب الأمر تمامًا. السيد كاس. والد ليام. رأيته مرة واحدة من قبل حين كان يقل ليام مبكرًا من المدرسة، وبدا لطيفًا حقًا. وبالنسبة لأب... حسنًا، إنه جذاب جدًا. جذاب حقًا. يبدو رياضيًا وعضليًا ولديه ابتسامة لطيفة، بينما أبي أصلع ولديه كرش.

لذا حين طلب مني الركوب في السيارة، فعلتُ بالطبع. كنت قلقة على ليام. ولم يكن هناك سبب للشك في أن السيد كاس يريد إيذائي. كان والد ليام، في النهاية.

إذا كان الناس يتساءلون عما حدث لي، فلا بد أنهم يلومون ليام. هو من كنتُ في موعد معه تلك الليلة. أراهن أن جارتي الفضولية السيدة ليفي رأتنا نتبادل القبل تلك الليلة. إذا لم أظهر أبدًا، هو من سيلام. إذا ذهب أحد للسجن بسبب هذا، فسيكون ليام.

قالت هانا بصوت مخنوق:

– «أبي. أرجوك لا تفعل هذا.»

تفعل ماذا؟ هل لديه مسدس؟ سكين؟ أتمنى لو أستطيع رؤية ما يحدث هناك.

قال بصوت هادئ ومتبلد، كالذي استخدمه حين سألني عن شعور الموت جوعًا:

– «هانا. هل تعرفين ما تفعلينه؟ أنتِ تمزقين عائلتنا.»

– «أقسم بالله، لا تقترب أكثر.»

– «هانا. هيا. أنا والدكِ. هي لا أحد.»

كانت هانا تنتحب الآن:

– «أبي... أرجوك...»

– «سأجعل الأمر بسيطًا جدًا لكِ يا هانا. هي لن تخرج من هنا حية. لا فرصة لذلك. الوحيدة التي لديها فرصة هي أنتِ.»

قلبي ينبض بسرعة لدرجة أن صدري بدأ يؤلمني.

قلتُ:

– «هانا. لا تستمعي إليه. إنه شرير.»

– «هل تودين إنهاء أمرها يا هانا؟ سأسحبها للأعلى وأدعكِ تفعلين ذلك.»

– «أرجوك يا أبي، لا...»

ضحك. إنه صوت بتُّ أحتقره خلال الأيام القليلة الماضية.

– «أنا أمزح فقط. أعلم أنكِ لا تستطيعين فعلها. لستِ مثلي. أنتِ تشبهين والدتكِ كثيرًا، إنه أمر مقرف.»

بالكاد أستطيع تمييز وجه هانا في الظلال. وجنتاها ملطختان بالدموع.

قال السيد كاس:

– «أخشى أن كل هذا يجب أن ينتهي الليلة. لكليكما.»

وصرخت هانا.

الفصل الستون

إيريكا

هز ليام ذراعي، والإلحاح يتزايد في صوته:

— «أمي. أرجوكِ. قودي السيارة فقط.»

لا توجد تغطية هنا. كل عظمة في جسدي تصرخ بأنه يجب عليّ الاتصال بالشرطة. لكن ماذا بعد؟ ابني هنا. ابنتي هنا على ما يبدو. شيء مريع يحدث، ولا أستطيع تخيل الجلوس هنا في هذه السيارة وفرك إبهامي بانتظار وصول الشرطة.

ليام لن يقتلني. أحيانًا لا أكون متأكدة مما يفكر فيه، لكنني أعرف هذا القدر. لن يؤذيني أبدًا. والشيء الوحيد الذي أسمعه في صوته الآن هو الخوف. إنه خائف من شيء ما. لكن مما؟

ولماذا بحق السماء توجد دراجة هانا هنا؟ لا أستطيع فهم الأمر.

لذا انطلقتُ، داخل الغابة، متبعةً اتجاهاته. قدتُ لخمس دقائق أخرى في هذا الممر الترابي، وأخيرًا ظهر كوخ في الأفق. الكوخ متهالك —— خشبه متشقق وقذر، ويتداعى في بعض الأماكن. الباب الأمامي معلق بمفصلة واحدة فقط. يبدو مهجورًا منذ سنوات. باستثناء شيئين:

الضوء الخافت القادم من الداخل.

وسيارة "البريوس" المركونة بالخارج تمامًا.

لا أعرف لماذا توجد دراجة هانا هنا. لكن لا يمكنني حتى البدء في تخيل سبب وجود سيارة زوجي هنا بينما من المفترض أن يكون في العمل.

قلتُ ببطء:

– «ليام. ما الذي يحدث؟ لا مزيد من الألاعيب. أخبرني حالًا.»

أخذ نفسًا عميقًا:

– «أبي خرج الليلة الماضية وهانا تبعته. قالت إنه جاء إلى هنا — أرتني الاتجاهات التي كتبتها. أخبرتني أنها ستعود الليلة وأردتُ المجيء، لكنها قلقت من أن أقع في مشكلة إذا... حسنًا، إذا وجدت شيئًا سيئًا حقًا. لكنني كنت جالسًا في غرفتي وأفكر في هانا و... ظننتُ أن أبي قد...»

حدقتُ فيه:

– «قد ماذا؟»

عبس في وجهي:

– «أنتِ تعلمين أن أبي مجنون، أليس كذلك؟»

شعرتُ بانقباض مريع في صدري، كأن عالمي ينهار على نفسه.

– «عما تتحدث؟ والدك أكثر رجل طبيعي قابلته في حياتي.»

سخر قائلًا:

– «أنتِ لا ترين ذلك، على ما أظن. أنا أراه. دائمًا ما رأيته. لهذا السبب يخاف كثيرًا حين أنا... حسنًا، تعلمين. يرى نفسه فيّ. لكنني لست مثله. ليس بالقدر الذي يظنه، على أية حال.»

همستُ:

– «هذا جنون. لماذا تخبرني بهذا؟»

رمش ليام:

– «ظننتُ أنكِ تعرفين. طوال تلك السنوات. لم تكوني حتى... أعني، لا أعرف ماذا يفعل طوال اليوم، لكنه ليس في العمل. اتصلتُ بشركته مرة حين احتجتُ للوصول إليه، وأخبروني أنه لا يتواجد هناك أبدًا. ألم تشكي أبدًا...؟»

لا، لم أشك في شيء قط. أبدًا.

لكن كانت هناك كل تلك الليالي المتأخرة. كل «رحلات العمل» تلك التي كان عليه القيام بها دائمًا. قبلتُ الأمر دائمًا بشكل أعمى. كانت هناك تلك المرة التي قلقتُ فيها من وجود علاقة غرامية، لكن ربما كان الأمر أسوأ من ذلك بكثير.

ماذا لو كنت أشم عطر امرأة ميتة؟

لا، هذا غير ممكن. هذا جنون. لماذا أفكر بهذه الطريقة؟ جيسون هو زوجي منذ عشرين عامًا. ليس قاتلًا. لا أعرف ماذا تفعل سيارته هنا، لكن لا بد من وجود تفسير منطقي.

قال ليام:

– «أعتقد أن أوليفيا في الداخل. أمي، أنا خائف حقًا من أنه قد يقتلهما معًا.»

– «هو لن يفعل ذلك.»

قلتُها، رغم أنه من الواضح أنني لست خبيرة فيما قد يفعله جيسون أو لا يفعله.

تردد ليام لثانية واحدة فقط قبل أن يندفع خارجًا من سيارتي. ناديته، لا أريده أن يدخل ويواجه ما في الداخل. ماذا لو كان جيسون حقًا؟ هل يمكن أن يكون قد فعل شيئًا كهذا؟ لا يمكنه. أبدًا. لا يهمني ما يقوله ليام. أنا أعرف زوجي. الرجل الذي يلقي كل تلك النكات السخيفة عن البيض لا يتجول ويقتل الناس. هو ليس كذلك.

شققتُ طريقي عبر التراب على الأرض، المغطى بالأوراق والأغصان، حتى وصلت للكوخ بعد عشر خطوات من ليام. هو أطول مني لذا خطواته أوسع، وهو أكثر ثباتًا على الأرض غير المستوية. وصلنا هناك في الوقت المناسب لنرى جيسون يخرج متعثرًا من الباب المكسور.

توقف ليام فجأة، يحدق في والده:

– «أين هانا؟ أين أوليفيا؟»

أظلم وجه جيسون بطريقة لم أرها من قبل. في تلك اللحظة، بدا من الممكن تمامًا أن كل ما قاله ليام للتو صحيح. أن جيسون شخص لا أعرفه على الإطلاق. شخص يمكن أن يكون قد فعل أشياء مروعة.

لكنه حين لمحني، تلاشت النظرة المظلمة من وجهه وكأنها لم تكن.

– «إيريكا! الحمد لله أنكِ هنا. عليكِ الاتصال بالشرطة حالًا!»

صرخ ليام فيه:

– «أين هما؟»

حدق جيسون فيه بسم في عينيه:

– «كلتاهما في الداخل —— ميتتان. يجب أن تعرف بما أنك من قتلهما. أيها الوحش.»

شعرتُ وكأن أحدهم لكمني في أحشائي.

– «ميتتان؟»

امتلأت عينا جيسون بالدموع وهو يهرع لجانبي. يده على ظهري.

– «أنا آسف جدًا يا إيريكا. حاولتُ إنقاذ هانا...»

– «أيها الكاذب!»

احتقن وجه ليام بالأرجواني.

— «أنت تكره هانا! أنت تكرهنا جميعًا!»

ساقاي تكادان تنهاران بي. لا، ليست هانا. لا يمكن أن تكون... لا...

طوقتني ذراعا جيسون، ممسكًا بي بالكاد قبل أن أسقط.

قال بصوت ناعم ومهدئ:

— «سنتصل بالشرطة. سيعاقبون ليام على ما فعله بطفلتنا.»

حدق في ليام بغضب.

— «لا تحاول حتى الهرب. سيمسكون بك.»

حدق ليام بنا، وجهه لا يزال قرمزيًا. لكن شيئًا ما تغير في عينيه. اتسعتا، وكأنه رأى شيئًا مريعًا.

شهق:

— «أمي.»

ثم بدلًا من الهرب، انقض على جيسون. رأيت وميض سكين في يد جيسون. لم يكن يحمله حين خرج من الكوخ. أخرجه بينما كان يواسيني.

يا إلهي. هل كان سيطعنني؟

لا يزال جيسون أثقل من ليام، لكن ليام أصغر وأسرع. سقط السكين من يدي جيسون، وطرحه ليام أرضًا. للحظة، بدا وكأن جيسون قد ينجح في التحرر، لكن ليام سدد له لكمة، وسمعت صوت تحطم مقزز. حين نظرت لوجه جيسون، كان الدم يتدفق من أنفه.

عوى جيسون:

— «أيها الوغد الصغير! سأقتلك.»

تمكن ليام من القول:

— «أمي، السكين.»

السكين ملقى على العشب. لا يبدو مألوفًا لي —— ليس أحد السكاكين غير الحادة من مطبخنا. خطفته من الأرض لكي لا يمسكه جيسون. أطبقت أصابعي على المقبض، لكنني لست متأكدة ماذا أفعل بالطرف الحاد. وجهته ناحية جيسون، لكن من أخدع؟ لن أتمكن أبدًا من طعنه.

وهو يعرف ذلك أيضًا.

قال ليام بصوت لاهث:

— «أمي. أعطني السكين.»

اتسعت عينا جيسون وهو يقاوم ابننا، الذي يثبته بقوة. أنا مندهشة من سهولة تقييد ليام له. لقد أصبح ليام أقوى من والده.

تمكن جيسون من القول:

— «إيريكا، لا تعطيه إياه.»

حدقتُ في زوجي:

— «لماذا لا أفعل؟»

هز جيسون رأسه، ووجهه شاحب:

— «أنتِ تعرفين طبيعة ليام. لطالما عرفتِ. إنه مجنون يا إيريكا.»

حسنًا، هذا ليس غير صحيح.

رأى جيسون ترددي، فضغط أكثر.

— «إيريكا، لا تريدين أن يحصل على ذلك السكين. أنتِ تعرفين ذلك. سيقتل كلينا.»

هل سيفعل؟

نظر ليام إليّ بعينيه البنيتين اللتين تشبهان كثيرًا ما أراه حين أنظر في المرآة. لم أعد متأكدة مما يجب تصديقه، لكن بين جيسون وليام، أعرف أيهما أريد أن يمسك السكين.

أدرتُ النصل وعرضتُ المقبض على ليام.

ابتسم لي ابني بتلك الأسنان المستقيمة المثالية — ابتسامة أعرف أنها صادقة مئة بالمئة.

— «شكرًا يا أمي.»

أطبقت أصابعه على المقبض.

— «وكنتَ محقًا جزئيًا يا أبي.»

راقبتُ ليام وهو يغرس السكين في صدر والده.

الفصل الحادي والستون

إيريكا

عرف ليام تمامًا أين يغرس السكين. بتلك الطعنة الواحدة، هربت الدماء من وجه زوجي، وبعد ثوانٍ، كان يسعل دمه. إنه يحتضر. يحتضر بسرعة. بسرعةٍ تجعل استدعاء الإسعاف الآن —— لو كان ذلك ممكنًا —— ضربًا من العبث.

اختنق جيسون بدمه وتمكن من القول:

— «إيريكا... أنتِ...»

حدقتُ فيه، أنتظر كلماته الأخيرة لي. هل سيخبرني أنه يحبني لمرة أخيرة؟ لا أظن أنني أحتمل ذلك لو فعل. أشعر بالفعل أن ساقي بالكاد تحملانني.

أكمل جملته:

— «أيتها السافلة. بعد كل ما فعلته لأجلك...»

جفلتُ وكأنه صفعني. كان ليام محقًا. جيسون ليس الرجل الذي ظننته. إنه مريض. مجنون. ولقد فعل شيئًا مروعًا. كان يخطط لقتلي، والسبب الوحيد لبقائي على قيد الحياة الآن هو أن ابني أنقذني.

جيسون يستحق هذه الميتة.

خطوتُ خطوة للأمام، ووقفتُ فوقه. أرجعتُ قدمي للخلف، وبكل قوتي، ركلته مباشرة في ضلوعه. كان ذلك آخر ما شعر به قبل أن يفقد وعيه.

دفنتُ وجهي بين يدي، أريد البكاء لكنني مذهولة جدًا. جيسون. هانا. رحلا. هل هذا يحدث حقًا؟ أشعر أنني سأتقيأ.

اخترق صوت ليام ضباب أفكاري بتلك النبرة الملحة:

– «أمي. لندخل إلى الكوخ. ربما لا يزال بإمكاننا إنقاذهما.»

شدني من ذراعي وتبعته دون تفكير. تتحرك ساقاي تلقائيًا، لكن رأسي لا يتوقف عن الدوران. أنا مرعوبة مما قد أراه في الداخل. إذا كانت ابنتي ملقاة ميتة على أرضية ذلك الكوخ، لست واثقة أنني سأتمكن من الاستمرار. سيدمرني ذلك.

دخلنا الكوخ المظلم إلا من مصباح يدوي ملقى على الأرض. يوفر المصباح إضاءة تكفي لنعرف أنه لا يوجد أحد هنا. لكنني سمعتُ أصواتًا. أصوات نسائية مكتومة.

صرخ ليام وهو يجثو على ركبتيه ويضع كفيه على الأرض:

– «هانا! أين أنتِ؟»

هذه المرة سمعتُ الكلمات بوضوح أكبر بصوت ابنتي:

– «هنا بالأسفل!»

يبدو أن هناك بابًا أرضيا. كانت هناك حلقة مفاتيح ملقاة على الأرض، وجرب ليام كل واحد منها حتى انفتح القفل. يداه ثابتتان جدًا — أنا مندهشة. كيف يمكنه أن يكون هادئًا هكذا بعد ما حدث للتو؟ لا أعتقد أنني أستطيع حمل مفتاح، ناهيك عن إدخاله في القفل. فتح الباب الأرضي وسلط ضوء المصباح للداخل.

ها هما. هانا، وجهها ملطخ بالدموع، لكنها حية تمامًا. وأوليفيا. حية أيضًا.

الارتياح الذي شعرتُ به كاد يسقطني أرضًا. هانا بخير. ابنتي على قيد الحياة.

الحمد لله.

الفصل الثاني والستون

أوليفيا

- «هانا! أين أنتِ؟»

طفا صوت هانا غير المرئي عبر الهواء:

- «هنا بالأسفل!»

مددتُ يدي في الظلام حتى لمست ذراع هانا.

- «هسس! ماذا تفعلين؟»

- «لا بأس. إنه ليام. سيساعدنا على الخروج.»

- «هل أنتِ متأكدة من ذلك؟»

- «بالطبع أنا متأكدة. إنه أخي.»

لم أشر إلى حقيقة أن والدها هو من حبسني هنا لأربعة أيام مع خطط لتركي أموت جوعًا. لذا كون شخص ما من عائلتها لا يجعلني أشعر بالاطمئنان تمامًا. لكن في هذه المرحلة، لا يوجد شيء آخر يمكنني فعله.

انفتح الباب الأرضي، وكان هو هناك. ليام كاس. الفتى الذي كنت معجبة به لثلاثة أشهر، والذي كنت أظنه أوسم فتى في المدرسة بأكملها. كان يحمل مصباحًا

يدويًا، لكنه لم يسلطه على أعيننا كما فعل والده. بالكاد أستطيع تمييز وجهه، وكان يعقد حاجبيه.

سأل:

– «هل يمكنكما الخروج؟»

هزت هانا رأسها:

– «لا. آذيتُ معصمي حين دفعني أبي للأسفل. وكاحل أوليفيا مصاب بشكل سيء للغاية.»

استمع ليام لذلك، وأومأ بتفكير.

– «يمكنني النزول إليكما. سأساعدكما في الخروج.»

قبل أن أقترح أن هذه قد لا تكون فكرة جيدة، كان ليام قد تسلق ونزل إلى الحفرة. إنه رشيق جدًا، ونزل بسهولة دون أن يؤذي نفسه. الآن وقد استطعت رؤيته عن قرب، أدركتُ أن الدماء تغطيه. إنها في كل مكان. تلطخ قميصه وتتناثر على وجهه. وضعت هانا يدها على فمها.

هتفت:

– «ليام! هل أنت... أعني، هل فعل...؟»

هز ليام رأسه وقطب وجهه:

– «أنا بخير. هذا دمه.»

انفتح فم هانا:

– «هل هو... مات؟»

أومأ ليام ببطء. لم يعطِ أي تفاصيل أخرى، وأنا ممتنة لذلك.

همست وعيناها تمتلئان بالدموع مجددًا:

– «أخبرتك ألا تأتي. ستقع في ورطة الآن.»

– «هل تمزحين يا هانا؟ كان سيقتلكِ. كيف كان لي أن أسمح بحدوث ذلك؟»

ثم ألقت بذراعيها حوله، وحضنته بقوة لدرجة أنه حين ابتعدت، كانت دماء والدها تلطخ قميصها أيضًا. مسحت عينيها بينما جثا هو بجانبي على الأرض، حيث كنت أمسك كاحلي. في ضوء المصباح، بدت عيناه سوداوين.

سأل:

– «ما الذي يؤلم؟»

أريته كاحلي. سلط الضوء عليه، وشهقنا في آن واحد. يبدو مريعًا. متورم لضعف حجمه الطبيعي، الجلد لامع وأحمر، وهناك قيح أصفر يخرج من شق في الجلد. لم أكن أعلم أنه بهذا السوء.

قال ليام:

– «لا تقلقي. سنخرجكِ من هنا. أعدكِ.»

ارتفعت زاوية فمه في ابتسامة مائلة، وتذكرتُ كم كنت معجبة به. كيف كان يجعل قلبي يتسارع حين أراه يسابق في المضمار بعد المدرسة. يبدو ذلك وكأنه كان منذ دهر.

ليام طويل بما يكفي ليرى ما فوق الباب الأرضي حين يقف على كومة التراب التي صنعتها. نادى شخصًا آخر للمساعدة. للحظة، شلني الخوف من أن يكون والده، لكنني سمعتُ صوت والدته المرتجف.

قال لوالدته:

– «سأرفعهما عبر الباب الأرضي. عليكِ مساعدتهما في الخروج.»

كان ليام رقيقًا جدًا معي. أخذ وقته في وضع ذراعه اليسرى تحت ركبتي كي لا يؤذيني حين يرفعني. تشبثتُ بعنقه بينما صعد على الكومة ورفعني بحذر لوالدته. كانت ترتجف كورقة شجر وهي تساعدني للوصول لأرضية الكوخ الخشبية. التوى كاحلي أثناء العملية، لأنها لم تكن حذرة مثل ليام، وكان الألم شديدًا لدرجة أن عيني دمعتا.

بعد أن رفع ليام هانا من الحفرة، لم تتوقف السيدة كاس عن معانقتها. ألقت بذراعيها حول كتفي هانا، تنتحب قائلة إنها ظنت أنها ماتت. تشبثت بها هانا بنفس القوة. مشاهدتهما جعلتني أرغب في أمي بشدة، كان الأمر مؤلمًا. على الأقل أعرف الآن أنني سأراها قريبًا. ليس كما كان الحال حين كنت محبوسة في الحفرة. هذا الكابوس يوشك على الانتهاء.

انتحبت هانا:

— «أخبرنا أنه سيعود لقتلنا بمجرد أن ينتهي منكما. كان يعني ذلك. كان يمكنك رؤية ذلك في عينيه.»

ما زلت لا أستطيع الوقوف. كاحلي يؤلمني أكثر مما ظننت ممكنًا. إنه ليس مكسورًا فحسب —— هناك خطب ما سيء حقًا به. نظر إليّ ليام وأنا أتلوى على الأرض، وانحنى بجانبي.

— «سأحملكِ، حسنًا؟»

جفلتُ، لا أريد لأي أحد أن يقترب من كاحلي ولو لمسافة قدمين.

— «إنه يؤلم كثيرًا.»

— «سأكون حذرًا للغاية. أعدكِ.»

ما الخيار الذي أملكه؟

— «حسنًا.»

فعل ما فعله سابقًا، وغرفني برفق بين ذراعيه. لم يتأوه حتى حين رفعني. لم أكن أعلم أنه بهذه القوة. ورغم كل ما حدث، غشيتني سكينة وهو يحملني، وأرحتُ رأسي على صدره. أشعر بالأمان هنا.

حملني ليام خارج الكوخ، ووالدته وهانا تتقدمان الطريق. بعد حوالي عشر خطوات، توقف فجأة ونظر لشيء على الأرض.

استغرقني الأمر لحظة لأدرك أنه ينظر للأسفل إلى والده.

السيد كاس ملقى ووجهه للأعلى على التراب. قميصه غارق بالدماء، أكثر بكثير مما هو على قميص ليام. هناك دم على ذقنه أيضًا، وعيناه شاخصتان نحو السماء، وفمه مفتوح.

إنه ميت. ميت بالتأكيد.

لقد انتهى الأمر.

الفصل الثالث والستون

نص مقابلة الشرطة مع إيريكا كاس:

– «سيدة كاس، هل يمكنكِ أن تعيدي عليّ مرة أخرى ما حدث بالضبط حين وصلتم للكوخ؟»

– «بعد أن ركنا السيارة، رأيتُ جيسون يخرج من الكوخ. كان يحمل سكينًا وأخبرني أن هانا وأوليفيا قد ماتتا. اعترف أنه هو من قتلهما، رغم أنني لم أدرك حينها أنه كان يكذب.»

– «هل صدقتِه؟»

– «لم أكن أعرف ما أصدق أيها المحقق. أنا وجيسون متزوجان منذ عشرين عامًا. لم أتخيل أبدًا أنه قادر على فعل شيء كهذا. لكنك لم ترَ النظرة في عينيه...»

– «وماذا حدث بعد ذلك؟»

– «اندفع نحوي بالسكين. الحمد لله أن ليام كان معي — وإلا لكنتُ ميتة. ركض ليام نحوه وطرحه أرضًا، فأسقط السكين. حينها التقطتُه أنا و...»

– «سيدة كاس؟»

– «أنا آسفة. هذا صعب جدًا...»

– «خذي وقتك من فضلك.»

– «تخلص من قبضة ليام. إنه أضخم من ليام. ثم هجم عليّ مرة أخرى و...»

– «و...؟»

– «كنتُ ما أزال أمسك السكين. لذا فعلتُ الشيء الوحيد الذي كان بإمكاني فعله: طعنته به حين هجم عليّ.»

– «إذن أنتِ من طعنه؟»

– «هذا صحيح.»

– «لم يكن ليام؟»

– «لا.»

– «إذن إليكِ الأمر يا سيدة كاس. نمط تناثر الدم على ملابس ليام يجعل الأمر يبدو وكأنه هو من كان أمام جيسون حين طُعن. بالكاد يوجد دم على ملابسكِ أنتِ.»

– «لا أعرف ما أقوله لك. كان ليام بجواري تمامًا. وقد انحنى فوق جيسون بعد أن طعنته، وأظن أن هذا هو سبب وجود كل تلك الدماء عليه. حاول إنعاشه، لكن ذلك لم ينجح. بوضوح.»

– «فهمت.»

– «هل أنا... هل أنا رهن الاعتقال؟»

– «بالنظر للظروف وتأييد أوليفيا لقصتك، لا نخطط لتوجيه اتهامات في الوقت الحالي.»

– «...»

– «لكن تحقيقنا لم ينتهِ. سيكون هناك تشريح للجثة.»

– «نعم. نعم، بالطبع.»

– «لدي سؤال آخر يا سيدة كاس.»

– «نعم؟»

– «لماذا تحمين ليام؟»

– «ليس لدي أي فكرة عما تتحدث عنه. أيها المحقق، زوجي حاول قتلي للتو.»

– «لكن ليام هو من طعنه، أليس كذلك؟»

– «أيها المحقق، زوجي وشريك عمري لعشرين عامًا قد مات. لقد كان يومًا عصيبًا للغاية. أنا لا... لا أستطيع التفكير بوضوح حتى. أخبرتك بما حدث. ليس لدي ما أقوله.»

الفصل الرابع والستون

إيريكا

المحققة ريفيرا لا تصدق قصتي.

تعتقد أن ليام هو من طعن جيسون. للإنصاف، هو مغطى بالدماء. لكنني لم أستطع المخاطرة بذهابه للسجن بسبب هذا. إذا كان هناك من يجب أن يتحمل اللوم، فيجب أن يكون أنا. أنا الغبية التي تزوجت ذلك الرجل. أنا الحمقاء التي صدقت أكاذيبه لعشرين عامًا من الزواج.

قابلتنا المحققة ريفيرا في غرفة الطوارئ وبدا عليها الذهول لأن أوليفيا ليست حية فحسب، بل وتتشبث بليام وهو يحملها لداخل المستشفى. أبقى ليام فمه مغلقًا في الغالب بينما كنتُ أخبر المحققة قصتي عن طعني لجيسون دفاعًا عن النفس. أنا وهو الوحيدان اللذان يعرفان الحقيقة.

بمساعدة هانا، أعطيتها الاتجاهات للكوخ حيث وجدوا جثة زوجي.

ظلت ريفيرا تقول:

— «لا أصدق ذلك. كنتُ أظن حقًا...»

لم ألمها. أنا ظننت الشيء نفسه.

بينما كانت هانا تخضع للأشعة السينية لمعصمها، بقيتُ مع ليام في غرفتها بالطوارئ. إنها اللحظة الأولى التي نختلي فيها منذ أنقذنا هانا وأوليفيا. حسنًا، يجب أن أقول منذ أنقذهما هو. أنا ساعدت. قليلًا.

أشعر أن هناك الكثير مما يجب أن أقوله له. ظننتُ به أسوأ الظنون، وكان يعرف ذلك. ليست هذه الطريقة التي يجب أن تتصرف بها أم. أنا خجلة من نفسي. خجلة من حقيقة أنني لم أكن أعلم ما يفعله جيسون.

زوجي أنا. لا أستطيع التصديق.

قال ليام بهدوء:

– «لم يكن عليكِ إخبار المحققة أنكِ قتلتِه. كان بإمكاننا إخبارها بالحقيقة.»

– «هكذا أفضل.»

– «لماذا؟»

نظرتُ ليديّ، اللتين توقفتا أخيرًا عن الارتجاف.

– «أنت تعرف لماذا. لن أدعهم يضعونك في السجن مرة أخرى. ليس بسبب ذلك.»

– «كان دفاعًا عن النفس.»

– «لا، لم يكن. وأنت تعرف ذلك.»

حدق ليام في حذائه الرياضي، المتيبس بمزيج من الطين والدم. لم يعارضني، وأنا سعيدة بذلك، لأننا كلانا نعلم أن ذلك سيكون كذبة. لقد سئمتُ الأكاذيب.

ضغطتُ بأصابعي على ركبتي.

— «لكنني آسفة لأنني اتهمتك بـ... حسنًا، أنت تعلم. كنتُ مخطئة. بوضوح.»

لم يرفع بصره.

— «حسنًا، لستِ الوحيدة التي ظنت ذلك. البلدة بأكملها ظنت أنني قتلتها.»

— «نعم، لكنني أمك. كان يجدر بي تصديقك.»

عض شفته، وعيناه لا تزالان منخفضتين.

— «أجل، ولكن... لنواجه الأمر — على مر السنين، أعطيتكِ الكثير من الأسباب لتصديق أنني قد أفعل شيئًا كهذا.»

هذا صحيح، لكن سماعه يعترف بذلك كان صادمًا. تظاهرنا دائمًا بأن ليام هو الابن المثالي، ولعب هو الدور ببراعة.

— «لكنك لم تفعل.»

— «لا. لم أفعل.»

أضفتُ:

— «أيضًا، أريد أن أشكرك.»

رفع ليام نظره إليّ أخيرًا. الكدمة على خده تلاشت قليلًا، لكنها لا تزال موجودة.

— «على ماذا؟»

— «أنقذتَ حياتي. وأنقذتَ حياة هانا. بالرغم من أن...»

عبس قائلًا:

— «بالرغم من ماذا؟»

– «بالرغم من...»

تنحنحتُ.

– «لا شيء. لا يهم.»

أمال رأسه للجانب:

– «ماذا؟»

عضضتُ شفتي، خائفة من قول الكلمات التي كانت تدور في عقلي للعقد الماضي. ابنك لا يحبك. إنه غير قادر على ذلك.

– «أعرف أنك لا تشعر بـ... أنت تعلم...»

صمت ليام للحظة.

– «أشعر بماذا؟»

قلتُ بسرعة:

– «شرحت لي الدكتورة إيبير الأمر. أعلم أنك تواجه صعوبة مع... كما تعلم، العواطف.»

– «العواطف؟»

– «أعني، مثل... الحب.»

– «ماذا؟»

رمش ليام في وجهي.

– «أمم، هذا هراء. هل تعتقدين حقًا أنني لا أحبكِ ولا أحب هانا؟»

لم أعرف ماذا أقول.

– «لا بأس إذا لم تكن تفعل. هذه هي طبيعتك وحسب.»

مرر يده في شعره الداكن.

— «يا إلهي يا أمي. لا أصدق أنكِ تقولين ذلك. بالطبع أحبك. أنتِ أمي.»

— «لكن الدكتورة إيبير قالت...»

— «أوه، حسنًا، إذا قالت الطبيبة النفسية الدجالة ذلك، فلا بد أنه صحيح، أليس كذلك؟»

سخر قائلًا.

— «لقد خاطرتُ بحياتي من أجلكِ للتو. أنا أحبك يا أمي. لو حدث أي شيء لكِ أو لهانا...»

صمت حينها، ناظرًا ليديه. قال أخيرًا:

— «سيكون الأمر مريعًا.»

لا أعرف دائمًا إن كان ليام يقول الحقيقة، لكن في هذه اللحظة، أنا واثقة تمامًا أنه صادق. ابني يحبني. لطالما ظننتُ أنه غير قادر على ذلك. لكنني كنت مخطئة.

الفصل الخامس والستون

أوليفيا

أنا في المستشفى منذ خمسة أيام الآن، وبالكاد غادر والداي جانبي. تنام أمي في غرفتي على كرسي قابل للإمالة، لأنها خائفة من تركي. أود التذمر، لكن الحقيقة هي أنني سعيدة بوجودها. آخر ما أريده هو أن أكون وحيدة في غرفة المستشفى هذه.

اضطررت للخضوع لجراحة في كاحلي. كان مكسورًا في مكانين، وفوق ذلك أصيب بعدوى. احتجت لمضادات حيوية عبر الوريد، وكنت مصابة بجفاف شديد أيضًا حين وصلت. كاحلي في الجبس الآن، وأخبرني الطبيب أنه سيمر وقت طويل قبل أن أتمكن من المشي عليه مجددًا. لذا أظن أن عليّ الاعتياد على العكازات.

منذ الأمس، بدأتُ أشعر أخيرًا بالقدرة على استقبال زوار غير والديّ. كانت ماديسون أول من جاء لرؤيتي، بالطبع. عانقتني بقوة وبكينا كلتانا، وكأن شجارنا لم يحدث قط. أخبرتني أنها لم تفقد الأمل أبدًا في كوني بخير.

عادت اليوم مرة أخرى. تجلس بجوار سريري بينما أمي في الكافيتريا بالطابق السفلي، وترسم خربشات على الجبس. لم يسبق لي وضع الجبس من قبل، وأنا متحمسة فعلًا ليوقع الناس عليه. أتذكر غيرتي من الأطفال في فصلي الذين كانوا يضعون الجبس ويحظون بتوقيعات الجميع.

عدا عن ذلك، الجبس سيء للغاية. الشيء اللعين يسبب حكة شديدة. حشرتُ قلم رصاص داخله هذا الصباح لأحك منطقة في ربلة ساقي، وفجأة، اختفى القلم! حين أزيل هذا الجبس، سيسقط نصف محتويات درج مكتبي منه.

قلتُ لماديسون، التي بدأت رسمتها تخرج عن السيطرة:

– «اتركي بعض المساحة لأشخاص آخرين.»

ستكون مثل "جون هانكوك" (صاحب التوقيع الأكبر على وثيقة الاستقلال) على ساقي.

– «مهلًا، أنا أمنح الجبس لمسة فنية.»

إنها لا تمزح. لقد أحضرت أقلام تلوين مختلفة لهذا الغرض تحديدًا.

– «ستشكرينني لاحقًا.»

بينما عادت للعمل على تصميمها، دخلت ممرضتي الغرفة.

قالت بنبرة منغمة:

– «أوليفيا. لديكِ زائر آخر.»

لا بد أنني أتحسن كثيرًا، لأن فكرة وجود شخصين معي في الغرفة لم تملأني بالرعب.

– «من هو؟»

غمزت لي الممرضة:

– «إنه فتى. وهو جذاب للغاية. يقول إن اسمه ليام. هل هو حبيبك؟»

تجمدت ماديسون، وتوقفت عن الخربشة.

– «لن ترينه، أليس كذلك؟»

همستُ:

— «ماد، لقد أنقذ حياتي.»

— «أجل، لكن لولا والده، لما اضطر لفعل ذلك.»

لا أريد الاعتراف بأنني أشاركها ترددها. جاء ليام لرؤيتي أمس أيضًا، لكن أمي صرفته بسرعة. كنت مستاءة منها، لكنني شعرت ببعض الارتياح أيضًا.

لكن في الوقت نفسه، ليام أنقذ حياتي فعلًا. حين رآني عالقة، قفز لتلك الحفرة دون تردد وحملني. حملني إلى داخل المستشفى. كان بطلي.

قلتُ:

— «دعيه يدخل.»

رمقتني ماديسون بنظرة:

— «هل أنتِ واثقة أن هذه فكرة جيدة؟»

— «سيكون الأمر بخير، ولكن... هل يمكنكِ منحنا دقيقة وحدنا؟»

رفعت إصبعًا واحدًا:

— «دقيقة واحدة. هذا كل ما ستحصلين عليه يا فتاة.»

دخل ليام غرفتي بتردد، حاملًا باقة صغيرة من الزهور الملونة. رمقته ماديسون بنظرة قذرة، لكنها تنحت جانبًا لتسمح له بالدخول. خطا نحو سريري، مادًا الزهور.

— «مرحبًا. هذه لكِ. قال بائع الزهور إنها، أمم، تشكيلة صيفية.»

قلتُ بتصلب:

— «شكرًا. يمكنك وضعها على حافة النافذة.»

بينما يضع الباقة بجوار الباقات الأخرى، تذكرتُ آخر مرة رأيته فيها. كان جاثيًا أمام سيارة والدته، وقميصه ملطخ بدماء تجف، وكان يقنعني بالخروج من السيارة ليأخذني للمستشفى. كان رقيقًا جدًا معي. كان ذلك بالضبط ما احتجته.

خفض عينيه وقال:

– «أنا سعيد حقًا لأنكِ بخير.»

تأملتُ ملامح ليام. لاحظتُ قبل خمسة أيام أن لديه كدمة سوداء حول عينه، وقد تلاشت في الغالب الآن، لكن لا يزال بإمكاني رؤية أثر كدمة خفيفة.

– «ماذا حدث لوجهك؟»

ضحك ولمس وجنته:

– «هذا؟ أوه، لا شيء.»

– «أخبرني.»

– «أمم، لكمني تايلر حين ظن أنني الشخص الذي...»

– «أوه.»

سمعتُ القليل فقط عما حدث أثناء غيابي. يبدو أن البلدة بأكملها صدقت أن ليام هو من خطفني. الشرطة اعتقلته بالفعل وأخذته للسجن. بينما كنتُ محبوسة، كان هو كذلك.

سألتُ:

– «كيف حال عائلتك؟»

اختفت الابتسامة من وجه ليام:

– «مريعة. أمي تبكي كثيرًا.»

– «هل تفتقده؟»

حبستُ أنفاسي في انتظار الإجابة. خلال الأيام التي حبسني فيها جيسون كاس في تلك الحفرة، كرهته حد الموت. لكن لا يمكنني نسيان أنه والد ليام. لو اكتشفتُ أن أبي قاتل، هل سأكرهه؟ من الصعب تخيل ذلك.

قال:

— «لا أعرف يا أوليفيا. لقد كذب علينا جميعًا. كانت هناك نساء أخريات، أتعلمين. الكثير غيركِ. الشرطة ليست واثقة حتى من عددهن... بصراحة، التفكير في الأمر يشعرني بالغثيان.»

شهقتُ، مدركة أنه لولا أن هانا تبعت والدها تلك الليلة، لكنتُ انضممت لقائمة ضحاياه الطويلة. ولربما أفلت جيسون كاس بفعلته. وربما كان ليام سيتحمل التهمة.

— «لم أكن أعرفه حتى. كيف أفتقده وأنا لم أكن أعرف من هو؟ لم يعرف أحد منا.»

أومأتُ:

— «أعرف ما تعنيه.»

ابتسم بفتور:

— «على أية حال، أنا واثق أن ماديسون ستقتحم الغرفة في أية دقيقة لتطردني. وأعلم يقينًا أن أمكِ ستقتلني لو وجدتني هنا. لذا... أردتُ فقط التأكد من أنكِ بخير. ومن الأفضل أن أذهب الآن.»

نظرتُ إليه. أستمر في تذكر تلك اللحظة التي قفز فيها للحفرة لينقذني. لم يفعل أحد شيئًا كهذا لي من قبل. لا يهمني أي نوع من الأشخاص كان والده، ليام مختلف جدًا. إنه شخص صالح. إنه بطل.

وأيضًا، تلك الممرضة كانت محقة. إنه جذاب للغاية. وما زلت أشعر بوخزة خفيفة في شفتي حين أتذكر شعور قبلته.

– «مهلًا.»

رفع حاجبًا نحوي:

– «نعم؟»

– «حين أخرج من هنا، ربما سأدعوك للخروج لتناول مخفوق حليب بالفانيليا.»

اتسعت عيناه:

– «حقًا؟»

– «حسنًا، أريد أن أشكرك على إنقاذ حياتي.»

انتشرت ابتسامة بطيئة على وجهه:

– «لا مانع لدي.»

هززتُ كتفي، لكنني كنت أبتسم أيضًا.

– «إذن هو موعد؟»

أومأ بحماس:

– «حسنًا. إنه موعد.»

ولم نستطع التوقف عن الابتسام لبعضنا البعض.

خاتمة

بعد عام واحد

إيريكا

لدي بيضتان في المقلاة أطهوهما للإفطار. نار هادئة وببطء. هذا هو السر.

وضعتُ مذياعًا على منضدة المطبخ. ليام وهانا يستمعان للموسيقى على هواتفهما باستخدام تطبيق ما، لكنني من الطراز القديم وأحب الاستماع للمذياع. أحب سماع أغاني البوب الجديدة، وثرثرة المذيعين السخيفة، وحتى الإعلانات. الآن، هناك أغنية لبرونو مارس على المذياع، وأنا أغني معها لنفسي.

تأوهت هانا وهي ترفع رأسها عن وعاء حبوب الإفطار:

– «أميبي. أنتِ تغنين كل الكلمات خطأ. إذا كنتِ ستغنين، فلا تقولي كل الكلمات بشكل خاطئ.»

– «أنا أصيب في بعضها.»

– «تظنين ذلك، لكنكِ لا تفعلين.»

– «بلى، أفعل.»

– «لا تفعلين. الأمر محرج حقًا.»

– «حسنًا، لا أهتم.»

ولكي أثبت وجهة نظري، صرختُ بالكلمات الخاطئة عمدًا:

— «سأصفعكِ بقنبلة يدوية!» (بدلًا من سأتلقى قنبلة يدوية لأجلك).

— «يا إلهي يا أمي.»

نهضت هانا بوعاء حبوبها، غير قادرة على تحمل لحظة أخرى من غنائي. وضعت الوعاء بقوة على المنضدة وأطلقت تنهيدة وحشية أخيرة قبل أن تتوجه للطابق العلوي.

ابتسمتُ لنفسي وأنا أحرك البيض. قبل عام واحد، لم أكن لأتخيل أبدًا أننا سنكون في هذا المطبخ نفسه، نصنع البيض وكأن كل شيء عاد لطبيعته. حسنت هانا درجاتها في المدرسة، وعاد ليام الليلة الماضية للتو من مسابقة المناظرة على مستوى الولاية في ألباني، والتي فاز بها فريقه. عادت الأمور لطبيعتها وتسير بأفضل ما يمكن، بالنظر لكل الحقائق التي تكشفت في العام الماضي.

على سبيل المثال، أن زوجي كان قاتلًا متسلسلًا.

نعم، جاءت تلك كصدمة هائلة. كان اكتشاف مسؤوليته عن خطف أوليفيا سيئًا بما يكفي. لكن المحققة ريفيرا أبقتني في الصورة، وتم ربط جيسون كاس الآن عن طريق الحمض النووي باثنتي عشرة جريمة قتل على مدار الخمسة وعشرين عامًا الماضية. وتلك فقط الجرائم التي ترك فيها أدلة خلفه. الله وحده يعلم كم جريمة أخرى ارتكب. ولكن لأنه مات، لن نعرف أبدًا على وجه اليقين.

كان العداء الذي واجهناه حين ظهرت الحقيقة لأول مرة ساحقًا. ظننتُ أننا سنضطر لمغادرة المدينة وتغيير أسمائنا للهرب من تهديدات القتل. لكن بعد ذلك عُرض عليّ الظهور في برنامج إخباري وطني لأحكي قصتي. حين شاركتُ حكاية كيف اكتشفتُ سر زوجي، وقتلته دفاعًا عن النفس، وأنقذتُ الفتاة التي اختطفها، أصبحتُ بطلة قومية. عرض عليّ برايان استعادة وظيفتي في صحيفة «ناساو نتشيل»، لكنني رفضت لأنني حصلت على عقد كتاب بمبلغ كبير جدًا.

زوجة قاتل متسلسل. له وقع موسيقي، أليس كذلك؟

بينما أحرك البيض، ركض ليام عبر الباب الخلفي، مرتديًا قميصًا مبللًا وسروالًا رياضيًا قصيرًا. كان يركض في الصباح الباكر. لا أعرف من أين يملك الطاقة بعد عودته من ألباني مع بقية الفريق في وقت متأخر من الليلة الماضية. وجهه وردي ويبتسم من الأذن للأذن.

هتف حين رأى ما في المقلاة:

– «بيض! ستعدين لي البعض، صحيح؟»

– «بالطبع.»

– «رائحته مذهلة. أنا أتضور جوعًا.»

كان لا يزال يبتسم وهو يخرج هاتفه من جيبه. إنه في مزاج جيد حقًا هذا الصباح، لكنه في مزاج جيد كثيرًا في الآونة الأخيرة. كتب رسالة في هاتفي بإبهاميه، ثم اتسعت ابتسامته حين اهتز هاتفه بالرد. على الأرجح يراسل أوليفيا.

والمدهش أن ليام وأوليفيا لا يزالان معًا. إنه مجنون بها. يخرجان عدة ليالٍ في الأسبوع ويتحدثان على الهاتف كل ليلة. تحضر تدريبات فريق الجري لتشجيعه كل مرة يركض فيها. ينسقان الجامعات التي سيتقدمان لها، ليتمكنا من البقاء معًا بعد التخرج في يونيو. لست واثقة إن كانت فكرة رائعة —— هما في السابعة عشرة فقط وأمامهما الكثير من التجارب الجديدة. ولأكون صريحة تمامًا، ليام مرشح جامعي أقوى بكثير من أوليفيا. لا أريده أن يتخلى عن فرصة لأجلها.

لكن لا يمكنني إنكار أنها جيدة له. وبالتأكيد لا يمكنني إنكار أنه يحبها. أستطيع رؤية ذلك في الطريقة التي ينظر بها إليها ورغبته في قضاء كل دقيقة معها.

أما بالنسبة لي، فأشك أنني سأواعد أحدًا مرة أخرى.

مسح ليام العرق عن جبهته بظهر ذراعه:

– «سأذهب للاستحمام الآن. لكن حين أخرج، سيكون البيض جاهزًا لي، صحيح يا أمي؟ خمس بيضات.»

رفع يدًا واحدة وحرك أصابعه.

– «خمسة. أنا جائع.»

– «لك ما طلبت يا بني.»

– «أنتِ الأفضل يا أمي.»

قبلني بسرعة على وجنتي وهرع صاعدًا الدرج لغرفته، يصفر في الردهة. إنه في مزاج جيد بشكل استثنائي. لا بد أنه سعيد بفوزه بالمناظرة أمس.

انتهت أغنية برونو مارس، وبدأ المذيع في قراءة الأخبار. استمعتُ بشرود وأنا أطهو البيض. جينيفر لوبيز تواعد شخصًا جديدًا. مدينة نيويورك صُنفت كأغلى مدينة للعيش في البلاد. وتم الإبلاغ عن اختفاء فتاة في بلدة تدعى "تروي" في شمال ولاية نيويورك.

تروي في شمال ولاية نيويورك...

أتساءل إن كانت قريبة من ألباني.

وضعتُ الملعقة ورفعتُ صوت المذياع. ملأ صوت المذيع الغرفة:

– «خرجت كايلا روجرز، البالغة من العمر ثمانية عشر عامًا، مع صديقاتها ليلة السبت. بقيت صديقاتها في الحانة، لكن كايلا غادرت وحدها. تقول الشرطة إنها لم تعد أبدًا للشقة التي تشاركها مع فتاتين أخريين...»

لم تتوقف يداي عن الارتجاف وأنا ألتقط هاتفي من على منضدة المطبخ. كتبتُ "تروي، نيويورك" في تطبيق الخرائط. ثم حسبتُ الوقت الذي يستغرقه شخص للوصول من ألباني إلى تروي بالسيارة.

ست عشرة دقيقة.

ارتفعت عيناي نحو السقف. أسمع صوت الدش يعمل، وحتى مع صوت قطرات الماء، أستطيع سماع ليام يغني لنفسه.

لا يمكن أن يكون هو.

لن يفعل. هو ليس كذلك. هو ليس مثل جيسون. ليس حقًا.

إنها مصادفة. لا بد أنها مصادفة.

استندتُ على المنضدة، وقد وهنت ركبتاي. ما زلت أستطيع سماع ليام يغني في الحمام فوقنا، بينما تملأ رائحة البيض المحترق أرجاء المطبخ.

- تمت -

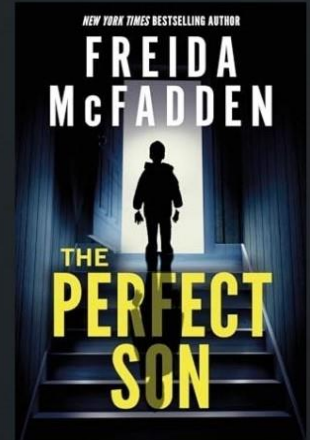
الإبن المثالى

فريدا مكفادن

«سيدة كاس، نودّ لو يُجيب ابنكِ على بضعة أسئلة بخصوص الفتاة التي اختفت ليلة أمس...»

تنعم «إريكا كاس» بحياة مثالية وأسرة لا تشوبها شائبة. أو هكذا كان الأمر، حتى تلك الليلة المشؤومة التي وقف فيها محققان على عتبة باب منزلها. اختفت طالبة في المدرسة الثانوية من حي «إريكا» الهادئ في الضواحي، والشرطة تخشى السيناريو الأسوأ: جريمة قتل. والكارثة؟ أن ابن «إريكا» المراهق، «ليام»، كان آخر شخص شوهد مع الفتاة وهي على قيد الحياة. لطالما استشعرت «إريكا» جانبًا مظلمًا ومضطربًا يختبئ خلف قناع المثالية الذي يرتديه ابنها البكر. إنها تتوق لتصديق براءته، وتتشبث بالأمل، لكن مع تراكم الأدلة وتضييق الخناق، لم يعد بإمكانها الهروب من الحقيقة المروعة: قد يكون «ليام» قد ارتكب بالفعل ما لا يمكن تصوره.

والآن، تجد نفسها في مواجهة سؤال واحد لا مفر منه: إلى أي مدى يمكن أن تذهب لحماية أطفالنا؟







ترجمة / قناة wadistreambooks

@t.me/wadistreambooks